بوادر عودة مؤسسات الدولة في اليمن بعد سنوات من الغياب ص3

سالم جحا

عسكري يرفض الحرب والتطرف ويحلم بليبيا مدنية

ص8

لوحة قديمة لفنان لبناني تلد معرضا جديدا ص14

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/04/14

09 شعبان 1440

السنة 41 العدد 11318

Sunday 14/04/2019

41st Year, Issue 11318

المجلس الانتقالي يتخلّص من رموز البشير

● المهمة الأصعب لعبدالفتاح البرهان: تفكيك دولة الإسلاميين وتشابك نفوذ لوبيات الفساد

❑ **الخرطوم** – نجح المجلس العسكري الانتقالي في تخطي أهم العقبات التي قد توتّر علاقته بالحراك الشعبي الواسع في السودان، وذلك من خلال دفع العناصر المحسوبة على الرئيس السابق عمر حسن البشير إلى التنحي، في خطوة لا تكتفي بطمأنة الداخل السوداني، ولكن أيضا بتبديد مآخذ دولية على قيادات عسكرية ارتبط وجودها بأخطاء النظام السابق ككل.

يأتي هذا فيما ستكون المهمة الأصعب لعبدالفتاح البرهان، الذي استلم قيادة المجلس، هي تفكيك دولة الإسلاميين التي قامت على التمكين للوبيات الفساد وبنت نفوذها على تشابك المصالح العائلية.

واستقال وزير الدفاع الفريق أول ركن عوض بن عوف من رئاسة المجلس العسكري الانتقالي، الجمعة، بعد يوم واحد فقط له في المنصب مع مطالبة المحتجين بتغيير سياسي أسرع وترك مكانه لعبدالفتاح البرهان. ثم جاءت استقالة أخرى ذات مغزى لتؤكد وجود رغبة حقيقية في التغيير، وهي استقالة مدير جهاز الأمن والمخابرات صلاح عبدالله محمد صالح المعروف باسم صلاح قوش، أكثر الشخصيات نفوذا في البلاد بعد البشير وهو الذي حمّله المحتجون مسؤولية قتل متظاهرين يطالبون بإنهاء الحكم العسكري.

ويرى محللون أن الجيش السوداني يسعى إلى تهدئة الاحتجاجات بتغييره الوجوه التي كانت لفترة طويلة قريبة من البشير، وارتبطت أسماؤها بالاعتقالات والتعذيب وبالحروب التي أفضت إلى تقسيم السودان وتبديد ثرواته.

وتعتقد أوساط سودانية مطلعة أن المجلس الانتقالي سيستمر بالضغط على القيادات التي تثار حولها الشبهات ودفعها إلى الاستقالة من أجل خلق أرضية من الثقة المتبادلة مع الحراك الاجتماعي وهو ما بدا واضحا حين انطلقت احتفالات صاخبة في شوارع الخرطوم بعد استقالة بن عوف.

ولوح الآلاف من المحتجين بالأعلام وبهواتفهم المحمولة المضاءة، وأطلق البعض منهم أبواق السيارات. وقال شهود عيان إن مواطنين رددوا هتاف "سقط التاني" في إشارة إلى بن عوف بعد البشير.

كما نجح المجلس في جلب قيادات الحراك الشعبي إلى الحوار في خطوة تؤكد الثقة بأن تغيير الوجوه سيقود إلى تغيير السياسات.

وأعلن البرهان، أنه سيتم تشكيل مجلس عسكري لتمثيل سيادة الدولة، وحكومة مدنية "متفق عليها" بواسطة الجميع، لإدارة البلاد خلال المرحلة المقبلة. جاء ذلك في أول بيان له، السبت، غداة اختياره رئيسا للمجلس العسكري الانتقالي خلفا لعوض بن عوف.

وقال البرهان، إنه تم إلغاء قرار حظر التجوال في البلاد، مؤكدا في الوقت ذاته استمرار الفترة الانتقالية لمدة عامين كحدّ أقصى، يتم خلالها أو في نهايتها تسليم حكم الدولة لحكومة مدنية تشكل من قبل الشعب.

وأضاف أنه سيتم "إطلاق سراح المحكوم عليهم فورا بموجب قانون الطوارئ أو أي قانون آخر في التظاهرات والاحتجاجات الأخيرة".

وقال ضابط في الجيش رفض الكشف عن هويته إن "البرهان لا يتبع أي توجهات سياسية. إنه جندي متمرّس".

لكنه بصفته زعيم البلاد بحكم الأمر الواقع الآن، لن يكون بإمكانه التهرّب من اتخاذ قرارات سياسية صعبة، ليكون في مستوى انتظارات الشارع الذي قد يعود في أي لحظة إلى الاحتجاج.

وشدد القائد الجديد للمجلس الانتقالي على "الالتزام التام بمحاربة الفساد، وملاحقة جميع المسؤولين عنه، ومحاكمة كل من تورط في قتل الأبرياء"، و"تفكيك كل الواجهات الرسمية والحكومية التي كانت تقوم على المحسوبية والمحاصصة الحزبية".

وتعهد بـ"إنهاء تكليف ولاة الولايات وقادة الفرق والمناطق العسكرية (المكلفين) بتسيير مهام الولايات"، والذين تولى البشير تعيينهم في الفترة الأخيرة في مسعى لامتصاص غضب الشارع من جهة، ولإرضاء المؤسسة العسكرية لتستمر بالولاء له.

ويرى مراقبون أن مواجهة الدولة العميقة التي كرّسها نظام البشير في السلطة من سياسة التمكين لعناصرها، وقيام مؤسسات كبرى وتنظيمات عسكرية تخضع بالكامل للولاء التنظيمي، سيجعلان مهمته صعبة.

تضاف إلى ذلك السيطرة الاقتصادية لشركات حكومية ولمؤسسات الدولة من أمن وجيش وشرطة، وكذلك الشركات التي يملكها أفراد الحزب الحاكم، قد تعقّد عمل الرجل في الوقت الراهن.

والمعروف أن البرهان عسكري لم يُؤطر سياسيا ضمن منظومة حزب المؤتمر الوطني (الحاكم سابقا)، وهو رجل نزيه في ظل حكم اتهم أفراده بالفساد، وهو ما قد يساعده في القيام بالمهمة الأصعب، أي تفكيك نفوذ الشبكات التي بناها الإسلاميون منذ انقلاب 1989، والذي جعل السودان رهين حسابات حسن الترابي وقيادات الإخوان المسلمين الذين تحالفوا مع البشير قبل أن يختلفوا ويتصادموا معه، وإنْ ظلت لهم اليد الطولى في إدارة كل شيء.

وأعلن "تجمع المهنيين" في السودان أن تحالفات المعارضة وافقت على دعوة من المجلس الانتقالي لإجراء حوار، السبت، حول "الانتقال إلى سلطة مدنية".

مطالب الشارع في منتصف الطريق

وشدد التجمع في بيان له على أن الجلوس على طاولة التفاوض يهدف إلى الوصول إلى "سلطة مدنية انتقالية تنفذ مطالب الثورة".

وفي محاولة لإرباك المجلس الجديد ومنعه من تنفيذ مطالب المحتجين باجتثاث حزب المؤتمر الوطني الحاكم، دعا الحزب إلى إطلاق سراح رئيسه وعدد كبير من رموزه، حاثا المجلس على "تسريع تطبيع الحياة السياسية، وتمكين الأحزاب من مزاولة العمل السياسي، وإكمال التحوّل الديمقراطي، وإرساء مبدأ التداول السلمي للسلطة".

لماذا سقط البشير وبقي بشّار

خيرالله خيرالله

» ص5

قوات حفتر تغيّر نسق عملياتها في طرابلس

❑ **طرابلس** – ذكرت شعبة الإعلام الحربي التابع لقوات الجيش الوطني الليبي برئاسة المشير خليفة حفتر، أن طائراتها أغارت، السبت، على مناطق تمركز ومخازن لقوات "الوفاق" على أكثر من جبهة، في توجه قال متابعون لمسار معركة طرابلس إنه يؤذن بتغيير النسق، خاصة بعد أن فسح حفتر المجال للتحركات السياسية والدبلوماسية للضغط على حكومة الوفاق الوطني وحلفائها من الميليشيات الإسلامية.

وسرّع الجيش الوطني الليبي من عملياته في استهداف الميليشيات باللجوء إلى سلاح الجو، حيث قصف، الجمعة، معسكرا في زوارة غربي العاصمة الليبية في اتجاه الحدود التونسية. كما هاجمت طائرة تابعة للجيش مطار معيتيقة.

وشهدت منطقة العزيزية جنوبي العاصمة الليبية طرابلس، السبت، مواجهات مسلحة تعتبر الأعنف بالمنطقة، وقال شهود عيان إن هناك ضربات جوية نفذتها طائرات حربية. أما محور السواني، فيشهد تبادلا للقذائف بين الطرفين، وتمكنت فرق الهلال الأحمر الليبي من إخلاء عدد من العائلات بالمنطقة.

واعترف رئيس المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني فائز السراج، السبت، بأن القوات التابعة لحفتر ما زالت مستمرة في استخدام الطيران، وأنها تتولى "تجنيد الأطفال للقتال في صفوفها"، وذلك في لقائه بالمبعوث الأممي إلى ليبيا غسان سلامة.

من جانبه، أكد سلامة رفضه التام لأي اعتداء على المدنيين أو المنشآت المدنية، مؤكدا أن الجهود لم تتوقف لإنهاء هذه الحرب.

ومن الواضح أن حكومة الوفاق تسعى للتغطية على تراجع قواتها من خلال الاستنجاد بالمؤسسات الدولية. ومثلما استنجد السراج بسلامة، فإن وزير خارجية الوفاق محمد طاهر سيالة حث مجلس الأمن الدولي لوقف الهجوم على طرابلس.

وقال سيالة "نريد تدخلا سياسيا وليس عسكريا"، آملا أن يتمكّن مجلس الأمن من أن يوقف "القوات التي تهاجم العاصمة وأن يقنع الدول التي تدعمها بتغيير موقفها".

وفيما لم يذكر سيالة الدول المعنية بإسناد حفتر، فإن إيطاليا التي تعارض الهجوم وتقف إلى جانب حكومة الوفاق، لم تخف أن لديها وحدة عسكرية تضم حوالي 400 عنصر في ليبيا. جاء ذلك على لسان وزيرة الدفاع الإيطالية إليزابيتا ترينتا، في تصريح صحافي، بمؤتمر "الدفاع المشترك: القوات المسلحة في خدمة المواطن"، الذي عقد، الجمعة، بمقر قيادة سرب البحرية في روما.

تركيا تدفع فاتورة استهداف ممنهج للسعودية وقيادتها في قضية خاشقجي

● ارتباك تركي بفعل حملة سعودية مضادة تستهدف أردوغان والدولة العثمانية

❑ **إسطنبول** – يجد الإعلام التركي نفسه في امتحان الردّ على الإعلام السعودي بعد أن استفردت منظومة الإعلام التابعة للرئيس التركي رجب طيب أردوغان بقضية التسريبات المتعلقة بمقتل الصحافي جمال خاشقجي واستغلتها في عملية تشويه ممنهجة لصورة السعودية وقيادتها السياسية.

وبعد فترة من تعثّر ملحوظ للإعلام السعودي في قدرته على الردّ على الحملة الإعلامية التركية، بدا واضحا من ردود فعل الأتراك أن المواجهة غيّرت من معطياتها وصار الإعلام التركي يشتكي ويتّهم السعودية بأنها تقود حملة ممنهجة لا على أردوغان فحسب، بل على كل التاريخ العثماني.

وكان لافتا مقالة تحليلية وزعتها وكالة الأناضول الرسمية يشير فيها كاتبها، خليل جيليك، بلا موارية إلى ما اعتبره حملة سعودية منظمة للنيل من تركيا وتاريخها.

وأشار جيليك إلى أن "تسريع وسائل الإعلام السعودية من وتيرة معاداتها لتركيا في الآونة الأخيرة، بات معلوما لدى الكثيرين"، وأن الأمر بلغ حدّ وصفها الإمبراطورية العثمانية بـ"دولة داعش الأولى".

وعزا سبب الحملة إلى "مواقف تركيا من الإخوان المسلمين وقطر وقضية مقتل خاشقجي"، وهو ما يعكس اعترافا واضحا بأن تدخلات تركيا في قضايا المنطقة، هي السبب المباشر للحملة المضادة، وهو ما يعني أن وسائل الإعلام المحسوبة على السعودية تتحرك لمواجهة أجندة أردوغان وخططه لإرباك وضع دول المنطقة من خلال دعم جماعات الإسلام السياسي وجعلها منصة لضرب استقرار تلك الدول.

ولا يجد المراقبون أي تفسير للتعاطي التركي مع قضية خاشقجي وتحويلها إلى حملة على مدار الساعة ولأسابيع ضد السعودية وقيادتها، مع أن أنقرة كانت تسعى من بوابة السعودية إلى بناء علاقات اقتصادية كبيرة كانت ستوفر لها بدائل حقيقية للاقتصاد الذي يتهاوى منذ أشهر.

ويثير التحفّز التركي تجاه نقد الخلافة العثمانية الاستغراب خاصة أن تجربة حكمها صارت جزءا من التاريخ، ومن حق أي كان أن يقرأ التاريخ وفق مصالح بلاده، وأن يقيّم الأحداث والمواقف قياسا بما جرى معه، لا وفق هوى الرئيس التركي الذي يسعى إلى استنساخ تجربة الخلافة وإحيائها وتحويل نفسه إلى "سلطان" جديد يتحكم في الشرق الأوسط من بوابة الجماعات الإسلامية المتشددة.

وأبدى جيليك في مقالته بالأناضول غضبا من تقييم وسائل إعلام خليجية لحكم العثمانيين، وهاجم من يقول إن شروط الخلافة لا تتوافر في الدولة العثمانية، وإنها دولة احتلال وليست فتوحات، وإنها احتقرت العرب عبر التاريخ.

وتظهر مقالة الأناضول أن الأتراك لم يكونوا يتوقعون ردّة فعل قوية من الإعلام السعودي والعربي عموما، الذي لم يعد يتحمّل عدائية الإعلام التركي والاستهداف الممنهج من أردوغان ضد أمن المنطقة ومصالحها.

وسعت المقالة إلى إخفاء تفاجئها من التحرك السعودي القوي ضدّ تركيا، حين اعتبر جيليك أن "معظم وسائل الإعلام يملكها أفراد العائلة الملكية بشكل مباشر أو غير مباشر، وبالتالي تعتبر بمثابة صوت الإدارة السعودية"، وأنها تخدم "توجها سياسيا وحيدا".

وبدا هذا التفسير مثيرا للسخرية وكأن الإعلام التركي حرّ ويخوض الحملة دون توجيهات، فيما الكل يعرف أن أردوغان ورجال الأعمال المحيطين به قد وضعوا أيديهم على الإعلام التركي وكونوا ما بات الإعلاميون الأتراك يطلقون عليه اسم "العصابة" التي تتحرك من وراء الستار لتنفيذ أجندة أردوغان وحزب العدالة والتنمية الحاكم.

وظهر نفوذ هذه العصابة بشكل أوضح خلال الأيام الماضية من خلال قيامها بهجمة تشكك في شرعية نتائج الانتخابات البلدية خصوصا في مدينة إسطنبول التي هزم فيها حزب العدالة والتنمية الذي يتزعمه أردوغان.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

مقاطعة القضاة للانتخابات تربك الحكومة الانتقالية في الجزائر

حكومة بدوي تتورط في توظيف العنف لمواجهة المطالب السياسية

انتهت المليونية الثامنة في الجزائر، وهي أول تظاهرة احتجاجية بعد تنصيب عبدالقادر بن صالح رئيسا مؤقتا للبلاد، والتي رفع فيها المحتجون شعارات رافضة لإشراف رموز نظام عبدالعزيز بوتفليقة على المرحلة الانتقالية، بصدامات بين المئات من الشبان وعناصر الشرطة قادت إلى تعنيف المتظاهرين، في خطوة تكشف عن لجوء السلطة إلى العنف للجم صوت الشارع وتقييد الحراك الشعبي.

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – زاد تعنيف السلطة لسلمية الحراك الشعبي عبر لجوء قوات أمنية خلال نهاية المليونية الثامنة إلى استعمال وسائل قمعية بطرق عشوائية أدت إلى تسجيل إصابات لدى أطفال ومسنين، من عزلة الحكومة الجديدة وقلص هامش أجندتها السياسية أمام رفض القضاة تأطير الانتخابات الرئاسية القادمة.

وتفاقمت متاعب حكومة نورالدين بدوي، ومن ورائها السلطة القائمة، بالانتقادات الشديدة التي وجهت لها من طرف الحراك الشعبي والطبقة السياسية، في أعقاب لجوئها إلى تعنيف الحراك الشعبي السلمي بتشدد الشرطة مع المتظاهرين.

وبالموازاة مع فشلها في إقناع الرأي العام بممارسات القوى الأمنية، واشتداد العزلة الشعبية عليها، حيث صار أعضاؤها عرضة لمطاردات المحتجين، تلقت ضربة قاصمة بإعلان القضاة، السبت، عن مقاطعتهم لعملية الإشراف على الانتخابات الرئاسية المقررة في الرابع من شهر يوليو القادم.

> روايات أجهزة السلطة يشوبها الكثير من الغموض، ويطرح تساؤلات عن مغزى تعنيف المتظاهرين، ويشير إلى أن الطابع السلمي للحراك الشعبي بات يشكل لها قلقا حقيقيا

وطارد العشرات من الشبان في مدينة بشار (جنوب غرب)، وزير الداخلية الجديد صلاح الدين دحمون، وطالبوه بالرحيل عن محافظتهم، ووجدت المصالح الأمنية نفسها في مواجهة محتجين لا يبارحون بأماكنهم منذ ليلة الجمعة إلى السبت في محيط المطار لمنع الوزير من زيارة المحافظة، واضطر الوفد الرسمي إلى التواري عن الأنظار تحت ضغط المتظاهرين الذين تقفوا أثره إلى غاية السبت.

وتعيش حكومة نورالدين بدوي عزلة شعبية كبيرة، لم تشهدها أي حكومة في البلاد، حيث بات أعضاؤها عرضة لمطاردة الشارع، وحتى غضب موظفيها، كما هو الشأن بالنسبة لوزيرة الثقافة مريم مرداسي، التي انتفض موظفوها وكوادرها ضدها، وضد الحكومة والسلطة القائمة.

وفشلت الحكومة في تمرير رسائلها السياسية في بياناتها الأخيرة، حين وقعت في تناقضات كبيرة، بين صعوبة تبرير استعمال وسائل القمع على الحراك السلمي، وإقناع الرأي العام بروايات مفتعلة حول ضبط شبكة تجسّس أجنبية ومجموعة إرهابية مندسة وسط المتظاهرين.

وأفضت الممارسات القمعية التي مارستها قوات أمنية على متظاهرين في محيط النفق الجامعي وساحة موريس أودان والشوارع المجاورة لها في العاصمة الجزائرية، في الساعات الأخيرة من يوم الجمعة، إلى وقوع عدد من الإصابات في صفوف المحتجين لاسيما الأطفال والمسنين والاختناقات الخطيرة داخل النفق المذكور.

وذكر بيان صادر عن مديرية الأمن، أن مصالحها سجلت نحو 30 إصابة في صفوف أعوان الأمن منهم أربعة في حالات خطيرة، وأنه تم توقيف أكثر من 100 شاب وصفهم البيان بـ"المندسين والمنحرفين"، استعملوا وسائل حادة وحجارة في استهداف عناصر الأمن.

لكن البيان الذي سبقه أثار الكثير من الجدل، قياسا باللهجة السياسية التي وظفها في خطابه، وحديثه عن روايات لم تقنع الرأي العام، تتعلق بضبط مجموعة إرهابية كانت تستهدف جرّ الحراك إلى الفوضى عبر استهداف عناصر الأمن، ومجموعة جوسسة أجنبية كانت بحوزتها أجهزة حساسة وحبوب مهلوسة، وكانت تعمل على تجنيد الأطفال.

ولم يستبعد الإعلامي والناشط في الحراك الشعبي ايدير دحماني، أن تكون السلطة بصدد استحضار سيناريو العنف الذي أحاط بأحداث منطقة القبائل والعاصمة في العام 2001، من أجل تفكيك الحراك السلمي، وجره إلى مآلات تستطيع التحكم فيها في ما بعد.

وأضاف دحماني في تصريح لـ"العرب" أن "ما قامت به السلطة مساء الجمعة، هو مناورة من المناورات المكشوفة، فقد استعانت بهذا السيناريو في مختلف المحطات، لكن هذه المرة كانت لعبة مفضوحة وغبية".

وأضاف "الوضع يختلف بين الحراك الشعبي الحالي وبين أحداث العام 2001، فالأول قائم في جميع محافظات ومدن البلاد ومطالبه عالية وأساليبه سلمية وهادئة، بينما الثاني كان محصورا في ثلاث محافظات فقط وفي العاصمة، وكانت مطالبه بسيطة جدا".

ولفت إلى أن الحيلة لم تنطل على أحد من أفراد الشعب، ولا أحد يصدق الروايات التي قدمتها السلطة ووقوعها في تناقض صريح، لأن محاولة التبرير تحولت إلى اتهام لها، ولا يمكن تصديق مصالح تلقي القبض على مجموعة إرهابية وأخرى للجوسسة وسط سيول بشرية، ولا تستطيع تحييد مجموعة من المشاغبين.

بحجة الفوضى الشرطة الجزائرية تعنّف المتظاهرين

وأكد المتحدث أن روايات أجهزة السلطة يشوبها الكثير من الغموض الذي يطرح تساؤلات عن مغزى تعنيف المتظاهرين، ويشير إلى أن الطابع السلمي للحراك الشعبي بات يشكل لها قلقا حقيقيا، فمنذ جمعة الـ22 من فبراير انطلق الحراك سليما وهادئا ولم يعط الفرصة للسلطة من أجل جره للفوضى، ونزول العائلات والمسنين والأطفال يثبت نوايا ورسالة الحراك للسلطة وللعالم.

وتابع متسائلا "كيف يقتنع الناس بروايات ضبط جواسيس أجانب وسط المتظاهرين، وتوقيف مجموعة إرهابية أيضا كانت تستهدف عناصر الأمن كانت تستعمل في تسعينات القرن الماضي؟".

وكانت مصالح الأمن والدرك قد ضربت طوقا أمنيا على العاصمة عشية المليونية الثامنة، وحولتها إلى سجن مفتوح، حيث امتدت طوابير المركبات إلى العشرات من الكيلومترات، خلف المداخل والتخوم المؤدية إلى العاصمة، ومع ذلك خرج السكان بقوة لتجديد مطالب رحيل السلطة القائمة، ومحاسبة التركة الموروثة عن نظام بوتفليقة.

وأوضح ايدير دحماني أن "هناك مجموعة من الشباب لا يتجاوز عددهم الثلاثين عنصرا على أقصى تقدير، كانوا يستفزون عناصر الشرطة، لكن ذلك لا يبرر ما قامت به القوى الأمنية بتعنيف المتظاهرين عبر وسائلها القمعية، حيث لم تفرق الشرطة بين هؤلاء وبين المحتجين، خاصة الأطفال والمسنين".

الأمم المتحدة «قلقة» بشأن استمرار احتجاز محققها في تونس

❑ **نيويورك** – اعتبر المتحدث باسم الأمم المتحدة أن قيام السلطات التونسية باحتجاز منصف قرطاس، عضو لجنة الخبراء التابعة لمجلس الأمن الدولي بشأن العقوبات المفروضة على ليبيا، أثناء تأدية مهامه الرسمية، أمر يثير "القلق البالغ".

وكان القضاء التونسي أصدر مساء الخميس بطاقة إيداع بالسجن ضدّ المحقّق الدولي قرطاس وشخص آخر بتهمة "تعمّد الحصول على معطيات أمنية متعلقة بمجال مكافحة الإرهاب وإفشائها".

وقال الناطق الرسمي باسم القطب القضائي لمكافحة الإرهاب سفيان السليطي في تصريحات صحافية إنّ قرار قاضي التحقيق جاء بعد "استنطاقهما بحضور محاميهما"، مؤكدا أن "قاضي التحقيق أذن بفتح بحث قضائي بتهمة تعمّد الحصول على معطيات أمنية متعلقة بمجال مكافحة الإرهاب وإفشائها في غير الأحوال المسموح بها قانونا".

وذكر المتحدث الأممي ستيفان دوجاريك في بيان صدر ليلة الجمعة – السبت أن المعلومات تفيد بأن قرطاس مثل أمام قاضي التحقيق الذي قرر استمرار احتجازه، مبيّنا أن "مواصلة احتجاز قرطاس تنتهك المزايا والحصانات التي يتمتع بها بموجب اتفاقية امتيازات الأمم المتحدة وحصاناتها".

وأضاف دوجاريك أن الأمم المتحدة سعت إلى التواصل مع الحكومة التونسية عبر "أربع مذكرات شفهية متتالية تشرح الموقف القانوني وتدعو الحكومة إلى مشاركة المعلومات ذات الصلة مع الأمم المتحدة بشأن القبض على قرطاس واستمرار احتجازه".

وأعرب المتحدث عن "القلق البالغ لأن الحكومة لم تقدم حتى الآن أي رد كاف يتماشى مع الالتزامات القانونية الدولية بموجب الاتفاقية".

وكانت السلطات التونسية أوقفت في نهاية مارس الماضي قرطاس، الموظف في الأمم المتحدة المكلف بالتحقيق في انتهاك حظر الأسلحة على ليبيا، وفق ما أفادت حينها المنظمة الدولية والسلطات التونسية التي قالت إنها أوقفته بشبهة التجسّس.

وأكّدت السلطات التونسية توقيفه مع تونسي آخر "على خلفية الاشتباه في التخابر مع أطراف أجنبية".

وقالت وزارة الداخلية التونسية في بيان آنذاك إنّه تمّ إثر التوقيف "ضبط العديد من الوثائق السريّة المتضمّنة لمعطيات وبيانات دقيقة وشديدة الحساسية من شأنها المساس بسلامة الأمن الوطني بالإضافة إلى تجهيزات فنية محجر استعمالها ببلادنا ويمكن استغلالها في التشويش واعتراض الاتصالات كما تستخدم في عمليات المسح الراديوي".

وفي تقرير كان أحد موقّعيه قرطاس، أكّدت لجنة الخبراء في 2017 أنّ "أسلحة وذخائر تم تسليمها إلى مختلف الأطراف المتحاربة (في ليبيا) مع تورّط دول أعضاء" بالأمم المتحدة في ذلك.

اتهام المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق بتعطيل استفتاء الدستور الليبي

رئيس مجلس النواب عقيلة صالح: سنذهب لصناديق الاقتراع بعد تحرير طرابلس

❑ **طرابلس** – اتهم رئيس مجلس النواب الليبي عقيلة صالح،السبت، المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق المعترف بها دوليا، بتعطيل إتمام الاستفتاء الشعبي على مشروع الدستور الدائم للبلاد. وجاء تصريح صالح لدى افتتاحه جلسة رسمية للمجلس في مدينة بنغازي (شرق) للمرة الأولى منذ توليه السلطة قبل خمسة أعوام، في حين كانت تعقد جميع الجلسات في مدينة طبرق (شرق).

وبحسب كلمة صالح التي بثتها بعض القنوات الليبية فإن "مجلس النواب أنجز قانون الاستفتاء على الدستور وأحاله إلى المفوضية، إلا أن المجلس الرئاسي لم يوفر المال اللازم لهذه العملية".

وأقرت لجنة الصياغة، في يوليو 2017، مسودة الدستور الدائم للبلاد بعد ثلاثة أعوام من انتظار الليبيين، ثم طالبت هي والمجتمع الدولي مجلس النواب بسرعة إقرار قانون للاستفتاء الشعبي على المسودة بنعم أو لا.

واعتمد مجلس النواب قانون الاستفتاء على الدستور في 14 سبتمبر 2018، بعد عام من إخفاقه، وسط جدل حول صحة الخطوة ورفض مجلس الدولة إطلاق استفتاء بناء على قانون النواب "لوجود مخالفات قانونية به" بحسب بيان لمجلس الدولة.

وفي 6 ديسمبر الماضي، توقع رئيس المفوضية الوطنية العليا للانتخابات عماد السايح، إجراء الاستفتاء الشعبي في النصف الأول من يناير 2019، لكنه أكد ضرورة توفر عدة شروط للالتزام بالموعد. ومن تلك الشروط، إصدار البرلمان قانون الاستفتاء (صدر ولكن بقي حوله جدل) وتوفير الموارد المالية من قبل حكومة الوفاق، وتوفير وضع أمني للاستفتاء، وأخيرا التوافق السياسي حول عملية الاستفتاء.

والإقرار بدستور لليبيا من شأنه أن يفتح الباب أمام إجراء انتخابات تنهي سنوات من الفوضى المستمرة منذ الإطاحة بنظام العقيد الراحل معمر القذافي في 2011 وغرق البلاد في حالة من الفوضى وانقسامها بين حكومتين متنافستين.

لكن غياب مناخ التوافق السياسي يصعب بدوره مهمة إتمام الاستفتاء على الدستور الليبي. وعادت المواجهة العسكرية في ليبيا مع تحرك الجيش منذ الرابع من أبريل في طرابلس في عمليات عسكرية تهدف إلى تطويق الميليشيات المسلحة التي تقوض أمن واستقرار البلاد، وفي ظل عجز العملية السياسية عن إنهاء فوضى الميليشيات.

واعتبر رئيس مجلس النواب الليبي أن القوات المسلحة هي الضامن والمدافع عن الديمقراطية، مضيفا "سنذهب إلى صناديق الاقتراع بعد أن ينهي الجيش عملياته في طرابلس". وأعرب عن "دعم المجلس للمؤسسة العسكرية بقيادة القائد العام المشير خليفة حفتر"، ومثمنا تضحيات أبناء القوات المسلحة في الحرب على الإرهاب.

ودعا صالح دول العالم للمحافظة على أموال ليبيا، ورفع حظر تسليح الجيش الوطني. وأشار صالح إلى أن ليبيا "حريصة على التعاون مع المجتمع الدولي لمحاربة الإرهاب".

وأوضح أن حكومة الصخيرات (حكومة الوفاق المعترف بها دوليا) وقعت تحت سيطرة الميليشيات المسلحة في طرابلس. وشدد على أن استقرار ليبيا لن يتم إلا بالتخلص من التنظيمات التي يقودها مطلوبون للعدالة الدولية والمحلية.

ويواصل الجيش الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر زحفه على طرابلس من أجل فرض الأمن ومحاربة الميليشيات والمجموعات المسلحة في تحرك حاسم يهدف إلى القضاء على أوكار الإرهاب في العاصمة الليبية. ونشر الجيش الوطني الليبي طائرات حربية الجمعة لقصف عدة مواقع لحكومة طرابلس، فيما تسعى الجماعات المسلحة الموالية لرئيس الوزراء فايز السراج لصد الهجمات وشن أخرى مضادة.

ويربك تقدم الجيش الليبي العسكري في طرابلس حكومة الوفاق التي تعول على دعم خارجي لوقف الهجوم، وقد ناشدت مجلس الأمن الدولي الجمعة بالتدخل معربة عن أسفها من انقسام دولي حيال ما يجري في ليبيا.

وجددت معركة طرابلس صراع النفوذ بين إيطاليا وفرنسا في ليبيا. وفيما يشير متابعون أن باريس تدعم التحرك العسكري لحفتر، تتهمها روما المؤيدة لحكومة السراج بعرقلتها بيانا أوروبيا يدين الجيش ويطالبه بوقف المعركة.

البرلمان الليبي: استقرار ليبيا لن يتم إلا بالتخلص من الميليشيات

> مجلس النواب أنجز قانون الاستفتاء على الدستور وأحاله إلى المفوضية، إلا أن المجلس الرئاسي لم يوفر المال اللازم لهذه العملية

واعتبر رئيس الوزراء الإيطالي أن أي تدخل عسكري أجنبي في ليبيا لن يشكل حلا للصراع الذي نشب في الآونة الأخيرة بالبلاد، محذرا من أن ذلك قد يتسبب في نزوح جماعي للاجئين عبر البحر المتوسط نحو أوروبا.

وقال رئيس الوزراء الإيطالي جوزيبي كونتي لصحيفة إلفاتو كوتيديانو اليومية في مقابلة نشرت السبت "الخيار العسكري لا يمكن أن يكون حلا". وأضاف أن "ما يتوجب فعله هو عقد محادثات بمشاركة كل الأطراف في محاولة لوقف القتال الذي دفع 4500 شخص على الأقل من سكان طرابلس إلى النزوح من ديارهم".

ودعمت إيطاليا، وهي مستثمر كبير في قطاع النفط الليبي، حكومة السراج، وتتهم بتقوية شوكة الميليشيات ومنع تنفيذ الترتيبات الأمنية التي تضمنها اتفاق الصخيرات (اتفاق سياسي ليبي في عام 2015).

بوادر عودة مؤسسات الدولة في اليمن بعد سنوات من الغياب

الرئيس اليمني: انعقاد مجلس النواب دليل على أن المشروع الحوثي يتآكل

تشير الجلسة التي عقدها مجلس النواب اليمني في مدينة سيئون، ثانية كبرى مدن محافظة حضرموت شرقي البلاد، السبت، والتي تعد الأولى من نوعها منذ أربع سنوات، إلى أن اليمنيين يقتربون من استعادة مؤسسات دولتهم. وحظيت الجلسة الافتتاحية باهتمام سياسي وإعلامي بارز، حيث حضرها الرئيس اليمني ورئيس البرلمان العربي ومبعوث الأمين العام لدول مجلس التعاون الخليجي لليمن، وسفراء السعودية والإمارات والبحرين وكوريا الجنوبية، وممثلة منظمة التعاون الإسلامي وعدد من وزراء الحكومة اليمنية.

هادي: نحن نريد السلام

❑ **عدن (اليمن)** – أكد اجتماع مجلس النواب اليمني الذي عقد السبت لأول مرة منذ أربع سنوات، أن بوادر عودة مؤسسات الدولة في اليمن بدأت تلوح في أفق الأزمة التي يغرق فيها اليمن منذ سنوات، إذ قال الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي إن هذا الاجتماع إشارة إلى أن المشروع التخريبي للجماعة الحوثية المتمردة "بدأ يتآكل يوما بعد آخر".

واجتمع في مدينة سيئون، ثانية كبرى مدن محافظة حضرموت شرقي البلاد، نواب البرلمان وهو الاجتماع الأول لهم منذ ربيع العام 2015، حيث لم يجدد أعضاء البرلمان اليمني البالغ عددهم 301، المنتخبون في 2009 لولاية من ست سنوات، بسبب الحرب بين القوات الحكومية والمتمردين الحوثيين.

وأكد وزير الإعلام معمر الأرياني، على تويتر، أن 145 نائبا شاركوا في جلسة السبت في سيئون بحضور الرئيس اليمني.

وأكد الرئيس هادي، في خطاب ألقاه خلال الجلسة الافتتاحية للبرلمان، أن دورة مجلس النواب الاستثنائية "تعقد في لحظة تاريخية بالغة الأهمية". واعتبر أن "اليمنيين اليوم يستعيدون إحدى أهم مؤسسات دولتهم".

> رئيس مجلس النواب اليمني يطلب من الوزراء والمسؤولين والقيادات العودة إلى العاصمة المؤقتة عدن، وإدارة شؤون البلاد على أرض الواقع، وحشد جميع الإمكانات لرفع المعاناة عن الشعب اليمني

وخلال جلسة السبت، تم اختيار سلطان البركاني رئيسا للبرلمان بالإجماع. وعقب اختياره، أعلن البركاني فتح باب الترشح لانتخاب هيئة رئاسة البرلمان.

وطلب البركاني من كافة الوزراء والمسؤولين والقيادات العودة وإدارة شؤون البلاد من العاصمة المؤقتة. كما دعا الرئيس هادي إلى إصدار قرار بالعودة إلى كافة قيادات الدولة للقيام بمهامها من عدن.

وطالبها بحشد جميع الإمكانات لرفع المعاناة عن الشعب اليمني.

ويعتبر مراقبون أن اجتماع مجلس النواب السبت، دليل واضح على بداية عودة المؤسسات في اليمن، وإحدى بوادر استعادة أركان الدولة في اليمن بعد غيابها منذ سنوات. وأرجع هؤلاء أسباب تفاؤلهم بعودة الدولة في اليمن إلى الاهتمام الكبير باجتماع مجلس النواب إلى جانب الحضور الإعلامي العربي والعالمي لتغطيته.

وحضر الجلسة الافتتاحية لمجلس النواب اليمني رئيس البرلمان العربي مشعل بن فهم السلمي ومبعوث الأمين العام لدول مجلس التعاون الخليجي لليمن وسفراء السعودية والإمارات والبحرين وكوريا الجنوبية وممثلة منظمة التعاون الإسلامي وعدد من وزراء الحكومة اليمنية.

ويواصل مجلس النواب جلساته، الأحد، لاستكمال انتخاب اللجان الفرعية، ومناقشة موازنة الحكومة لعام 2019 وإقرارها.

واتهم الرئيس هادي جماعة أنصار الله الحوثية بـ"تجاهل دعوات السلام" وبـ"التعنت والمناورة ووضع العراقيل لإفشال جهود إنجاز سلام شامل".

وأشار إلى أن "تعنت الحوثيين يؤكد حقيقة المشروع المدمر الذي تحمله الجماعة التي رهنت نفسها للخارج".

وقال إن "انعقاد المجلس يشير بوضوح إلى أن هذا مشروع الحوثيين المدمر يتآكل يوما بعد آخر، وأن عنصريتهم قد عزلتهم عن جموع الشعب وتياراته، ولم يعد معهم أحد إلا من كان تحت الإكراه".

ودعا الرئيس هادي "المجتمع الدولي ورعاة السلام في اليمن، إلى وقف مماطلة ورفض الحوثيين لجهود السلام، والضغط لإيقاف الحرب".

وأضاف "جهودكم على المحك، نحن نريد السلام، ونسعى من أجله، لكن هذه الميليشيات لا تفهم لغة السلام".

من جانبه، أكد البركاني أن إيران تسعى عبر المشروع الحوثي إلى تثبيت نفوذها من اليمن إلى لبنان.

وأضاف "مصممون على هزيمة انقلاب الحوثيين ليستعيد الشعب اليمني دولته"، مشيدا بدور التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن بقيادة السعودية في وجه الانقلاب.

ويتأكد تعنت المتمردين وتقويضهم لكل جهود إحلال الأمن والسلام في اليمن من خلال عقد مجلس مواز يضم أنصار الحوثيين لجلسات منتظمة في صنعاء.

ونظم الحوثيون السبت، انتخابات جزئية لاستبدال 24 نائبا بعد وفاة وانشقاق نواب سابقين. وتجري انتخابات الحوثيين في صنعاء ومناطق أخرى تحت سيطرة المتمردين.

وكان الحوثيون قد خرقوا اتفاقا مع الحكومة يقضي بوقف إطلاق النار وسحب القوات من ميناء الحديدة وتبادل للأسرى تم توقيعه في ديسمبر الماضي، ويهدف إلى تمهيد الطريق لمفاوضات سياسية أوسع وتشكيل حكومة انتقالية لإنهاء الحرب.

والحرب في اليمن، أفقر دول شبه الجزيرة العربيّة، مستمرة منذ 2014 بين المتمرّدين الحوثيّين المدعومين من إيران، والقوّات الموالية للحكومة المدعومة من التحالف العربي لدعم الشرعية بقيادة السعودية وبمشاركة القوات الإماراتية.

وقالت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، السبت، إن "3.3 ملايين شخص أصبحوا نازحين في بلدهم"، وأن 25 بالمئة من الأطفال باتوا خارج مدارسهم.

مفوضية شؤون اللاجئين تشيد بالمساعدات الإماراتية المتنوعة لليمن

❑ **المخا (اليمن)** – أشادت جاكلين باريليت، مديرة مكتب المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، بالأنشطة والمشاريع المتنوعة التي تنفذها دولة الإمارات في اليمن والتي شملت كافة المجالات الإنسانية والخدمية والتنموية.

وقالت باريليت إن الإمارات أنجزت مشاريع متنوعة وكثيرة "وإنني أشعر بالسعادة عندما أشاهد هذه الأنشطة والمشاريع الإماراتية المتنوعة والغنية".

وأوضحت أن المفوضية نفذت العديد من المشاريع التكاملية بالتنسيق مع الجهات المعنية في دولة الإمارات متمنية مواصلة تعزيز التعاون والتنسيق والشراكة لتلبية احتياجات ومتطلبات المواطنين اليمنيين في مدن وقرى ومناطق الساحل الغربي.

وكان ممثل الهلال الأحمر الإماراتي بالساحل الغربي قد بحث مع باريليت، تعزيز التنسيق والتعاون المشترك بين الجانبين في تأهيل فرق إغاثة مراكز ومخيمات النازحين في الساحل الغربي.

وتطرق اللقاء إلى المشاريع الإنسانية والخدمية والتنموية التي نفذتها الإمارات على امتداد قرى ومدن ومناطق الساحل الغربي، ومنها إنشاء وتأهيل 32 بئرا ارتوازية وتزويدها بالمنظومة الشمسية، وإعادة تأهيل 44 مركزا صحيا، و40 مدرسة، و22 مركزا للإنزال السمكي، وتوزيع 159.335 سلة غذائية متكاملة على القرى والمناطق المحررة بالساحل الغربي.

عرائس داعش الصغيرات يواجهن اضطهادا مزدوجا من التنظيم وأعدائه

❑ **مخيم الهول (سوريا)** – حاولت روان عبود الفرار من تنظيم الدولة الإسلامية بعد مقتل زوجها الأول، العضو في التنظيم والذي كان يسيء معاملتها. لكنها سُجنت وأجبرت على الزواج من مقاتل آخر. وعندما توفي الثاني، تمكنت أخيرا من الهرب.

وهي الآن محتجزة مع أنصار للتنظيم المتشدد الذي كانت تنشد الهرب منه منذ أن كان عمرها 13 عاما.

وقالت الفتاة السورية البالغة من العمر 18 عاما، لقد "تزوجت عندما كان عمري 12 عاما". وأضافت "أتى بي زوجي وقتها إلى الرقة. كان يضربني ويقول إنني مرتدة لأنني حاولت الهرب".

وانضمت الآلاف من النساء، وخصوصا أجنبيات تدفقن من أوروبا وشمال أفريقيا، طواعية إلى تنظيم الدولة الإسلامية اقتناعا بالتفسير المتشدد للإسلام وتزوجن من أعضاء في التنظيم.

ولا يزال بعضهن من الأنصار المتعصبين لفكر التنظيم، ويُقمن في مخيمات فررن إليها في شرق سوريا تخضع لسيطرة القوات التي تدعمها الولايات المتحدة والتي طردت التنظيم من آخر أرض كانت تحت سيطرته الشهر الماضي.

لكن الكثيرات من أمثال روان، اللاتي زوجتهن أسرهن المحافظة في سوريا والعراق ولبنان في سن صغيرة، لا يجدن أمامهن خيارا.

وروان وعدة سوريات وامرأة لبنانية زوّجها أهلها أيضا في سن الطفولة لرجل انضم لتنظيم الدولة الإسلامية، محتجزات حاليا مع أشد أنصار التنظيم تعصبا في قطاع يخضع للحراسة في مخيم الهول.

وتخشى هؤلاء النسوة، اللاتي تنظر إليهن القوات التي يقودها الأكراد على أنهن مشتبه بهن بينما يعانين الاضطهاد على يد النساء المحتجزات معهن، من أن مصيرهن البقاء رهن الاحتجاز لفترات طويلة أو التعرض للقتل على يد المتشددات من أنصار التنظيم المحتجزات معهن.

وأمضت روان ثلاثة أشهر في مخيم الهول إلى جانب أكثر من 60 ألف شخص فروا من المعركة في الباغوز، آخر جيب مأهول بالسكان كان التنظيم يسيطر عليه قبل هزيمته هناك الشهر الماضي.

وفي مقابلة أجرتها معها رويترز هذا الشهر، كانت ترتدي معطفا أخضر اللون وقفازات تكشف عن أصابعها، بينما كانت تضع مساحيق تجميل للعين تحت نقابها الذي ترتديه فقط حتى لا تلفت انتباه أنصار التنظيم.

واستخدمت روان لفظ "داعش" في الإشارة إلى تنظيم الدولة الإسلامية بدلا من كلمة "الدولة" التي ما زالت الكثيرات في المخيم يستخدمنها.

وقالت إن زوجيها ماتا. ولم تقل إنهما استشهدا خلافا لما يصف به أنصار التنظيم قتلاهم عادة. وقالت "زوجي الأول قتل أثناء معارك قبل نحو ثلاث سنوات، الحمد لله".

وحاولت روان الفرار من الأراضي الخاضعة للدولة الإسلامية، وسُجنت في الرقة معقل التنظيم في ذلك الحين.

وعندما بدأ التحالف بقيادة الولايات المتحدة في قصف المدينة، قُتلت طفلتها الرضيعة البالغة من العمر تسعة أشهر. ونقلها المتشددون مع نساء أخريات من بلدة إلى أخرى مع تقهقرهم، وزوجوها لمقاتل آخر، قتل أيضا قبل عدة أشهر.

وفرت روان بعد ذلك مع ابنتها الأخرى البالغة من العمر الآن أربع سنوات. وتواجهان الآن مستقبلا غامضا.

وقالت روان "أريد أن أذهب إلى عائلتي في إدلب. لكن الآن يكفي أن أنتقل إلى جزء آخر من المخيم بعيدا عن الأجنبيات. مكان أتمكن فيه من استخدام هاتف".

وأوضحت أن قوات الأمن التي تحرس مخيم الهول رفضت طلباتها للانتقال إلى مكان آخر، مضيفة "يقولون دوما غدا، ويسألونني لماذا تزوجت من مقاتل من الدولة الإسلامية؟".

ولم ترد قوات سوريا الديمقراطية التي تدير المخيم على طلب للتعليق على احتجازها.

وقالت روان "لأنني هربت وبسبب هيئة ملابسي، تصفني النساء الأخريات بأني كافرة. يقمن برشقي بالحجارة. وعندما أقف في صف للحصول على الماء يقلن إن الصف ليس للسوريات".

وشكت أمل سوسي، وهي لبنانية بنفس القسم في المخيم، من معاملة مماثلة، وتخشى من أنها قد لا تتمكن من العودة إلى ديارها أبدا.

وكانت أمل البالغة من العمر 20 عاما قد استسلمت مع طفليها لقوات سوريا الديمقراطية في عام 2017 بعد مقتل زوجها في الرقة. وقالت إنها أعيدت إلى أراضي الدولة الإسلامية بعد شهور في تبادل للسجناء. وقالت "كان ذلك بمثابة عودة إلى نقطة الصفر".

وكان زوجها قد أخذها وهي مراهقة إلى سوريا للعيش في ظل الخلافة التي أعلنها التنظيم.

وتنتظر أمل أيضا نقلها إلى قسم آخر في المخيم. وقالت "ينبغي لمن أتت مجبرة منا أن يسمح لها بالمغادرة. يصفنا أنصار الدولة الإسلامية بأننا خنازير وكفار، يقولون إننا جواسيس للأكراد، ويعتدون علينا".

وتكافح قوات سوريا الديمقراطية للتعامل مع أعداد المشتبه بأنهم من المتشددين والمؤيدين للتنظيم القابعين في مراكز الاحتجاز والمخيمات مع رفض بعض الدول الغربية السماح بعودة مواطنيها.

وتتجول معظم السوريات والعراقيات في مخيم الهول بشكل منفصل عن الأجنبيات اللائي يخضعن لحراسة قوات سوريا الديمقراطية. وتستخدم الكثير من الأجنبيات مصطلحات شائعة بين المتشددين للحط من شأن غير الملتزمات بالفكر الإسلامي المتشدد ويحمّلن أعداء الدولة الإسلامية فقط مسؤولية محنتهن.

وتتمنى روان وأمل ونساء كثر أخريات الابتعاد عنهن قدر الإمكان.

وقالت أمل "لم نتخلص من داعش. لقد نقلوا أساسا الدولة الإسلامية إلى هنا، هذا ما يؤمنون به. يقولون إنهم سيقومون ببنائها هنا مجددا. المخيم تحت سيطرتهم".

لا خيارات في الأفق

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 – 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

مقدمات لضربة موجعة توجّه للتيار الإسلامي

تحركات تصحح الأوضاع في السودان وتحمي ليبيا من خطر سيصعب اقتلاعه

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

❏ هل هي صدفة أم عمل سياسي مدبّر أن يتزامن تقدم الجيش الوطني الليبي للسيطرة على طرابلس، مع الإعلان عن تنحية عمر حسن البشير عن رئاسة السودان، وتكوين مجلس عسكري انتقالي يدير البلاد. في الحالتين هناك مقدمات لضربة موجعة توجّه للتيار الإسلامي في المنطقة العربية.

تستهدف العملية التي بدأها الجيش الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر، في 4 أبريل الحالي، تنظيف الجيوب المتمردة وكسر شوكة الجماعات الإسلامية والكتائب المسلحة، والتي جعلت العاصمة رهينة لإرادتها السياسية، وعطلت المبادرات الرامية إلى تسوية حقيقية تقود البلاد إلى استعادة الهدوء والاستقرار من خلال الاعتماد على مؤسسة عسكرية نظامية.

نجح هذا التحرك في استهداف مراكز الميليشيات المسلحة، بما يفقد القوى الراعية لها توازنها. ويعني أن الأغراض التي عولوا عليها من وراء عقد الملتقى الجامع خلال الفترة من 14 – 16 أبريل الجاري، ذهبت أدراج الرياح، ما جعل غسان سلامة المبعوث الأممي إلى ليبيا يعلن عن تأجيل الملتقى لأجل غير مسمّى، ويترك التيار الإسلامي يبحث عن الخطوة التالية بعد الخسارة الأمنية والسياسية التي مُني بها.

جاءت تطورات السودان المتلاحقة لتوحي بالميل نحو تقليص نفوذ الحركة الإسلامية هناك. وكان توجه المحتجين نحو مقرها هدفا رمزيا لقطاع كبير منهم، وانشغلوا بضرورة عدم وجود دور خفي لها في التحرك الذي قام به الجيش السوداني، في إشارة توحي برفض احتفاظها بمكانة كبيرة في المرحلة التالية لتنحي البشير عن السلطة، والذي منحها دورا مؤثرا في السر والعلن، أثار غضب المواطنين، وفرض عدم الاعتماد على كوادرها في حزب المؤتمر الوطني الحاكم.

> يواجه التيار الإسلامي موقفا فاصلا في الموجة الثانية من انكساره (الموجة الأولى بعد 30 يونيو 2011)، ومرجح أن تتوالى إخفاقاته في دول أخرى، لأن عدوى الضعف تنتقل مثل القوة بالضبط، وحلقات هذا التيار تشد بعضها بعضا إلى أعلى أو تجذبها إلى أسفل

مهما كان خط سير الأحداث في السودان وتعرجاته سيواجه التيار الإسلامي بأطيافه المختلفة مأزقا جديدا، فتوجهات القوى الحزبية والمهنية تجد في عزل البشير فرصة للتخلص من الحركة وروافدها في الحياة العامة.

الجيش الليبي يتقدم نحو طرابلس لنزع فتائل قوى الإسلام السياسي

ولن تنطلي مناورات إعادة إنتاجها بأشكال أخرى، تذكر الناس بما جرى في 30 يونيو 1989، عندما تقدم البشير على رأس ما يسمى بثورة "الإنقاذ" ووضع رموز الحركة الإسلامية في سجن كوبر، باعتبار أنها حركة جادة قامت بها المؤسسة العسكرية لإصلاح الأمور المختلة آنذاك، ثم فوجئ الشعب بأنها انقلاب قامت به كوادر إسلامية مدربة في الجيش، وأفرجت عن رموزها (حسن الترابي ورفاقه) بعد مضي ستة أشهر التقطت فيها قدرا من أنفاسها السياسية.

لن تكون الليلة شبيهة بالبارحة في ليبيا أو السودان بالنسبة للتيار الإسلامي. وإذا كان رموزه في الأولى حققوا مكاسب عقب سقوط نظام العقيد معمر القذافي، منذ حوالي ثمانية أعوام، فإن تحركات الجيش الوطني تعيد تصحيح الأوضاع حاليا. وإذا كان رموزه في الثانية (السودان) مكثوا في السلطة لنحو ثلاثة عقود فلن يُقبل باستمرارهم في المستقبل.

في حالة ليبيا، كانت هناك أمنيات ورهانات على منح التيار الإسلامي فرصة للحكم وجدت آذانا صاغية لها في دوائر متعددة. ودخلت على الخط قوى خارجية وأحزاب داخلية مؤيدة جهلا أو عرفانا، اعتبرت هذه المعركة فاصلة في حياة التيار الإسلامي.

أكدت تطورات كثيرة أن ثمة رغبة للسيطرة على مقاليد الأمور في المنطقة العربية من خلال ضخ الدماء في عروق العناصر الإسلامية النشطة والدول الراعية لها. وعندما أجهضت هذه المحاولة في مصر بعد قيام ثورة 30 يونيو 2013، أصيب هذا السيناريو بنكسة كبيرة، خلفت وراءها ردود أفعال كبيرة، اضطرت البعض إلى التحلي بمرونة ظاهرة لتسويق قناعاته. في المحصلة تغيرت النظرة الكلية لتيار الإسلام السياسي، وسقطت حكومات عديدة كانت تقف خلفه. وتم تقويض طموحات عريضة والتي حملها مشروعه. وبقيت ليبيا والسودان على أنهما فرسا رهان لإعادة إحيائه مرة أخرى، وتعويض الخسارة التي أصابت أصحابه في القاهرة.

إذا سيطر إسلاميو ليبيا على الحكم سيكون من الصعوبة اقتلاعهم تماما من المنطقة برمتها. هكذا تحدث مصدر سياسي رفيع لـ"العرب"، مؤكدا أن "الملتقى الجامع الذي هندسه المبعوث الأممي كان يرمي إلى تمكين التيار الإسلامي، ولو تأخر تحرك المشير حفتر نحو طرابلس كانت ستظهر أجسام سياسية من خلال اتفاق جديد يطيح بالرموز القديمة".

وكشف المصدر، الذي طلب عدم الكشف عن هويته، أن الدول المنزعجة من نمو التيار الإسلامي وما يحمله من مخزون كبير للعنف والإرهاب تحركت خلال الفترة الماضية على أكثر من مستوى لقطع الطريق عما يجري ترتيبه في ليبيا، وتوصلت إلى تفاهمات مع قوى دولية رئيسية، في مقدمتها الرئيس الأميركي دونالد ترامب، على إجهاض هذا المخطط، ومنع الانزلاق إلى فوضى جديدة معبأة بالإرهاب والهجرة غير الشرعية.

وقال لـ"العرب"، إن تفاهمات حدثت وكانت على درجة عالية من السرية، واستخدمت فيها مناورات سياسية عدة، كي لا يتم التعرف على ملامحها من قبل الدول الداعمة للإسلاميين، فعنصر المفاجأة والتوقيت مهمان في هذه الحالة.

يبدو أن التحركات لم تتجاهل السودان، ووجدت في اتساع نطاق التظاهرات فرصة للتخلص من إرث الحركة الإسلامية وعدم الممانعة في التضحية بالبشير، والذي بذل جهودا مضنية للبقاء في السلطة، ووعد بتقليص عناصر الحركة في الحكم، وقام بالفعل بخطوات إيجابية في هذا المسار، لكنه ظل خاضعا لإرادة الحركة، وتيقّن أن الاستمرار بعيدا عنها أخطر من الارتماء في حضنها. لذلك عاد يوم الاثنين الماضي لحضن حزب المؤتمر الوطني بكل ما يحمله ذلك من حنين للحركة الإسلامية الأم.

تريد فئة كبيرة من السودانيين قطع أوصال هذه الحلقة، وترى أن الفرصة مواتية حاليا. وإذا لم يتم استثمارها بصورة جيّدة والحصول على ضمانات واضحة من المجلس العسكري يمكن أن تتم إعادة إنتاج الحركة الإسلامية عبر أذرعها المتغوّلة في الجيش.

يواجه التيار الإسلامي موقفا فاصلا في الموجة الثانية من انكساره (الموجة الأولى بعد 30 يونيو 2011)، ومرجح أن تتوالى إخفاقاته في دول أخرى، لأن عدوى الضعف تنتقل مثل القوة بالضبط، وحلقات هذا التيار تشد بعضها بعضا إلى أعلى أو تجذبها إلى أسفل.

لعل الصمت الذي يخيم على الدول التي عرفت بدعمها للتيار الإسلامي يحمل مضامين تتجاوز حدود عدم القدرة على توفير الدعم، وتصل إلى أنها سوف تواجه مصيرا غامضا، والقوى التي منحتها غطاء سياسيا للتمدد قررت رفعه ومحاصرتها، وهو ما يشير إلى أننا أمام إرهاصات تشير إلى خريف الإسلاميين في ليبيا والسودان، وربما تصل محطته إلى الجزائر وتونس والمغرب وغزة، ناهيك عن تركيا، والتي يقوم جزء معتبر من مشروعها السياسي على أكتافهم.

رسالة الشارعين الجزائري والسوداني تصل إلى مصر

تلميحات بتعديل مدة حكم الرئيس إلى 6 سنوات بأثر رجعي

أحمد جمال
صحافي مصري

❏ **القاهرة** – حملت التلميحات التي أبرزتها وسائل إعلام مؤيدة للحكومة المصرية، يومي الجمعة والسبت، بشأن تعديل مدة الرئيس في الحكم بالدستور إلى ست سنوات بأثر رجعي، ردود فعل متباينة، لأنها تعني بقاء الرئيس عبدالفتاح السيسي لمدة أربع سنوات فقط بعد انتهاء ولايته الثانية وليس 12 عاما.

وتوقعت مصادر سياسية حدوث ذلك كنتيجة غير مباشرة لما يجري في الجزائر والسودان، ومحاولة منع إيجاد بيئة مناسبة لعودة التظاهرات في مصر، والتي أطاحت بنظامي حسني مبارك ومحمد مرسي من قبل، في وقت تراكمت فيه أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية، حذرت دوائر أمنية من تبعات الغضب منها.

ويقول مراقبون في مصر لـ"العرب"، لن تقتصر المعاني والرسائل التي حملتها تظاهرات الجزائر والسودان على المسؤولين السياسيين والمواطنين في البلدين فقط، بل ستمتد إلى غيرهما، لأن عدوى اللجوء إلى الشوارع لم تعد داخلية، وتصل الأصداء والمضامين سريعا إلى الخارج عندما تنتصر إرادة الشعوب على الحكام، الذين يفقدون كل ما حصدوه من مكاسب تدريجيا.

وتضع الحكومة المصرية نصب عينيها ما يجري في الجزائر والسودان، ويبدو أنها تحاول حاليا عدم تهيئة الظروف المواتية لعودة التظاهرات إلى الشوارع، واجتثاث العوامل التي قد تدفع إليها، وكانت قد سنت قوانين تضاعف من صعوبة خروجها أصلا.

ولأن البرلمان يجري تعديلات على الدستور وتتعرض لبعض المواد المثيرة للجدل، بدأ مجلس النواب يتريث في إجازتها وخروجها من غرفه المغلقة. وبعد الإعلان عن اقتراب موعد إقرارها الأسبوع الماضي، فوجئت دوائر سياسية عديدة بتأجيلها، ما يشير إلى أن المسألة تحتاج لمداولات على ضوء المستجدات في كل من الجزائر والسودان.

وفسّر بعض المتابعين التأجيل بأنه محاولة لتحاشي إقرار مواد مثيرة للجدل، وفي مقدمتها المادة التي تنص على تمديد فترة الرئيس لست سنوات، ومنح الرئيس عبدالفتاح السيسي أحقية في الترشح مرة ثالثة ورابعة، ما يعني أنه سيستمر في الحكم لمدة 12 عاما (حتى عام 2034) بعد انتهاء ولايته الثانية الحالية في 2022.

ومهدت دوائر مقربة من الحكومة المصرية لهذه الخطوة من خلال تركيز وسائل الإعلام على أن هناك مقترحا لتكون مدة الـ6 سنوات بأثر رجعي، بمعنى تنطبق على الرئيس السيسي فقط، ويجوز تمديد ولايتيه من 4 سنوات لكل واحدة إلى 6 سنوات، أي يمضي في السلطة 4 سنوات أخرى فقط بعد انتهاء ولايته الثانية، ليكون حكم بذلك 12 عاما وفقا للتعديلات الدستورية المقترحة، وهو أمر لم يكن مطروحا من قبل.

وقال عمرو هاشم ربيع، الخبير بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، إن "الذهاب باتجاه إنهاء الفترة الرئاسية للرئيس السيسي في العام 2026 سيغير من اتجاه الكثير من القوى التي أعلنت مقاطعتها للاستفتاء، ويثبت أن القائمين على التعديلات الدستورية أدركوا أنه لا مجال للاستمرار المطلق في الحكم، وأن انتقال عدوى التظاهرات قد يأتي لا محالة".

وأكد ربيع لـ"العرب"، أن وطأة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية لم تختمر بالشكل الذي يؤدي إلى وجود احتجاجات قريبا، لأن هناك اتفاقا ضمنيا على عدم العودة إلى السيولة الأمنية التي تسببت فيها ثورتا يناير 2011 ويونيو 2013، ما يستوجب التعامل مع الموقف الراهن بكياسة وإيجاد متنفس يمنع انفجار الشارع.

وأثار الاتجاه نحو تغيير مسار بعض التعديلات، خاصة المادة المتعلقة بمدة حكم الرئيس، خلافا في وجهات النظر، ففي الوقت الذي رأى البعض أن ثمة حاجة سياسية إليها في هذه الأجواء، قال خبراء قانون إن التعديل يجب أن يكون سليما من الناحية الدستورية، كي لا يخرج مشوّها ومثيرا للارتباك.

وأوضح الخبير القانوني، شوقي السيد، أن البرلمان يواجه مأزقا دستوريا يدفعه إلى إعادة النظر في وضع مادة انتقالية بالتعديلات الحالية.

وأضاف لـ"العرب"، هناك خلاف حول تفسير كلمة "الأثر الفوري المباشر"، لأن المقترح المقدم تضمّن أن "تسري على الفترة الرئاسية الحالية والسابقة"، فيما يعد التفسير الأدق لها بأنها "تطبق في الفترتين الرئاسيتين المقبلتين"، وبالتالي أصبح البرلمان مطالبا بتوضيح الغرض من التعديل من خلال المضابط المصاحبة للتعديلات والتي تكشف الحكمة من النص وفهمه وتطبيقه بشكل واضح.

> بعد الإعلان عن اقتراب موعد إقرار التعديلات الدستورية الأسبوع الماضي، فوجئت دوائر سياسية عديدة بتأجيلها، ما يشير إلى أن المسألة تحتاج إلى مداولات على ضوء المستجدات في كل من الجزائر والسودان

الحق مع حفتر

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❏ إنه لأمر محيّر ويصعب فهمه. من ناحية يكثر الأوروبيون والأميركيون من الحديث عن الإرهاب الإسلامي السلفي الذي يصفونه بالمخرّب وينبغي قتاله أينما وُجد، ومن ناحية أخرى يَسكتون عن قطر وعن تمويلها ودعمها واحتضانها لجماعة الإخوان المسلمين ولكل أنواع الإسلام السياسي السلفي، علنا وعلى المكشوف، متحدية بذلك الأميركيين والأوروبيين، ومقاومة صلبة صامدة ضد حروبهم المعلنة ضد حلفائها الإسلاميين المجاهدين في ليبيا وسوريا واليمن وغزة ومصر والسودان، وفي أرجاء العالم الواسع كلها.

الأكثر غرابة أن الأميركيين والأوروبيين منهمكون في محاصرة إيران ومعاقبتها والسعي لإسقاط نظامها أو إجباره على تغيير سياساته وإيقاف تدخلاته في المنطقة، وخاصة في الدول الصديقة المتحالفة معهم، لكنهم، في الوقت نفسه، ساكتون عن ارتماء تميم القطري في الحضن الإيراني وكأنهم لا يستطيعون التأكد من ذلك، أو أنهم لا يقدرون على لجم هذه الـ(قطر).

مناسبة هذا الكلام مواقف الأوروبيين والأميركيين المتمسكين بالدفاع عن الديمقراطية والأمن والحرية وحماية حقوق الإنسان وسلطة القانون، وغضبُهم الشديد على الجيش الوطني الليبي الذي يحاول دخول العاصمة لتخليصها من الفوضى والفساد، ولفرض الأمن وسلطة القانون، تمهيدا لتحقيق المصالحة بين جميع الليبيين، وتسهيل إجراء انتخابات تعيد لليبيا إلى أهلها سليمة معافاة، بعد عذاب طويل.

وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو يدعو قوات خليفة حفتر إلى وقف عملياتها العسكرية ضد العاصمة الليبية، فورا، والعودة إلى مواقعها السابقة، لأنها "تهدد المدنيين، وتقوّض آفاق مستقبل أفضل لكل الليبيين". وهو وغيره من مسؤولين أوروبيين يعلمون أن الجيش ذاهب إلى طرابلس لطرد المجموعات المسلحة التي ترفض الاعتراف حتى بحكومة فائز السراج، برغم أنهم، أكثر من غيرهم، يعلمون بأن الحكومة المعترف بها (دوليا) واقعة تحت هيمنة تلك الميليشيات الأربع التي تملك، وحدها، سلطة الحل والربط في العاصمة، وهي:

- كتيبة ثوار طرابلس في وسط العاصمة،
- الدعم المركزي في وسط وغرب العاصمة
- قوة الردع المسلحة في قاعدة معيتيقة، المطار الوحيد العامل في ليبيا
- وكتيبة النواصي التابعة لمدينة مصراتة في جنوب العاصمة

وأغلب مسلحي هذه الميليشيات هم من الخارجين على القانون، ومن المحكومين بجرائم عادية غير سياسية والهاربين من السجون. والأغرب أن الأوروبيين والأميركيين لم يطلبوا من (معتمَدهم) فائز السراج، يوما، ولم يساعدوه على التخلص من تلك العصابات، وهو الذي يتمسكون به رغم فشله الكامل في كل شيء.

ليس من دلالة على ذلك أقوى وأكبر من شهادة نائب رئيس المجلس الرئاسي الليبي، علي القطراني، الذي استقال مؤخرا من المجلس بسبب انفراد فائز السراج بالقرارات، قائلا بصراحة إن "السراج تحركه الميليشيات، ولن يقود ليبيا إلا إلى مزيد من المعاناة والانشقاق".

وربُك حميد. فلولا الفيتو الروسي لصدر بيان عن مجلس الأمن الدولي يأمر قوات حفتر بوقف هجومها، ولاضطرت إلى ما ليس منه بد، ولأوقفت عملياتها وتركت طرابلس وأهلها الصابرين المصابرين تحت رحمة العصابات الحاكمة إلى زمن قادم طويل.

ونقل دبلوماسيون في مجلس الأمن أن المبعوث الأممي إلى ليبيا غسان سلامة بدا شديد التشاؤم حيال التطوّرات المرتقبة في الأيام المقبلة. وقالت تلك المصادر لوكالة فرانس برس إن سلامة يَعتبر أن عوامل عدة أدت إلى تطور الوضع في الاتجاه الحالي، منها أن حفتر يسيطر على نحو 65 بالمئة من النفط في البلاد، لكنه لا يحصل سوى على نحو 5 بالمئة من عائداته.

كما أن حفتر كان توصل إلى اتفاق مع السراج في أبوظبي على اتخاذ إجراءات محددة في طرابلس تحدّ من سيطرة الميليشيات، إلا أن السراج لم يطبق الاتفاق. وفي ظل حكم السرّاج تدفقت على ليبيا سفن محملة بأسلحة وذخائر مرسلة من حكومة أردوغان الذي يسعى لتقوية شوكة الإخوان المسلمين في ليبيا من أجل محاصرة مصر السيسي، وزعزعة استقرارها، بتمويل قطري مفضوح، وبعلم الأوروبيين والأميركيين، طبعا ودون أي شك.

إذن، بعد كل هذه المواقف المتناقضة والمسمومة التي أظهرها الأوروبيون والأميركيون من أحداث طرابلس الأخيرة، وبعد كل سعيهم، باستماتة، لحماية الإرهابيين، وإنقاذ المتعلق بخيوط الميليشيات، فائز السراج، ألا يحق لنا أن نقول: إن كل الحق مع خليفة حفتر، ولو كره الكارهون؟

لماذا سقط البشير وبقي بشّار

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ جاء سقوط عمر حسن البشير تتويجا لحراك شعبي مستمر منذ خمسة أشهر تقريبا، أي منذ بداية كانون الأول- ديسمبر 2018. بدأ الحراك بمطالب ذات طابع معيشي، من نوع الاحتجاج على زيادة سعر الخبز وانتهى برفع شعارات تطالب بإسقاط البشير الموجود في السلطة منذ ثلاثين عاما.

في الواقع، إن هذا الحراك مستمرّ منذ سنوات عدّة وقد استطاع البشير القضاء عليه عن طريق القمع كما حدث طوال العام 2018، لكن الذي حصل هذه السنة أنّ حدّة الانقسامات داخل النظام زادت، وكانت النتيجة أن وجد البشير نفسه معزولا بعدما استنفد كل الأساليب التي كان يعتمدها في الماضي من أجل البقاء في السلطة.

كان البشير يظنّ أن هناك هامشا يستطيع التحرّك في إطاره. من الواضح أنّ الرئيس السوداني المخلوع كان يجهل ما يدور على الأرض السودانية، حيث في أساس الأزمة الحقيقية التي يمرّ بها السودان طبيعة الذين يشاركون في التحرّك ضدّ نظامه منذ ديسمبر – كانون الأوّل 2018.

> السؤال الذي سيطرح نفسه مجددا هل يعود العسكر إلى الثكنات أم يحاولون إيجاد بشير آخر بعدما لمسوا ماذا تعني السلطة، وما هي الثروات التي يمكن لضابط جمعها من خلال ممارسته السلطة؟

يجهل البشير كلّ شيء عن الشباب السوداني الذي لديه تطلّعات مختلفة عن تلك التي لديه ولدى أبناء جيله والمدرسة التي ينتمي إليها. تقع أعمار هؤلاء الشبان بين 16 و35 عاما. لا يدري البشير أنّ عددهم يقترب من25 مليونا، أي إنهم يشكلون أكثرية في السودان الذي يبلغ عدد سكّانه 43 مليونا. لا وجود لأيّ علاقة بين البشير وهؤلاء الشبّان الذين باتوا على علم بما يدور في العالم. مثله مثل عبدالعزيز بوتفليقة لا يبدو البشير، الذي لا يزال يستطيع خلافا للرئيس الجزائري المستقيل السير على رجليه، على علم بما يدور في البلد.

لم يأخذ علما بأن المواطن السوداني مثله مثل الجزائري لا يستأهل مثل هذه الإهانة المتمثلة في وجود بوتفليقة أو البشير في موقع الرئيس. يستأهل الجزائري والسوداني أفضل من ذلك بكثير في بلدين لا ينقصهما الرجال من ذوي الكفاءات. المضحك – المبكي أن البشير راح، قبل سقوطه، يتحدث عن الاستعانة بكفاءات تتولى الوزارات والمواقع المهمّة. غاب عن باله أن هذا بمثابة اعتراف منه بأنّه وَضَعَ في المواقع الحساسة رجالا لا يتمتعون بالمؤهلات اللازمة للنهوض ببلد مليء بالثروات مثل السودان. هل من حاجة إلى ثلاثين عاما في السلطة كي يكتشف البشير أن هناك حاجة إلى كفاءات تدير بلدا مثل السودان؟

لا تُحصى المرات التي استطاع فيها البشير إنقاذ رئاسته منذ 1989. لجأ إلى كلّ الألاعيب، بل المناورات التي كانت في متناول يده. الدليل على ذلك، ذهابه إلى النهاية في قضية انفصال الجنوب. عندما احتاج إلى ورقة الانفصال، شجع عليه وذلك من أجل التغطية على حكم المحكمة الجنائية الدولية التي قررت ملاحقته بسبب جرائم ارتكبها في دارفور.

قبل ذلك، باع البشير فرنسا الإرهابي الفنزويلي "كارلوس". وتخلّص، عندما تبيّن له أن ذلك في مصلحته، من إرهابي آخر اسمه أسامة بن لادن. انتقل بن لادن من السودان إلى أفغانستان التي خطط منها لـ"غزوتي نيويورك وواشنطن" أو ما عرف بأحداث الحادي عشر من أيلول – سبتمبر 2001. لعب البشير في كل الحلبات ومارس كل البهلوانيات. كان مع إيران في مرحلة معيّنة. كان السودان محطة لتهريب أسلحة إيرانية إلى غزّة لمصلحة "حماس". في مرحلة معيّنة، انفتح على إسرائيل. وقبيل اندلاع الأحداث الأخيرة في السودان أواخر العام 2018، زار دمشق ليكون أول رئيس عربي يلتقي بشار الأسد منذ اندلاع الثورة السورية في آذار – مارس 2011. ليس معروفا إلى الآن ما الذي ذهب يفعله في دمشق، لكنّ الأكيد أنّه لم يدرك أن لا شيء يمكن أن ينقذ النظام السوري.

بقيت مشكلة عمر حسن البشير مع شعبه أوّلا. لو كان لديه أي حلّ لأي مشكلة، لما كان حصل انفصال الجنوب حيث أكثرية مسيحية. كان الفشل الأوّل للبشير في عجزه عن تقديم نموذج لدولة عصرية تسودها ثقافة التسامح. كان همّه في مرحلة معيّنة إيجاد طريقة لاسترضاء إسرائيل التي ساعدها استقلال جنوب السودان في إيجاد موطئ قدم آخر في القارة الأفريقية.

من أهمّ الأخطاء التي ارتكبها البشير تجاهل تاريخ السودان الحديث. في العام 1964 طفح الكيل في السودان ونزل الناس إلى الشارع واسقطوا قائد الانقلاب العسكري الفريق إبراهيم عبود الذي بقي ست سنوات في السلطة.

كان الشعار الذي رفعه المتظاهرون والهتاف الذي أطلقوه وقتذاك: "إلى الثكنات يا حشرات". عاد العسكر بالفعل إلى الثكنات. تكررت تجربة 1964 في 2019. الفارق أن البشير رحل مع إراقة قليل من الدم فقط. أمّا السؤال الذي سيطرح نفسه مجددا هل يعود العسكر إلى الثكنات أم يحاولون إيجاد بشير آخر بعدما لمسوا ماذا تعني السلطة، وما هي الثروات التي يمكن لضابط جمعها من خلال ممارسته السلطة؟ سيكون الصراع على السودان بين الجيش والشعب. هذا عنوان المرحلة المقبلة في السودان، سودان ما بعد عمر حسن البشير.

يبقى سؤال يطرحه كثيرون هذه الأيّام؛ لماذا سقط عمر حسن البشير وقبله عبدالعزيز بوتفليقة وقبلهما زين العابدين بن علي وحسني مبارك ومعمر القذافي وعلي عبدالله صالح، في حين لا يزال بشّار الأسد في دمشق؟

يعود الفارق بين الشارع السوري والشارع السوداني إلى الاختلاف بين طبيعة النظامين في سوريا والسودان. النظام السوري نظام أقلّوي لديه عصبية وأجهزة أمنية تابعة لهذه الأقلّية تدافع عنها بشراسة. في المقابل، إن الخلافات الداخلية، بما في ذلك الانقسامات داخل القوات المسلّحة، ميّزت نظام البشير منذ اليوم الأوّل لوصوله إلى السلطة في 1989 بغطاء من الإخوان المسلمين ومن الراحل حسن الترابي بالذات.

ما هو أهمّ من ذلك كلّه، أن سوريا على حدود إسرائيل وأنّ هناك التقاء في المصالح بين إيران وروسيا وإسرائيل عند بقاء بشّار الأسد في دمشق أطول مدّة ممكنة نظرا إلى أن كل طرف من هذه الأطراف الثلاثة لديه هدفه الخاص من وجود بشّار في دمشق... وإن كان هذا الوجود شكليا. إيران تريد السيطرة على جزء من سوريا، دمشق ومحيطها والحدود مع لبنان تحديدا، لذلك دعمت النظام بميليشياتها المذهبية، على رأسها "حزب الله"، كي تتمكن من تحقيق ما تصبو إليه وإبقاء الجسر البرّي مع لبنان. أمّا روسيا، التي تبيّن أنّها تنسق في العمق مع إسرائيل، فهي معنية بإيجاد موطئ قدم في المنطقة وحماية مصالح خاصة بها، بينها خطوط أنابيب الغاز التي يمكن أن تمر في الأراضي السورية والتي يمكن أن تشكل منافسا للغاز الروسي الذي تتزود به أوروبا... أمّا إسرائيل، فإنّ همها الأوّل والأخير تفتيت سوريا. هل أفضل من بقاء بشار الأسد في دمشق لتحقيق هذا الهدف وضمان ألا تقوم لسوريا قيامة في أيّ يوم من الأيّام؟

السودان لشبابه

فرح وقلق في الجزائر والسودان.. وحسرة في سوريا

رانيا رضوان مصطفى
كاتبة سورية

❏ تنحّى عبدالعزيز بوتفليقة، وسقط عمر حسن البشير، بعد تظاهرات سلمية عارمة في كلّ من الجزائر والسودان. احتفل الشعبان بنصرهما في الساحات والشوارع، دون أن يغادراها، رغم إعلان حالة الطوارئ وحظر التجوال وتعليق الدستور في كلا البلدين، في محاولة من المؤسستين العسكريتين للسيطرة. يدرك المحتجّون أن أمامهم مراحل شاقة من الاحتجاجات، خوفا من تكرار ما حدث في الدول التي انتفضت قبل ثماني سنوات، من عودة النظام القديم، وسيطرة العسكر والدكتاتورية، أو سيطرة الإسلاميين، أو أن يغري ترك الساحات أجهزة الأمن بالقيام بقمع وحشي، ومع رفض للمعارضات التقليدية، وخوف من أن يقود الفراغ المؤسساتي إلى فوضى وتدخلات خارجية وإقليمية.

بعد مضي ثمانية أعوام على انطلاق موجة الثورات العربية الأولى، وما نتج عنها من تعثر كامل في تونس، ومصادرتها في مصر مرتين، من الإسلاميين ومن العسكريين، والفوضى في ليبيا، وحرب وجوع في اليمن، ومقتلة دموية كبرى في سوريا، بعد كل ذلك وغيره، تخرج تظاهرات عارمة مجددا، ما يفرض على النظم ومعارضاتها العقلانية، والقبول بحتميّة تغيير قواعد اللعب السياسي، وإعطاء دور للشعب. في حين تبدو محاولات إعادة الدكتاتورية هزلية.

هزلية عودة الدكتاتورية في سوريا تلخّصت في إعادة النظام تنصيب تماثيل الأسد الأب في دير الزور، ثم في درعا، في الذكرى الثامنة للثورة، بعد أن أسقطها المتظاهرون في 2011؛ إذ تظاهر الأهالي رفضا لما أسموه "الصنم" إلى مدينتهم. والواقع أن لحظة القطع مع قبول الشعب ببقاء الدكتاتورية في سوريا كانت مع تمزيق أول صورة للأسد علّقت مدخل نادي الضباط في مدينة حمص، منتصف أبريل 2011.

اليوم، يحتفل الجزائريون والسودانيون بانتصارهم الذي يبدو أنه تمّ بسلاسة، رغم ما يشوبه من قلق واستعداد للقادم. ويتطلع الملايين من السوريين في دول اللجوء والمخيمات، وفي مناطق المعارضة، ومناطق النظام، وحتى المؤيدين منهم، لما يجري في الجزائر والسودان بغبطة، وحسرة في نفس الوقت على حال بلدهم المدمر، والمتنازع عليه، وحتى بقاء النظام لم يُحسم، رغم إعلانه الانتصار.

مرت الجزائر بتجربة العشرية السوداء؛ الرئيس المتنحي بوتفليقة عمل على طيّ صفحتها منذ استلامه الحكم في 1999، فسمح بنشاط سياسي للإسلاميين، وأزاح القيادات المتورطة من الجيش، وهمّشه؛ ويبدو أن هذا التهميش هو ما دفع بالجيش إلى الوقوف مع الشعب، لكن دون أن يقبل الشعب باستفراده بملء الفراغ.

أما السودان، فقد مرّ بتجربة ثورية عريقة في سنة 1985، انتهت بحكم مدني انقلب عليه البشير في 1988، وهو المطلوب للعدالة الدولية بسبب مجازره في دارفور والجنوب، وزاوج بين حكم العسكر والإسلاميين، والأخيرين قاموا بجلد النساء بسبب ارتدائهن البنطال. وهنا يبرز دور النساء القيادي في تظاهرات الخرطوم، ما يقول بأن الشعب السوداني تجاوز العقليات المحافظة، وكذلك يبرز دور صغار الضباط في الجيش، الذين أعلنوا انحيازهم للشعب ضد موقف قياداتهم التي أرسلت قوات الأمن لقمع التظاهرات.

في سنة 2011، تظاهر كلا الشعبين الجزائري والسوداني، وقوبلا بالقمع، وفرضت تجربتهما الثورية عليهما التريّث. الآن يبدي الشعبان موقفا واضحا من الإسلاميين ومن العسكر، بسبب تجربتهما الخاصة، وما رأياه من تجارب بلدان الربيع العربي.

الوضع السوري شديد التعقيد، فليست للشعب السوري تجارب حديثة في الثورات؛ فانتفاضة الإخوان المسلمين في الثمانينات كانت بدوافع طائفية، ولم تلق تأييدا شعبيا، وانتفاضة الأكراد في 2004 لم تحظ بدعم بقية مكونات الشعب السوري، كونها رفعت مطالب تخصّ الأكراد، بعد احتلال العراق، وسط مخاوف لدى السوريين من تكرار السيناريو في سوريا.

النظام ردّ على الإخوان المسلمين بقمع طائفي، وبقانون لإعدام كل من ينتمي للجماعة، وبالتالي ظلت مسألة الثمانينات عالقة دون حلّ، واستفاد منها النظام في حشد العلويين وربط مصيرهم ببقائه، عدا عن تخويف بقية الأقليات الدينية، خصوصاً المسيحيين من قدوم الإسلاميين.

وضمن النظام ولاء الجيش المطلق، بصبغه طائفيا، فيما تصدّر الإخوان المسلمون تحالفات المعارضة في الخارج، قبل الثورة وبعدها، وتصدروا العمل الإعلامي كذلك بفكرهم الطائفي، مستغلين مظلومية الثمانينات.

بعد احتلال العراق، تحالف الإخوان مع إعلان دمشق، وتشكلت قناعة لديهم بأن النظام لن يسقط إلا بتدخل خارجي، يوافقون عليه، وبعد الثورة ظلوا يعملون ضمن نفس العقلية دون الالتفات إلى دور الشعب، بل ساعدوا النظام بالضغط على الحاضنة الشعبية للتخلي عن الثورة، وراهنوا على التدخلات الخارجية، والحصول على التسليح الذي كان مشروطا بالأسلمة.

موقع سوريا ضمن منطقة تجاذبات سنية ـ شيعية دفع إيران إلى دعم النظام، وإقناعه بالبقاء، بعد أن هدّدت قوى الثورة، مطلع 2013، بإسقاطه في دمشق. وكذلك شكل ضعف النظام فرصة لروسيا لاستعادة نفوذها الإقليمي، بتدخلها العسكري، وإنشاء قواعدها العسكرية. هذا إضافة إلى حساسية مجَاورة سوريا لإسرائيل، ما جلب المزيد من التدخلات، فكان تنظيم داعش فرصة لتدخل أميركي وفرنسي وبريطاني، وتدخل تركي يدعم المعارضة، وبسبب دعم أميركي للمطالب الكردية بالانفصال والحكم الذاتي.

> الوضع السوري شديد التعقيد، فليست للشعب السوري تجارب حديثة في الثورات؛ فانتفاضة الإخوان المسلمين في الثمانينات كانت بدوافع طائفية، ولم تلق تأييدا شعبيا، وانتفاضة الأكراد في 2004 لم تحظ بدعم بقية مكونات الشعب السوري، كونها رفعت مطالب تخص الأكراد، بعد احتلال العراق، وسط مخاوف لدى السوريين من تكرار السيناريو في سوريا

رفع الشعب السوري شعارات ضد الإسلاميين، وكانت مطالبهم مدنية، وتشمل كل السوريين؛ لكن النظام استطاع تأمين ولاء الجيش، وتأييد المدن الرئيسية، دمشق وحلب، وسكانها من الطبقة الوسطى، الذين لم يستجيبوا لمطالب الإضراب، بسبب خوفهم من الفوضى، حيث لم يصل أثر التحديثات الليبرالية الجديدة السلبي إليهم، كما حال المناطق الريفية، والمدن الأصغر.

كلّ ذلك دفع التظاهرات إلى الاقتصار على الأطراف، دون العاصمة، وبالتالي سيطر عليها الطابع المحلي والمحافظ، واعتقال وقتل وطرد نشطاء الصف الأول أدى إلى سهولة تحويل الثورة إلى ما يريده النظام والمعارضة، من طائفية وأسلمة وتهجير، وقبول بتدخلات خارجية، واتباع سياسة تحرير المدن والقرى، ثمّ تدميرها من النظام.

وغير الجيش العقائدي، وموقع سوريا الإقليمي، وقلة الخبرة الثورية، هناك الصمت الدولي والإقليمي على مجازر النظام، ما يدلل على رغبة المجتمع الدولي في قمع النظام الوحشي للثورة، لوضع حدّ لسيل الثورات في المنطقة، الأمر الذي لم يتم مع تفجّر ثورتين عربيتين أطاحتا بنظامي الحكم بيسر أكبر مما تم في 2011.

اللقاء الأخير

اسكتلندا تلعب لعبة التوازن بين بريكست والاستقلال

● الانفصاليون يرون فرصة في الفوضى السياسية حول بريكست

● القوميون يشددون على فصل قضية الاستقلال عن الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي

عندما توجه الناخبون في اسكتلندا في سبتمبر عام 2014 للتصويت في الاستفتاء على استقلال البلاد عن المملكة المتحدة كان هاجسهم أن يؤدي الانفصال إلى خروج بلادهم بالتبعية من الاتحاد الأوروبي، ويصبح على اسكتلندا، كدولة جديدة، تقديم طلب الانضمام إلى الاتحاد والذي يتطلب موافقة كافة الدول الأعضاء به. اليوم انعكست الصورة، فبريطانيا هي التي ستنفصل عن الاتحاد الأوروبي، الأمر الذي يعيد الجدل إلى الواجهة، ويطرح من جديد قضية انفصال اسكتلندا، خاصة وأن الانفصاليين يتطلعون إلى أن تعدّل الفوضى السياسية حول بريكست توازن القوى.

❑ **إدنبرة** – في حين تواجه المملكة المتحدة عقبات جمّة لتطبيق بريكست، تترقب الحكومة الاسكتلندية تحقيق ما كانت تطمح إليه منذ زمن وهو الاستقلال. وتمثل قضية الاستقلال كما بريكست، موضوع نقاش لم يسهم الإرجاء الجديد لموعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في تسويته.

ووعدت رئيسة الوزراء الاسكتلندية نيكولا ستورجون، المعارضة بشدة لبريكست، بكشف تفاصيل إضافية عن خططها للاستقلال هذا الشهر، بعد أن أرجأت هذا الاستحقاق بانتظار نتيجة بريكست.

وكانت اسكتلندا أجرت سنة 2014 استفتاء حول استقلالها، كانت نتيجته تصويت 55 بالمئة من الناخبين لفائدة البقاء في المملكة المتحدة. وبعد عامين خلال استفتاء بريكست صوّت 62 بالمئة من الاسكتلنديين ضد بريكست خلافا لبريطانيا وويلز.

وقال بن ماكفرسن، الوزير الاسكتلندي المكلف بشؤون أوروبا في ليث شرق إدنبرة، إن الحكومة "متمسكة تماما باسكتلندا مستقلة في الاتحاد الأوروبي".

> رئيسة الوزراء الاسكتلندية نيكولا ستورجون، المعارضة بشدة لبريكست، تعد بكشف تفاصيل إضافية عن خططها للاستقلال هذا الشهر، بعد أن أرجأت هذا الاستحقاق بانتظار نتيجة مفاوضات بريكست

بعد خمس سنوات على الاستفتاء الذي نظم في اسكتلندا فإن أنصار الاستقلال يبدون انقساما حول بريكست. ويقول فيل، وهو متقاعد يجلس في حديقة إدنبرة المركزية، إنه يرغب في "استقلال تام" أي عن بريطانيا والاتحاد الأوروبي. ويؤكد أن الحزب القومي الاسكتلندي بزعامة ستورجن "قام بالعديد من الأمور الجيدة لكنني لا أوافقه بشأن بريكست".

ويشير إلى أنه ينوي التصويت لصالح حزب نايجل فاراج الجديد "حزب بريكست" المشكك في أوروبا. أما شريكته ليزا فتقول إنها "أولا اسكتلندية ثم أوروبية". وصوّت ناخبون مؤيدون لأوروبا ضد الاستقلال خلال استفتاء 2014 في حين يرغب آخرون في قطع كل صلة بلندن وبروكسل.

ويرى جيم فيرلي، المساعد السابق لرئيس الحزب القومي الاسكتلندي، أن مشروع الاستقلال الاسكتلندي مع البقاء في الاتحاد الأوروبي يحمل "تناقضا ظاهريا" وربط المسألتين يعني "أنهم لن يحصلوا على أصوات القوميين التقليديين كأمثالي". وذكر أنه "للحفاظ على زخم الحركة المؤيدة للاستقلال، على الحزب القومي الاسكتلندي فصل قضية عن الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي".

لكن بعض الاسكتلنديين الذين صوتوا ضد بريكست يميلون إلى الانفصال، حيث تقول ماري كراين، من وسط إدنبرة التاريخي قرب قصر قديم يعود إلى عدة قرون، "أعرف كثيرين صوتوا للبقاء في بريطانيا وغيّروا آراءهم لأنهم سئموا من بريكست".

إذا كان البعض قد غير موقفه، فإن هذا الأمر لم يؤثر في الواقع على المعادلة، لأنه بحسب استطلاعات الرأي الحالية فإن 55 بالمئة من الاسكتلنديين يؤيدون البقاء في المملكة المتحدة مقابل 45 بالمئة يؤيدون الاستقلال، بحسب الخبير في الاستطلاعات جون كورتيس من جامعة ستراثكلايد.

ويعتبر الانفصاليون أن الفوضى السياسية حول بريكست قد تعدّل توزان القوى. وقال كيفن برينغل، المدير السابق للاتصالات الاستراتيجية في الحزب القومي الاسكتلندي، "هذا يسلّط الضوء على مشكلة العجز الديمقراطي". ويبقى التركيز منصبا على كيفية إقناع الناخبين المحافظين الراغبين في البقاء في الاتحاد والمملكة المتحدة. وقال كريغ، وهو موظف خمسيني، إن "على الحزب القومي الاسكتلندي التركيز على عمله اليومي بدلا من الاستقلال". ولتعقيد مهمة الحزب القومي الاسكتلندي أكثر فإن شروط بريكست غير واضحة كما موعد خروج بريطانيا من الاتحاد. وقال كيفن برينغل "الأمر مثل سراب في الصحراء".

ومن بين الرهانات معرفة ما إذا كانت بريطانيا ستبقى أم لا ضمن الاتحاد الجمركي بعد بريكست ما يبدد القلق حول مخاطر "الحدود البرية" بين اسكتلندا وباقي المملكة المتحدة في حال استقلال اسكتلندا. وعلى الناشطين الاتفاق على سلسلة مسائل اقتصادية بما في ذلك العملية التي سيعتمدها الاسكتلنديون. وبالنسبة إلى برينغل "يمكن رفع التحدي لكن لا أحد يقلل من شأن صعوبته".

ستورجون لن ننتظر أكثر

جروح عائلات المفقودين في الحرب الأهلية اللبنانية مازالت مفتوحة

قانون تأسيس هيئة مستقلّة للمخفيين يبقى حبرا على ورق مع إقفال الأحزاب خزائن ماضيها في الحرب

❑ **بيروت** – للمرة الأولى منذ سنوات طويلة، تحيي عائلات المفقودين والمخفيين قسرا الذكرى الـ44 لاندلاع الحرب الأهلية، بينما يحدوها الأمل في معرفة مصير أحبائها بعد إقرار قانون قبل أشهر عدةّ ينصّ على تشكيل هيئة وطنية مستقلّة لتقفّي أثرهم.

وأقر البرلمان في نوفمبر هذا القانون بموافقة القوى السياسية، بينما يعود لمجلس الوزراء تعيين الهيئة وإصدار المراسيم الخاصة بذلك، لكن نجاحها في عملها مستقبلا يعتمد بالدرجة الأولى على ضوء أخضر تمنحه الأحزاب التي شاركت في الحرب (1990–1975) لمقاتليها، من أجل الإفصاح عما بحوزتهم من معلومات عن مفقودين ومقابر جماعية.

وتخللت سنوات الحرب فصول مرعبة من العنف وانتهاكات حقوق الإنسان والخطف على الهوية (بحسب الانتماء الطائفي) التي لجأت إليها الأطراف المتحاربة كافة، وقوى عسكرية غير لبنانية تدخلت في النزاع. وخلّفت سنوات الحرب وفق تقديرات أكثر من 150 ألف قتيل و17 ألف مفقود.

نص قانوني ولكن..

تقول وداد حلواني، رئيسة لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان، "إنها أول ذكرى للحرب تحلّ وبين أيدينا نص قانوني كرس حقّ المعرفة، وبالتأكيد يزيد هذا الأمر من أملنا في الوصول إلى حقيقة كل الأشخاص الذين فقدوا، الأحياء منهم والأموات".

ومنذ العام 2005، تشارك حلواني، التي خطف زوجها من منزلهما في العام 1982، مع العشرات من النساء في اعتصام مفتوح في خيمة منصوبة في حديقة أمام مقر الأمم المتحدة في وسط بيروت، تزيّنها صور لمفقودين ومخطوفين من أقاربهن ويطالبن بمعرفة مصيرهم.

وأقرّ مجلس النواب في نوفمبر قانونا هو الأول من نوعه، ينصّ على تشكيل هيئة وطنية للمفقودين والمخفيين قسرا. ومن صلاحياتها جمع المعلومات والاستماع إلى الشهود والتعامل مع مسألة المقابر الجماعية. ويعطي القانون عائلات المفقودين "الحق في معرفة مصير أفرادها وذويها المفقودين أو المخفيين قسرا وأمكنة وجودهم أو إمكان احتجازهم أو اختطافهم وفي معرفة مكان وجود الرفات واستلامها". وتوضح حلواني "إنه أمر مهم جدا لأهالي المفقودين حتى يتمكنوا من متابعة حياتهم، كما كل الناس، لا أن نقضي حياتنا في الانتظار"، مضيفة "أعتقد أننا نستحق كأهالي مفقودين أن نخرج من هذه الحالة المتأرجحة".

ويعود إلى مجلس الوزراء تعيين الهيئة المؤلفة من 10 أعضاء بعد تسمية جهات مستقلة، بينها نقابتا المحامين والأطباء، مجلس القضاء الأعلى وجمعيات المفقودين وناشطين حقوقيين، أسماء ممثليها. على أن تعمل لاحقا على وضع نظامها الداخلي ومباشرة عملها.

ويقول النائب السابق غسان مخيبر، وهو أحد معدي مشروع القانون، إن "القرار السياسي بصدور قانون يجب أن يتثبّت اليوم في تعيين هيئة ويُترجم بتسهيل عملها".

وعلى الهيئة أن تستهل عملها بإعداد قائمة موحّدة بأسماء كافة المفقودين وفق مخيبر بعد "تقفي أثرهم والتحقق من وجود من هم على قيد الحياة والسعي إلى عودتهم، وإلا فعودة رفات المقتولين أو الموتى، وبالتالي نبش المقابر المختلفة" التي دفنوا فيها.

وفي بلد كلبنان، حيث الانقسامات السياسية والطائفية حكمت سنوات الحرب وتحكم سنوات السلم، فإن حصول العائلات على أجوبة لطالما انتظرتها لا يبدو وشيكا.

ويسأل مخيبر "في أي مقبرة جماعية ستبدأ البحث؟ أماكن الدفن موجودة على كامل الأراضي اللبنانية، وكل منطقة كانت تحت تحكم جهة عسكرية أو أمنية معينة"، وبالتالي فإن "اختيار الأماكن وكيفية التعامل مع نبش هذه المقابر في المناطق يحتاجان إلى الكثير من الحكمة والجرأة".

ورغم تشديده على طابع عملها "الإنساني"، لكنه يعتبر أن "عددا من الأحزاب التي كانت ميليشيات سابقا وتخبئ جماجم في خزائنها ولديها ماض في جرائم الحرب، باتت تخشى، بشيء من الحذر وبالحد الأدنى، من عمل هذه الهيئة في المستقبل".

واصطدمت كل الحملات السابقة المطالبة بكشف مصير المفقودين بعدم تعاون الأحزاب التي تورّطت في الحرب وتقاعس السلطات.

لم تندمل بعد

يرى الباحث لقمان سليم، مدير جمعية أمم للأبحاث والتوثيق، التي تعنى بتوثيق ذاكرة الحرب في لبنان وعملت لسنوات على جمع بيانات عن المفقودين، أن الآمال في التوصل إلى نتائج ملموسة ضئيلة.

ويقول "أن تصوّت سلطة سياسية أيديها ملطخة بالدم على قانون من هذا القبيل يعني بكل بساطة أنها لا تخشى من مفاعيله، وتعرف جيدا أنه كما الكثير من الأمور في لبنان، سيبقى هذا القانون حبرا على ورق".

وأنهى اتفاق سياسي في مدينة الطائف السعودية سنوات الحرب في لبنان. وفي العام 1991، استفاد زعماء الحرب والعديد من المتورطين فيها من عفو عام أثار انتقادات عدة.

ويجزم سليم بأنه "في مجلس النواب والحكومة ودوائر القرار الملحقة بالزعماء، هناك العشرات ممن يملكون التفاصيل لما نحتاج إليه من معلومات للكشف عن مصير بعض المفقودين أو للتعرف إلى مواضع المقابر الجماعية".

وينتمي هؤلاء إلى "أحزاب وتنظيمات مختلفة" تمّ في وقت لاحق "تبييض" صفحاتهم وفق سليم، الذي يشكك في قدرة القانون على "إعادة الساعة إلى الوراء ودفع اللبنانيين إلى التفكير مجددا.. بما أدى بهم إلى الدخول في نزاع دموي دام 15 سنة".

وبالنسبة إلى عائلات المفقودين والمخطوفين، فالمطلوب من السلطات والأحزاب والأفراد والمؤسسات أمر واحد وهو الدفع إلى تطبيق القانون.

وتقول حلواني "المجتمع بأكمله معني بمعرفة الحقيقة لأنها المدخل الفعلي والإلزامي للمصالحة الحقيقية بين أبناء الشعب اللبناني". وتضيف "لطالما اتهمتنا السلطات المتعاقبة بنكء الجراح، لكن ما نريده نحن هو أن نبلسمها، لأنها لم تندمل بعد".

أسئلة طال البحث عن أجوبة لها

«إخوان النازي».. فيلم يكشف علاقة حسن البنا بأدولف هتلر

نافذة على أسرار جديدة تحتفظ بها خزائن الأرشيف يعلن عنها بعد انتهاء عقد المصالح

لفت فيلم وثائقي، حمل عنوان «إخوان النازي»، الأنظار ضمن فعاليات الدورة الحادية والعشرين لمهرجان الإسماعيلية السينمائي الدولي للأفلام التسجيلية والقصيرة، وذلك لما طرحه من تفاصيل حول علاقة مؤسس الإخوان المسلمين، حسن البنا، بالزعيم الألماني النازي أدولف هتلر. بدت بعض الأطروحات في الفيلم مبالغا فيها، فيما ترد مخرجته جيهان يحيى توفيق وكاتب المادة الوثائقية توحيد مجدي، على الأسئلة المطروحة بالتأكيد على أن كل ما جاء في الفيلم يستند إلى وثائق بريطانية وألمانية ذات مصداقية، وتكشف إلى أي مدى تعاون الإخوان مع الألمان، وفي نفس الوقت يغيرون الولاء نحو الولايات المتحدة، ثم كيف تآمر حسن البنا ضد عزيز المصري لأن الألمان كانوا يرونه رمزا وطنيا يحظى بالاحترام والجدارة بتولي حكم مصر.

سعد القرش
روائي مصري

❏ خلال 55 دقيقة، يكشف الفيلم التسجيلي المصري «إخوان النازي» علاقة حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين بألمانيا النازية. وهي علاقة بدأت بالتوافق الفكري بين البنا وأدولف هتلر؛ فالأول ينطلق من استعلاء إيماني يطمح إلى أستاذية العالم من خلال أتباع ينخرطون في تنظيم صارم يرى أنهم «جماعة المؤمنين»، والثاني مهووس بالاستعلاء العرقي معلنا تفوق الجنس الآري على غيره.

وفي فترة قصيرة أصبحت الفكرة سلوكا، والسلوك جسرا يمتد من القاهرة إلى برلين، ويحمل 15 ألف مقاتل، قال الفيلم إن البنا جنّدهم ودربهم، وأرسلهم إلى الحرب في صفوف النازي خلال الحرب العالمية الثانية، ولم يبق منهم على قيد الحياة بعد انتهاء الحرب إلا 939 فردا، ثم عاد العشرات منهم فحسب إلى مصر عبر ميناء الإسكندرية.

لا يذكر الفيلم اسما واحدا من هؤلاء، ولكنه يؤكد رصد المخابرات البريطانية لعلاقة جاسوسية قام بها البنا لحساب هتلر، وأن البنا والشيخ أمين الحسيني تم إدراجهما ضمن محاكمات نورمبرغ، وفي اللحظة الأخيرة تم رفع الاسمين؛ لاحتياج القوى الاستعمارية إلى جهود التنظيمات اليمينية الدينية لشق الصف الوطني.

وأثارت هذه المعلومات جدلا كبيرا مع مخرجة الفيلم جيهان يحيى توفيق وكاتب المادة الوثائقية توحيد مجدي، عقب عرض الفيلم مساء الجمعة 12 أبريل 2019، في الدورة الحادية والعشرين لمهرجان الإسماعيلية السينمائي الدولي للأفلام التسجيلية والقصيرة.

شهود عيان

احتشد الفيلم بمجموعة من قيادات إخوانية سابقة أعلنت الانشقاق عن الجماعة وباحثين ليسوا محسوبين على أي تيار حزبي، والوكيل السابق لجهاز مباحث أمن الدولة اللواء فؤاد علام مسؤول الجماعات الدينية في وزارة الداخلية، الذي لم يقطع هو وغيره بمعرفة علاقة ما بين البنا وهتلر. ولكن الفيلم يستند إلى وثائق بريطانية وألمانية، قال توحيد مجدي إنها "سبق حصري لم يسبق نشرها أو عرضها من قبل" وهي توثق اتصالات كان الشيخ أمين الحسيني طرفا في جزء منها حين قابل هتلر، كما كان الفريق عزيز باشا المصري طرفا في جزء آخر.

أبديت في الندوة تحفظي على الفيلم كأن يكون «موجّها»؛ أو يحمل شيئا من المبالغة؛ لأن 15 ألفا هو رقم كبير لا تستطيع جماعة إخفاءه وتهريب أعضائه عبر الحدود. ويفترض أن بعضا من أهالي جنود تلك الفرقة الإخوانية أبلغوا عن اختفائهم، وأن سجلات الأمن تحتفظ بأسمائهم؛ فلا تتأثر هذه السجلات بتغيير النظام من ملكي إلى جمهوري، إذ لا يتغير إلا اسم الجهاز سيء السمعة، من القلم السياسي إلى مباحث أمن الدولة إلى جهاز الأمن الوطني، وكل جهاز يرث الوثائق المحفوظة بعناية. كما أظهر الفيلم حسن البنا ككائن ذي قدرات أسطورية عابرة للحدود، فأجاب توحيد مجدي بأن البنا كان يرسل إلى مسؤولي دول إسلامية بأن يرسلوا إليه اليتامى حيث لا عائل لهم، فيسهل عليه تجنيدهم.

حفزني الفيلم إلى البحث عن رؤى غربية، فوجدت أن كتاب «الإخوان المسلمون في أوروبا.. دراسة تحليلية لتنظيم إسلامي»، تأليف سمير أمغاز وترجمة دينا محمد، يذكر أن الإخوان تحت ستار العمل الدعوي

> الفيلم يؤكد رصد المخابرات البريطانية لعلاقة جاسوسية قام بها البنا لحساب هتلر، وأن البنا والشيخ أمين الحسيني تم إدراجهما ضمن محاكمات نورمبرغ، وفي اللحظة الأخيرة تم رفع الاسمين؛ لاحتياج القوى الاستعمارية إلى جهود التنظيمات اليمينية الدينية لشق الصف الوطني

استطاعوا أن يؤسسوا «500 مؤسسة في 28 بلدا أوروبيا»، وكانت «الجماعة الإسلامية في ألمانيا التي تأسست عام 1958 هي الفرع الألماني للإخوان المسلمين في أوروبا الذي أسسه سعيد رمضان عام 1958». فهل كان لدى الجماعة بأموال التبرع ما يكفي لإنشاء هذه المؤسسات؟

وفي كتاب «لعبة الشيطان.. كيف ساعدت الولايات المتحدة على إطلاق العنان للأصولية الإسلامية»، تأليف روبرت دريفوس وترجمة أحمد مصطفى حسونة، عودة إلى عام 1928 حين تأسست الجماعة كجزء من خطة بريطانية لدعم «قواعد بناء اليمين الإسلامي. لم يتورع خبراؤهم عن استخدام فكرة الإحياء الإسلامي، طالما كانت تخدم أهدافهم من أجل تحقيق حلم الإمبراطورية العظمى... مصدّا ضد الشيوعيين والوطنيين المصريين، وفي ما بعد ضد الرئيس جمال عبدالناصر».

وبعد تغيير طبيعة التحالف ونقل الولاء من بريطانيا إلى القوة الكبرى الجديدة وهي الولايات المتحدة، أوصى الدبلوماسي الأميركي جيفرسون كافري بأن يُدعى سعيد رمضان السكرتير الشخصي لحسن البنا وزوج أخته إلى ملتقى برنستون والبيت الأبيض عام 1953 حيث قابل الرئيس الأميركي دوايت أيزنهاور.

عميلة بريطانية في منزل البنا

في الفيلم الذي أنتجه كل من كاتبه ومخرجته ينجح الإنكليز في زرع عميلة بريطانية بمنزل حسن البنا، بعد أن منحوها اسم «نور عنايت»، وقدمت نفسها باعتبارها ممرضة وشقيقة إخواني اختفى، ولعله قتل في الحرب. ويكلف البنا طبيبا بتحرّي أمر الممرضة المزعومة. وكانت المخابرات البريطانية قد وضعت صورتها في ملف ممرضة مصرية اسمها نور عنايت، فيطمئن إلى أنها بالفعل ممرضة تسأل عن أخيها.

تنجح العميلة في الحصول على وثائق تثبت علاقة الإخوان بالنازي الذي كان يمدّ البنا بأموال يجري تزويرها في برلين بدقة شديدة لشراء السلاح وتدريب المقاتلين. ويقول الفيلم الذي يتحصّن بوثائق فيلمية وورقية إن قوات الحلفاء التي استولت على الوثائق الألمانية بعد هزيمة هتلر اكتشفت «العملية برنر»، وعرفت أسرار وجود الدولارات الأميركية والجنيهات الإسترلينية والمصرية الملكية المزورة، والتي كانت تطبع على الورق نفسه، ويصعب تمييزها عن الأوراق الحقيقية أو اكتشاف مصدرها.

سعى الفيلم إلى إبراز علاقة البنا وهتلر كحالة نادرة من التعاون، ولم يشر إلى السياق العام المصري والعربي الكاره لبريطانيا، وكان الرأي العام المصري يهتف «إلى الأمام يا روميل»، ويتعاطف مع هتلر نكاية بالإنكليز الذين أذلوا الملك فاروق وأجبروه على تكليف مصطفى النحاس برئاسة الوزارة في 4 فبراير 1942 وإلا سيكون الثمن هو العرش نفسه.

وكان الملك فاروق يميل إلى الجانب الألماني، كما اتهم الضابط أنور السادات بالتجسس لحساب الألمان، وكان «أبوالثوار» الفريق عزيز المصري على اتصال بالألمان، وحاول بمساعدة عملاء لهم في القاهرة، أن يهرب في مايو 1941 للقاء روميل، بعد التمويه للإفلات من الرقابة البريطانية والشرطة المصرية، واستقل طائرة بصحبة الضابط المنتمي إلى الإخوان عبدالمنعم عبدالرؤوف، وسقطت الطائرة.

ويقول الفيلم إن البنا الذي كان صديقا لعزيز المصري هو الذي أبلغ البوليس المصري عن هروبه؛ لأن الألمان كانوا يرون في عزيز المصري رمزا وطنيا يحظى بالاحترام والجدارة بتولي حكم مصر، وكانوا يخططون لذلك بعد انتصارهم في الحرب، فأراد البنا بدافع هذه الغيرة أن يفسد خطتهم، وألقي القبض على الرجل وأودع السجن.

فهل يكون فيلم «إخوان النازي» نافذة على أسرار جديدة تحتفظ بها خزائن الأرشيف، ثم تعلن بعد انتهاء عقد المصالح المتبادلة؟

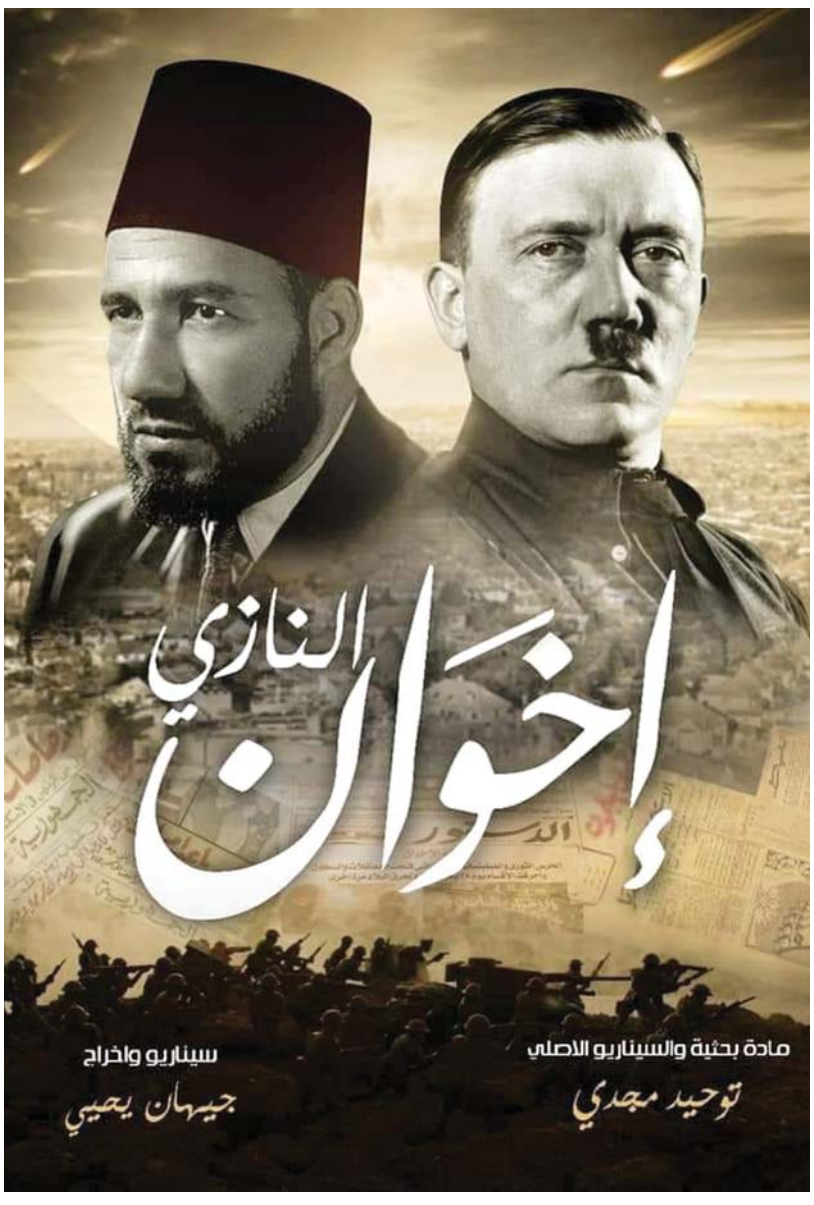

الفيلم يؤكد أطروحاته بوثائق ألمانية وبريطانية

توحيد مجدي

> حسن البنا كان يطلب من مسؤولين في دول إسلامية بأن يرسلوا إليه اليتامى حيث لا عائل لهم، فيسهل عليه تجنيدهم وبعض هؤلاء حارب في البلقان

الشيخ أمين الحسيني كان طرفا في الاتصالات بين الإخوان وهتلر

الإخوان يثيرون الجدل بين جمهور يتفق على أنهم أشرار

❏ يوجد في مصر اتفاق تقريبي على دموية الإخوان وطائفيتهم. ولكننا إزاء فيلم، وفي الفن يصعب التساهل، وهذا ما أثار غضب الكاتبيْن الصحافييْن نبيل عمر وأيمن الحكيم، بخصوص ما رآه الأول تهويلا، وما اعتبره الثاني بعدا أحاديا لفيلم «إخوان النازي»، وعدم الاستعانة بآراء مؤرخين محترفين ليست لهم مواقف مبدئية من القضية المثيرة للجدل، وإنما يتوقفون بالتحليل، والتشكيك أو التأكيد، لوثائق أراد بها صناع الفيلم دعم حجتهم.

لكن المخرج أحمد عاطف أبدى ترحيبا بالفيلم وحماسة له، ورفض أن يُنتقد الفيلم من خارجه، قائلا إن النقد السينمائي يبدأ بالفيلم وينتهي به، ولا يصحّ أن يُملى على المخرج توجّه معين، أو وجهة نظر يتمناها المشاهد أو الناقد، وعلى من يشكك في أيّ وثيقة أن يثبت ذلك بوثيقة مضادة.

المخرج مجدي أحمد علي اتفق مع الباحث سامح عيد على أن حسن البنا أكثر خطورة من سيد قطب، ووجه التحية إلى صناع الفيلم.

وأشار إلى أنه شاهد قبل فترة فيلما وثائقيا في فضائية أوروبية عن قضية تشبه ما ذهب إليه الفيلم، وأبدى دهشة من التقليل من حجم الجهد المبذول في إعداد الفيلم أو التشكيك في وثائق، قال صناع الفيلم إنها من مصادرها، «ولو وردت هذه الوثائق في فيلم أجنبي لصدقناها واعتبرناها سبقا نادرا».

مدير التصوير سعيد شيمي كان أول من شاهد نسخة الفيلم، قبل انعقاد المهرجان، ورشحه للمشاركة. وقال إن من يسبق إلى العثور على وثيقة يجب أن يوجه إليه الشكر، مضيفا أن توحيد مجدي عثر أيضا على وثائق فيلمية نادرة عن ثورة 1919، وقدمها إلى المركز القومي للسينما، لعل أحد المخرجين يستفيد منها في صناعة فيلم وثائقي جديد في الذكرى المئوية لثورة 1919.

أكد توحيد مجدي أن حسن البنا جنّد نحو 200 ألف مقاتل من عموم العالم الإسلامي، وبعض هؤلاء حارب في البلقان، وتناول صعوبات التعامل مع المادة الأرشيفية الغزيرة في حيّز محدود ككتاب أو فيلم مثل «إخوان النازي»، حيث كان العمل فيه يتسم بالكثير من السرية والتوتر «لأن عملي حصري، ويكاد يكون انفرادا».

وقل مجدي «كنا نخفي المادة ونخاف أن يسبقنا إليها أحد قبل الانتهاء من صناعة الفيلم»، مضيفا أنه بصدد عمل جديد عن شقة استأجرها حسن البنا وتطل نافذتها على قصر عابدين في القاهرة، وكانت مركزا لاتصالاته بالألمان.

ثائر يغرد خارج سرب مصراتة الإسلامية

سالم جحا

عسكري يرفض الحرب والتطرف ويحلم بليبيا مدنية

● زحف الجيش في اتجاه طرابلس مع إصرار الإسلاميين على عرقلة الانتخابات وخاصة الرئاسية، يؤكد عدم واقعية رؤية جحا للحل.

● جحا ابن المؤسسة العسكرية النظامية يتميز بخطابه العقلاني الهادئ، حيث يرسم صورة جديدة ومختلفة تماما عن صورة العسكري التقليدي المعروف بالاندفاع والنزوع نحو العنف.

منى المحروقي

❑ لم يكن مفاجئا غياب الفريق ركن سالم جحا عن العمليات العسكرية التي تقودها حكومة الوفاق ضد تقدم الجيش بقيادة المشير خليفة حفتر نحو طرابلس. فالرجل الذي يلقب بـ"الجنرال الوردي" اختار الابتعاد عن الاقتتال رغم أنه يتبع حاليا المجلس الرئاسي الذي عينه مؤخرا نائب رئيس الأركان العامة.

أعطت موافقة جحا على التعيين أمالا لليبيين بقرب حل الأزمة وإنهاء الانقسام، مستندين في ذلك على تهربه طيلة السنوات الماضية من تولي مناصب ومسؤوليات قد تزج به في الصراع الدامي.

وطيلة السنوات الماضية، جرى تداول اسم جحا كرئيس للأركان العامة مرارا ليخرج في كل مرة ويعلن رفضه لأي تعيين قبل توحيد الجيش. كما اعتذر عن تعيينه عضوا في غرفة عمليات تحرير سرت في عام 2016.

> «الجنرال الوردي» لقب يطلقه الليبيون على جحا الذي اختار الابتعاد عن الاقتتال رغم أنه يتبع حاليا المجلس الرئاسي، الذي عينه مؤخرا نائب رئيس الأركان العامة. وقد أعطت موافقة جحا على التعيين آمالا لليبيين بقرب حل الأزمة وإنهاء الانقسام

وتعززت تلك الآمال بتصريحات لمسؤولين ليبيين وأمميين تؤكد اقتراب الأطراف المتصارعة من التوصل إلى صيغة اتفاق تنهي سنوات من الاقتتال الأهلي، تحت عناوين مختلفة.

خطاب عقلاني

اتفق رئيس المجلس الرئاسي فايز السراج والمشير خليفة حفتر في نهاية فبراير الماضي بأبوظبي، على إنهاء المرحلة الانتقالية بإجراء انتخابات عامة حسبما تم الإعلان عنه، وسط أنباء عن اتفاقات أخرى تشمل دخول الجيش سلميا إلى طرابلس لتأمين العملية الانتخابية، ويبدو أن السراج تراجع عنها بعدما عاد إلى العاصمة الواقعة فعليا تحت سيطرة الإسلاميين الذين يرفضون الانتخابات، ما دفع حفتر إلى اللجوء إلى القوة.

ظل كرسي جحا في الاجتماعات التي عقدها السراج طيلة الأيام الماضية، مع رجاله من العسكريين لبحث سبل التصدي لتقدم حفتر نحو العاصمة، فارغا، ما يعكس نأيه بنفسه عن هذه الحرب.

أكثر ما يلفت الانتباه في حديث جحا ابن المؤسسة العسكرية النظامية خطابه العقلاني الهادئ، حيث يرسم صورة جديدة ومختلفة تماما عن صورة العسكري التقليدي المعروف بالاندفاع والنزوع نحو العنف. يميل جحا منذ بدء الانقسام في 2014 إلى الابتعاد عن الظهور الإعلامي أو الإدلاء بتصريحات، وإن حصل فإنه يوجه خطابه في اتجاه المصالحة وتوحيد مؤسسات الدولة.

هذا العسكري الليبي ما زال يتمتع بلياقة بدنية عالية، رغم اقترابه من إتمام عقده الخامس، نجح بفضل انحيازه لإنسانيته، قبل الوطن، في كسب شعبية واسعة لدى جميع الليبيين بمختلف توجهاتهم، باستثناء المتطرفين منهم، سواء الإسلاميين أو أنصار القذافي.

يجد جحا اليوم نفسه في موقف صعب أمام زحف حفتر نحو طرابلس، ولاسيما مع انضمام مجموعات مسلحة متطرفة إلى جانب قوات حكومة الوفاق للتصدي لتقدم الجيش. وكان جحا قد أكد عقب أيام من تعيينه نائبا لرئيس الأركان "أنهم لن يطلقوا رصاصة واحدة ضد أي جندي من القيادة العامة".

يواجه تغوّل الإسلاميين

يتحدر سالم جحا من مدينة مصراتة التي ولد فيها سنة 1960 وتخرج من الكلية الحربية في طرابلس عام 1981 حيث تدرج في الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة فريق ركن. وهو ينتمي إلى أسرة السويحلي العريقة، التي عرفت بتاريخها في الجهاد الليبي، فكان منها المجاهد رمضان السويحلي، مؤسس الجمهورية الطرابلسية سنة 1918 بغرب ليبيا.

عندما اندلعت أحداث 17 فبراير في 2011 كان جحا آمرا لأحد المعسكرات في مدينة مصراتة، وكان من أوائل الضباط الذين التحقوا بـ"بالثورة" وانشقوا على نظام القذافي وذلك في الثاني والعشرين من فبراير عام 2011.

اختير جحا حينئذ قائدا لثوار مصراتة وشارك في كافة المعارك التي اندلعت منذ ذلك التاريخ وحتى تحرير مدينة سرت ومقتل القذافي. سخّر حينئذ كل الفنون الحربية التي يعرفها، في قيادته لشباب مصراتة وهم يصدون القوات الموالية للنظام، لكنه كان أول من توجس من سلاح الثوار وأدرك باكرا أن هؤلاء قد يتحولون إلى ميليشيات.

قال عقب سيطرة قواته على مصراتة "إن من يتوجسون خيفة من سلاح الثوار الذين خرجوا وقالوا لا للطاغية، يجب أن يطمئنوا، إن هؤلاء الشباب لا مطامح لهم، وسيندمجون في الجسد المدني بعد انتهاء التحرير، وعلى الساسة ألا يستغلوا جهود هؤلاء الشباب".

وأضاف "قلت لرفاقي من الثوار من زملاء نادي السويحلي (نادي كرة قدم): وصيتي إن مت؛ نرجع بعد النصر إلى مقرنا الرئيسي، أي إلى نشاطنا الأول كأعضاء في النادي، بعيدا عن السلاح والمناصب وغيرها".

عقب إسقاط النظام، حدث كل ما تخوف منه جحا، فهيمن الإسلاميون على كامل ليبيا، وخاصة مدينة مصراتة التي باتت الآن ذات ثقل

> جحا يجد اليوم نفسه في موقف صعب أمام زحف حفتر نحو طرابلس، لاسيما مع انضمام مجموعات مسلحة متطرفة إلى جانب قوات حكومة الوفاق للتصدي لتقدم الجيش. وكان جحا قد أكد عقب أيام من تعيينه نائبا لرئيس الأركان «أنهم لن يطلقوا رصاصة واحدة ضد أي جندي من القيادة العامة»

عسكري كبير، حيث يقدر عدد الميليشيات فيها بالمئات. كان أول من تصدى لتغول الإسلاميين عندما كان رئيسا لاتحاد الثوار في مدينة مصراتة، حيث رفض قرار المؤتمر الوطني (البرلمان) بتكليف القوة الثالثة في مصراتة التي يقودها الميليشيوي صلاح بادي، بالهجوم على مدينة بني وليد التي ظلت مؤيدة لنظام القذافي حتى سقوطه، وما زالت إلى اليوم.

جهوده لتوحيد القوات

ويتهم الليبيون مصراتة بالسعي للهيمنة على البلاد مستفيدة من كونها قادت حرب الإطاحة بالقذافي. وكثيرا ما اشتكى الجيش الليبي من إرسال المدينة لجرافات محملة بالسلاح والمقاتلين دعما للإرهابيين في مدينة بنغازي أثناء معارك تحريرها.

كان جحا من القلائل وتقريبا الوجه الوحيد الذي غرد خارج سرب مصراتة الإسلامية فرفض عملية فجر ليبيا، التي قادتها كتائب المدينة ضد وحدات عسكرية موالية للشرعية كانت تسيطر على العاصمة، وتحديدا في مطار طرابلس الدولي. دفع ثمن تلك المواقف ترهيبا وتهديدا من قبل المتطرفين الذين اتهموه بـ"خيانة الثورة" خاصة بعدما عين ملحقا عسكريا في سفارة ليبيا لدى الإمارات.

يقول عنه الكاتب الصحافي الليبي محمد عمر بعيو في تدوينة على صفحته بموقع فيسبوك إنه "يكاد يكون الوحيد أو مع قلة قليلة من أبناء مصراتة المعروفين للإعلام وللرأي العام الذين لا خلاف حولهم في كل الوطن".

ويضيف "رفض سالم جحا سنة 2011 أن يتولى وظيفة رئيس الأركان التي اختاره لها آنذاك المجلس الانتقالي رغم ضغوط الثوار ومطالبات أصحاب المصالح والغايات، ورضا قطر التي كانت حينئذ عبر ضباطها ومخابراتها وبواسطة أتباعها وعملائها الحاكم الحقيقي في طرابلس".

هذا الرفض لتيار الإسلام السياسي لا يعني قبوله المطلق بالمشروع المقابل الذي يقوده المشير خليفة حفتر، حيث تعكس تحركاته مخاوف حقيقية من إمكانية إرجاع ليبيا إلى حكم عسكري ينهي آمال الليبيين بإرساء دولة ديمقراطية مدنية.

قاد جحا فريق المنطقة الغربية في مفاوضات توحيد المؤسسة العسكرية التي رعتها القاهرة على مدى أكثر من سنة، وكان يحدوه الأمل بإمكانية جمع شتات العسكريين مجددا تحت مؤسسة موحدة.

لكن تلك المفاوضات توقفت رغم قطعها أشواطا مهمة في اتجاه الهدف، بعدما رفض حفتر الانضواء تحت قيادة مدنية غير منتخبة، في إشارة إلى فايز السراج الذي ينظر إليه كواجهة منمقة للإسلاميين وحلفائهم الدوليين والإقليميين.

> الليبيون يتهمون مصراتة بالسعي للهيمنة على البلاد مستفيدة من كونها قادت حرب الإطاحة بالقذافي. وكثيرا ما اشتكى الجيش الليبي من إرسال المدينة لجرافات محملة بالسلاح والمقاتلين دعما للإرهابيين في مدينة بنغازي أثناء معارك تحريرها

حاول منذ اندلاع الأزمة في 2014 تجميع كل القوات الموجودة على الأرض التي تؤمن بليبيا المدنية الديمقراطية. ويقول متابعون لتحركات الرجل المحسوب على التيار المدني في مصراتة، إنه عمل طيلة الفترة الماضية على التوصل إلى تسوية بين الجيش والإسلاميين القابلين بحفتر كطرف في الاتفاق وتحديدا الإخوان المسلمين.

يرى جحا أن محاولات القضاء على الإسلاميين بالعنف لن يؤدي إلا إلى حمام من الدماء وإكسابهم تعاطف الشعوب التي ستنظر إليهم حينئذ كأبطال يقاومون من أجل رفع راية الدين، ويعتقد أن استبعادهم لا يكون إلا برفع درجة الوعي لدى المواطنين. لكن زحف الجيش في اتجاه طرابلس مع إصرار الإسلاميين على عرقلة الانتخابات وخاصة الرئاسية، يؤكد عدم واقعية رؤيته للحل الذي لن يكون إلا بحسم عسكري يجبر الطرف الخاسر على تقديم تنازلات.

الإنسان من الداخل في إشراقاته

أحمد ماطر

فنان عالمي يقيم في بيئته

فاروق يوسف

❏ "ابن عسير" لقبه مثلما هو لقب الكثير من أبناء تلك المنطقة التي تقع جنوب المملكة العربية السعودية. غير أن ذلك اللقب بالنسبة له يكتسب طابعا إلهاميا، يحرر من خلاله صفحات علاقته بالفنون المعاصرة، ما خفي منها وما ظهر.

فبالرغم من أن اسمه قد أدرج في قائمة الفنانين العرب المعاصرين من قبل نوادي الفن العالمية التي تمارس سلطة على أسواق الفن غير مسبوقة في التاريخ فإنه لم يستسلم لأجندات تلك النوادي في أسلوب تعاملها مع الفنان العربي أو المسلم.

الرقم الصعب في المعادلة

أحمد ماطر لم تغره أسواق الفن التي أعدت بطريقة محكمة من أجل استمالة الفنان العربي في إطار سياسي – ديني لا يمكنه الإفلات منه باعتباره الحيز الوحيد المسموح له بالحركة فيه إذا ما رغب في أن يكون ذا حظوة في تلك الأسواق.

> بطولته المضادة تستند إلى التفكير من داخل الصورة. لأنه مصور فوتوغرافي أيضا. تلك واحدة من تجليات عصيانه. فهو يقيم علاقة بين ما يُرى بطريقة شفافة وبين ما لا يُرى

العكس تماما هو ما فعله ماطر. لقد قرر أن يخلص إلى بيئته. فكانت أسئلته الوجودية انعكاسا لعلاقة تعتمد أصلا على البوح الداخلي. لم يكن الاعتراف في تلك العلاقة موجها إلى الآخر بطريقة تزل بالشهادة عن محتواها الإنساني.

ولم تكن الشهادة هي الهدف. ربما لأنه تعلم من التشريح، وهو طبيب أصلا، أن الفكرة لا يمكن الوصول إليها عن طريق ما يظهر منها. تلك بالنسبة له هي الضلالة التي وقع فيها الكثيرون ممن صارت أعمالهم رائجة في أسواق الفنون المعاصرة.

كانت بطولته المضادة تستند إلى التفكير من داخل الصورة. ألأنه مصور فوتوغرافي أيضا؟ تلك واحدة من تجليات عصيانه. فهو يقيم علاقة بين ما يُرى بطريقة شفافة وبين ما لا يُرى ليكون بمثابة استحضار للشيء في حياة لم يعشها من قبل.

سيكون من الصعب تجنيس الأعمال الفنية التي أنتجها ماطر إلا إذا ارتأينا وضعها عشوائيا تحت لافتة الفن المعاصر وهو حكم فيه الكثير من العبث. ذلك لأن ماطر نفسه وهو صعب المراس لا يميل إلى فكرة الانتماء إلا إذا تعلق الأمر بالبيئة التي لا يزال يستلهم عناصر فنه من إيحاءات مفرداتها الغنية.

بيسر وجد له مكانا في لندن وفينيسيا وذاعت شهرته عالميا، غير أنه لا يزال يصر على محليته. وهو ما صنع منه رقما صعبا، لم تتمكن أسواق الفن من احتوائه أو استدراجه إلى برامجها الترويجية.

ولد أحمد ماطر آل زياد عسيري عام 1979 في مدينة تبوك شمال السعودية. عام 1994 عادت عائلته إلى مدينتها أبها في منطقة عسير جنوب المملكة ليكمل دراسته الثانوية هناك. بعدها التحق بكلية الطب، جامعة الملك خالد في أبها وفي الوقت نفسه انضم إلى قرية المفتاحة للفنون وهي جزء من مركز الملك فهد الثقافي. هناك حصل على مرسمه الخاص وساهم في تأسيس جماعة "شتا" التي أقامت أول معارضها عام 2005.

الواقع والحقيقة وما بينهما

أقام ماطر معرضا شخصيا في عام 2010 بلندن بعد أن كان قد عرض أعماله في بينالي الشارقة 2007 وفي بينالي القاهرة 2008 وفي المتحف البريطاني بلندن عام 2006 و2008 وفي بينالي فينيسيا 2009 وفي برلين 2010. كما أنه يرعى معرض "حافة الصحراء" الدوري الذي تقوم مهمته أصلا على اكتشاف أسماء سعودية جديدة في عالم الفن المعاصر.

يقوم الآن بالإشراف على معهد "مسك" للفنون التابع لمؤسسة محمد بن سلمان الخيرية. وهو معهد أقل ما يُقال عنه إنه يؤدي جزءا من مشروع الانفتاح السعودي.

ماطر إذا هو طبيب وفنان. ثنائية العلم والفن تلك انعكس مزيجها على عالمه الفني في ظل تشبثه بمفهوم الفن الاجتماعي الذي سبق أن طرحه في ستينات القرن الماضي الفنان الألماني جوزيف بويز باعتباره موقفا سياسيا، لكن في إطار ما هو فني. وهو ما يؤسس لعقد بين العمل الفني وجمهوره يقوم على أساس رؤية ثقافية تخترق الزمن كما تفعل الأشعة السينية بالجسد. يحرص ماطر على أن يقدم أفكاره على هيئة سلسلة من الأعمال الفنية تحت عنوان واحد؛ "إضاءات" و"إشراقات" و"مغناطيسية" و"البقرة الصفراء".

عالم بخيال فنان

يملك ماطر فكرا واضحا وهو يعرف ما الذي يفعله. يقول عن مشروعه "البقرة الصفراء" "إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين. بعض الأحيان يمتلئ الإنسان بالأفكار والتخيلات، وكان مشهد البقرة الصفراء هاجسا عندي منذ زمن. كيف أقدم هذا المشهد؟ ذهبت إلى القرية واخترت بقرة بيضاء. رجع لي الهاجس مرة أخرى. ولكنني هذه المرة قررت أن أحرر الفكرة أكثر وأصنع منها منتجات". شيء من الظرف في إمكانه أن يواجه الواقع بالحقيقة والعكس صحيح.

يقف ماطر بتوازن على ضفتين وهو ينتقل بينهما بخفة. فهو يصنع أفلاما بتقنية الفيديو ويركب الأشياء الجاهزة في سياق فن التجهيز وفي المقابل لا يزال يرسم على الورق وعلى القماش. مفهومه الخاص عن الفنون المعاصرة حرره من عقدة الاتباع. فهو لا يرغب سوى أن يكون نفسه؛ الكائن الوارث الذي لا يزال إرثه يتحرك في مناطق خيال خصبة.

وهو في الوقت نفسه صاحب رؤية علمية، وفرت له التقنيات إمكانية أن يكون سيد أدواته.

في ذلك المجال يمكن اعتبار ماطر استثناء يعتد به. فبقدر اهتمامه بألم الإنسان الداخلي كان حريصا على أن يلقي نظرة على المحيط البيئي. فكانت فكرته عن تسجيل مراحل التطور التي عاشتها بلاده بمثابة إعادة اعتبار إلى الحاضر باعتباره صيغة حياة.

لا يرضى ماطر بأن يكون في فنه وسيطا. الفن من وجهة نظره لا يصلح وسيلة للنقل. هو الحدث وليس التعبير عن الحدث. النصوص الشعرية التي يضمنها أعماله هي الأخرى وقائع كتابية ولا يأمل الفنان أن يعتمد على معانيها في تحقيق أي نوع من التأثير. إنها من وجهة نظره أشغال بصرية مثلها مثل الزخرفة التي أحاط بها إشراقاته التي هي نتاج الأشعة السينية.

ستبدو اللعبة مضطربة بين ما هو بصري وما هو شعري لو لم يكن ماطر قد استعد لذلك الاضطراب من خلال اعتماده على أسلحته العلمية. عن طريق تلك الأسلحة يمارس الفنان نوعا من الردع في اتجاهين؛ الداخل والخارج، الواقع والحقيقة. إنه يقول ما يعرف غير أنه في الوقت نفسه يعتذر لأنه لا يعرف ما يقول. خيال الفنان يسبق شك العالم.

بطولة الفن المختلف

"سيكون على المرء أن يواجه العالم عاريا" ذلك لا يكفي. لا يكفي أيضا أن يسأل المرء البقرة، صفراء أم بيضاء كانت، عن منتجاتها. هناك شيء اسمه التحول. وهو ما يسعى ماطر إلى الاستثمار في حقوله. ما من شرط مسبق لذلك التحول. الفن نفسه لا يقبل الشروط المسبقة. فن ماطر هو فن استباقي. يهمه أن يُسجل غير أنه في الوقت نفسه يمحو ما لا يراه مناسبا. ولكن ما هو المناسب بالنسبة لهذا الفنان؟

يجمع ماطر بين مفاهيم يضعها الكثيرون في قائمة المتناقضات وهي ليست كذلك بالنسبة له. ذلك لأنه يفعل ما يشاء بالطريقة التي يحب. فهو منفتح على جذوره بالقوة نفسها التي ينفتح بها على العالم. وهو يعترف في الوقت الذي ينصت فيه إلى اعترافات العالم من حوله. هو البطل والشاهد وهو أيضا الواقعة التي يتأكد من خلالها أن هناك فنا مختلفا.

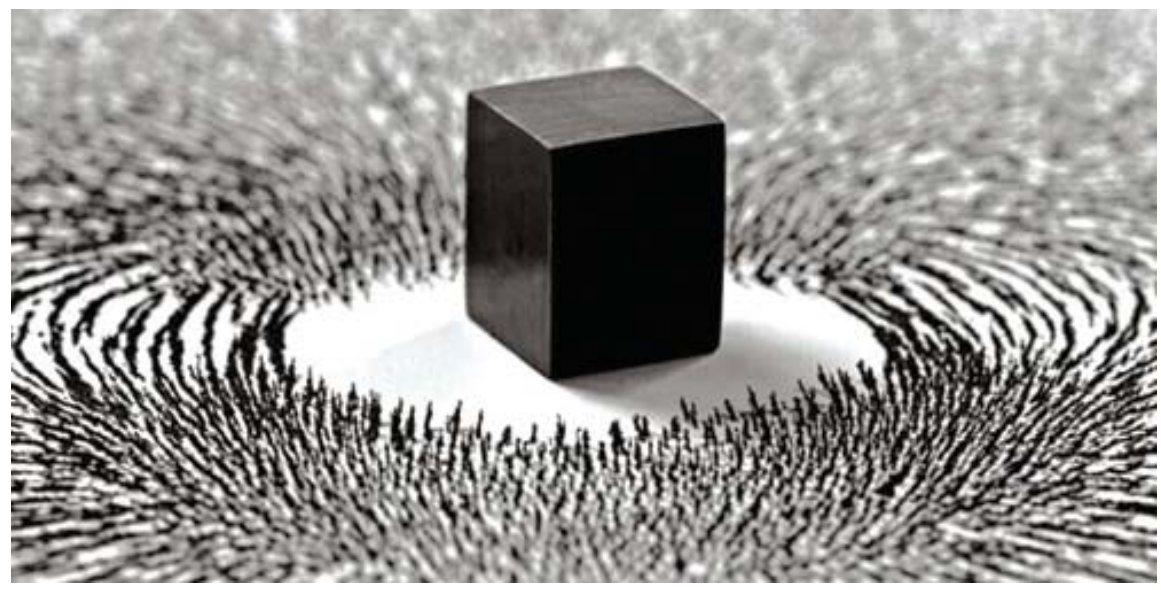

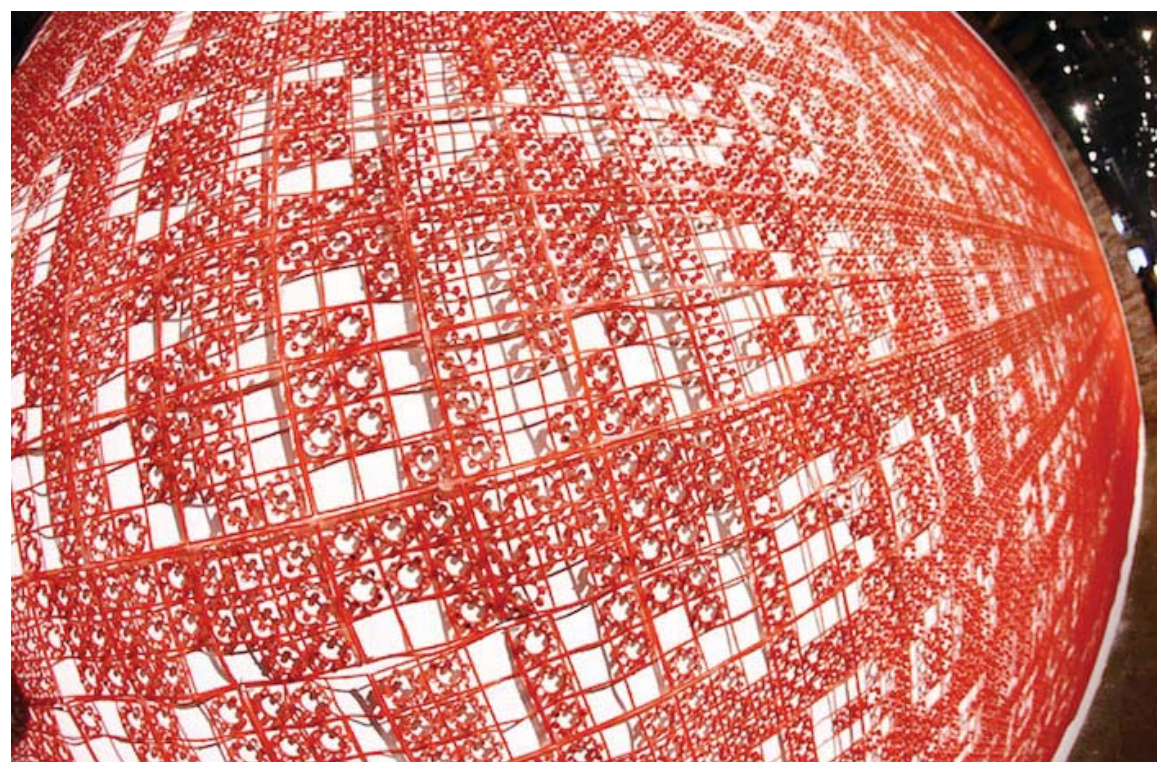

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

كلام في الجريمة والعقاب

رمزية القتل في الأسطورة والأدب والتاريخ

نوري الجراح
شاعر من سوريا

❏ هل تنتمي فكرة قتل الأب بالمعنى الرمزي إلى دنيا الجريمة التي يعاقب عليها المجتمع وتعاقب عليها ثقافة المجتمع، عقابا فعليا أو رمزيا، تنزله بالشاب صاحب الجريمة الذي قام بعملية قتل رمزي للأب؟ أم هي فكرة غير مستنكرة من جانب الثقافات الحية، ولا هي أصلا بالجريمة.

أطرح السؤال في مناخ الملف الذي كرسته "الجديد" في هذا العدد للرواية البوليسية، وتضمن مقالات وموضوعات تحيط بالموضوع وتطرح السؤال عما إذا كانت شمس الرواية البوليسية العربية قد أشرقت، بينما شمس الرواية البوليسية الكلاسيكية في الغرب على أبواب الغروب، وعما إذا كان سؤال الرواية البوليسية العربية يختلف من حيث المبدأ عن سؤال الرواية البوليسية في الغرب، وعما إذا كان ما أنجز من روايات في اللغة العربية على مدار قرن من الزمان يسمح بالحديث عن ظاهرة أدب بوليسي عربي يمكن تقسيم تاريخه إلى مراحل، والوقوف على سماته العامة، وخصوصياته الفنية. ومن بين الأسئلة الكثيرة المطروحة سؤال طريف عما إذا كان يمكن لمثل هذا الأدب أن يولد في مجتمعات عربية ذات طابع بوليسي؟ أو السؤال الآخر عما إذا كان عجيبا أن نسوق السؤال عن الرواية البوليسية بينما نحن لا نستطيع أن نقرن -ولو من باب المقارنة- بين الجريمة الفردية في مجتمعات يحكمها القانون، والجريمة الجماعية في مجتمعات يحكمها الطغاة، ولا مكان فيها للقانون.

***

ما الذي حمل النقد الأدبي العربي على اختيار مصطلح الرواية البوليسية من بين مصطلحاتها الأخرى في الغرب لتسمية رواية الجريمة؟ وهل يمكن لهذا المصطلح أن يستوعب كل أشكال الأعمال الأدبية التي تتمحور من حول جريمة ما، أو تلك التي تقع فيها جريمة؟

وهل إن كل الروايات العربية التي انتسبت إلى الرواية البوليسية تملك مقومات هذه الرواية؟

هنا يمكن أن نطرح جملة من الأسئلة التي تجيب عن نفسها؟ هل إن روايتي "الكرنك" و"القاهرة 30 تنتميان إلى جنس الرواية البوليسية، وهناك من يعتقد أنهما روايتان سياسيتان تكشفان خصوصا أن الأحداث والمرامي تكشف عن سلطة الاستبداد وأساليبها؟

وبالتالي، هل يمكن، مثلا، لرواية "الجريمة والعقاب" لدستويفسكي أن تصنف في باب الرواية البوليسية، وهي عمل يقوم في مجمله على جريمة قتل، ولكنه يغوص في أعماق النفس البشرية، وقد ألهمت هذه الرواية فرويد ومدرسة التحليل النفسي مفاهيم نظرية وأعطتهم مفاتيح لفض البنية النفسية، والكشف عن الهو، وعن علاقة المكبوت الفردي بالمكبوت الجمعي وأشكال ظهوره.

وإذا ما عدنا إلى القراءة التفكيكة العميقة والبارعة التي أنجزها الناقد والفيلسوف الروسي نيقولاي بردياييف لأعمال ديستويفسكي، وتحديدا "الجريمة والعقاب"، لا بد أن نجد أنفسنا أمام عالم يصعب تخيّله.

والسؤال السالف يقودنا أيضا إلى منطقة من التفكير النقدي الذي يميز بين رواية بوليسية استهلاكية، ورواية بوليسية سايكولوجية وأدبية رفيعة المستوى كتلك التي إليها تنتمي رواية "الغريب" لألبير كامو.

> هل يمكن، مثلا، لرواية «الجريمة والعقاب» لدستويفسكي أن تصنف في باب الرواية البوليسية، وهي عمل يقوم في مجمله على جريمة قتل، ولكنه يغوص في أعماق النفس البشرية، وقد ألهمت هذه الرواية فرويد ومدرسة التحليل النفسي مفاهيم نظرية

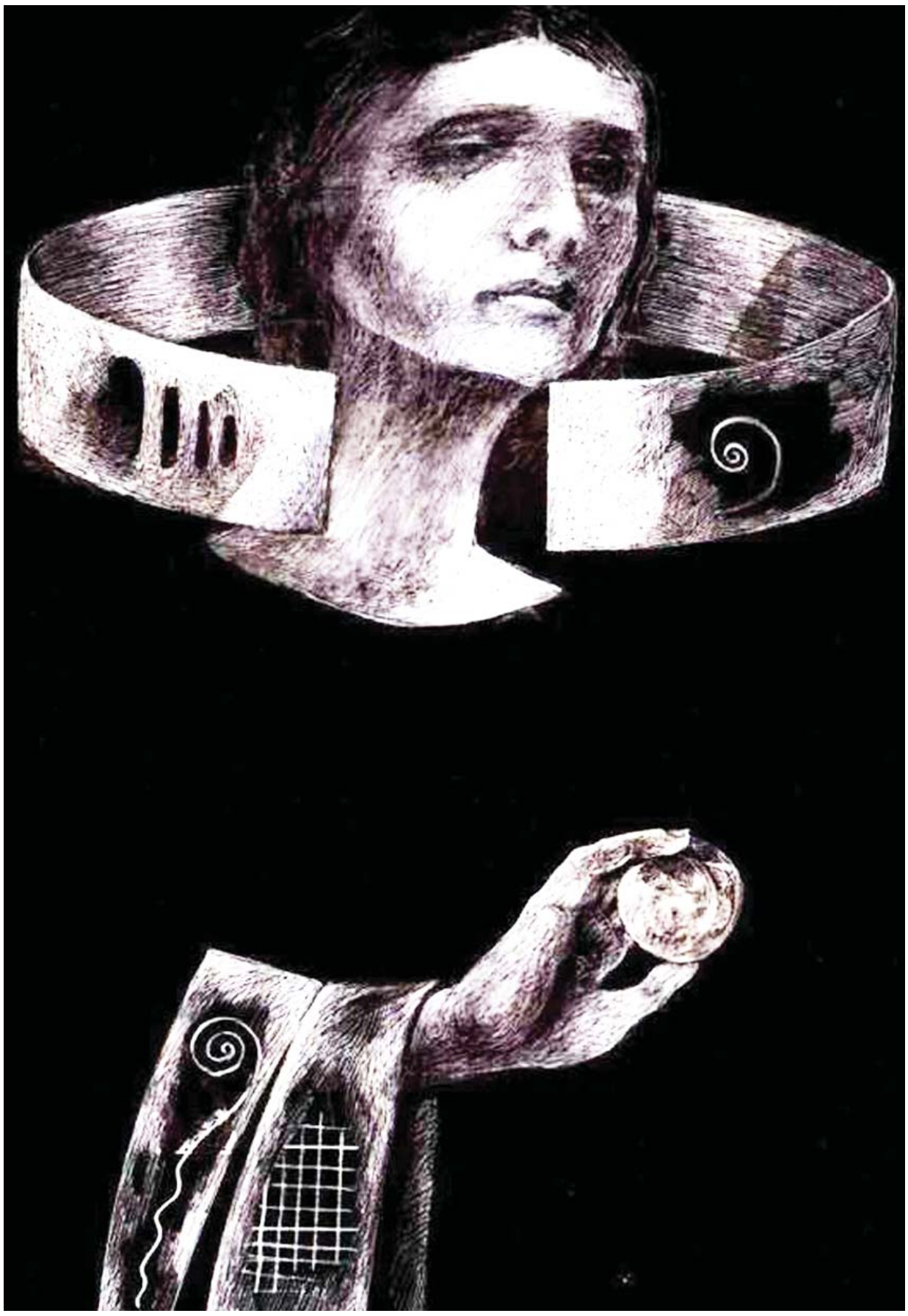

لوحة محمد الوهيبي

وبالعودة إلى فكرة قتل الأب، فعندي أن ما من شيء يدعو إلى الأسف على الإطلاق، أو حتى إلى الإحساس بالذنب أن نتأمل في فكرة "قتل الأب"، أو حتى تبنّيها، في الثقافة العربية. فهذه جريمة خلاقة لا ينبغي أن يعاقب عليها القانون. رغم ما قد يلوح فيها من قسوة. فالطرق التي تفضي بالأفراد والمجتمعات إلى حماية الحياة وصناعة المستقبل تقتضي ارتكاب هذه الجريمة الرمزية.

بل إن من الواجب حض الأبناء على المضي قدما في هذه الفعلة العظيمة المسماة "قتل الأب"، فالبطريركية الأبوية العربية قادتنا طوال القرن العشرين، وعلى كل صعيد، إلى كوارث ومهازل وخسارات، وأوقعت فينا الهزائم المنكرة، وأورثتنا تلك الشيزوفرينيا الضاربة حتى الأعماق منا، وجعلت من كل فرد منا اثنين: شخص شجاع؛ يحلم ويتطلع ويحاول رؤية النور، والانتماء إليه لشدة توقه إلى الحرية، في ساعة، وفي ساعة أخرى، شخص جبان، رعديد، قعيد الشعور بالعجز، ولشدة نكوصه على الأعقاب تراه مستأنسا ظلام البيت، ممتدحا رنين الأغلال في المعصمين. وهذان الشخصان هما واحد، باطنه معذب بظاهره المعذب.

لننظر إلى الحكام الشموليين العرب كيف يتمحور من حولهم كل شيء، ويتحول أكثرهم استبدادا، بشخصه المعبود، إلى حقل مغناطيسي لطاغية لا يهز ضميره هلاك جماعي، ولا بؤس في عيش الكثرة، ولا تخلف عن ركب الحضارة، ولا ألم مقيم في البيوت.

مثل هذا الطاغية هو الشاعر عندما تكون قصيدته هي النموذج المحتذى، والصورة المثلى ويكون هو الطوطم لقبيلة الشعراء، وهو رب البيت المتسلط على الأسرة زوجا، وهي أنثى مستسلمة، وأبناء ضحايا فكرة الأب عن نفسه سرعان ما يصبحون أشباها له فلا يكونون أنفسهم ولا هم يهتدون، وحاكما نظر في المرآة فلم ير فيها سوى ظلّ الله على الأرض.

***

نعود إلى السؤال عن ماهية الجريمة، هل كل مظهر من مظاهر القتل في الأسطورة والأدب جريمة؟

فما الذي يربط بين جريمة قابيل وجريمة أوديب في الأسطورة، وبين جريمة راسكولينكوف وجريمة مارسو في الأدب، وفي التاريخ بين جريمة نيرون الذي أحرق روما وجريمة رماة براميل الهلاك في شرق المتوسط.

نحن أمام مشكلة، ولسنا أمام سؤال، لأن تفكيك هذه الإشكالية يحتاج أكثر من إجابة عن سؤال متعدد الأوجه والأبعاد.

> من الواجب حض الأبناء على المضي قدما في هذه الفعلة العظيمة المسماة «قتل الأب»، فالبطريركية الأبوية العربية قادتنا طوال القرن العشرين، وعلى كل صعيد، إلى كوارث ومهازل وخسارات، وأوقعت فينا الهزائم المنكرة، وأورثتنا تلك الشيزوفرينيا الضاربة حتى الأعماق منا، وجعلت من كل فرد منا اثنين: شخص شجاع؛ يحلم ويتطلع ويحاول رؤية النور، والانتماء إليه لشدة توقه إلى الحرية، في ساعة، وفي ساعة أخرى، شخص جبان، رعديد، قعيد الشعور بالعجز

اغتصاب سرير الأساطير المؤسِّسَة للجزائر

أمين الزاوي
روائي وأكاديمي من الجزائر

❏ تتأسس الدول وجوبا على بنية أسطورية أولا. الأسطورة قبل الجغرافيا، الأسطورة قبل التراب، الأسطورة قبل الرجال، الأسطورة هي من تشكل روح التاريخ الذي هو عبارة عن "مهمة" يقوم بها حفنة من الرجال و النساء يصيبون و يخطئون.

بناء أمة هو بناء أساطير تتمأسس عليها و القضاء على هذه الأمة هو الوصول إلى اغتصاب أساطيرها المؤسسة. إن سرير الأساطير مقدس، و يجب الحفاظ عليه من كل دنس.

و الأساطير المؤسسة للأمة حتى و إن كانت تنتمي إلى "الوهم الخلاق" هي قريبة من مملكة "المقدس".

ما يجري من حراك في الشارع الجزائري اليوم، جعلني أتساءل عن الأساطير المؤسسة للجزائر، و ما يجري يؤكد بأن سببه الوصول إلى "سرير الأساطير" و انتهاك شرفها بات قاب قوسين أو أدنى. فجريمة "الشرف" قائمة.

و وضع اليد على الأساطير المؤسسة أو تأميمها لطرف في الصراع القائم يعرضها للانتهاك و التدنيس و هو ما يثير الفتنة و يجعل أركان الأمة مهزوزة.

لقد كانت "جبهة التحرير" هي واحدة من الأساطير المؤسسة للأمة الجزائرية المعاصرة، فعليها و منها تحدد مفهوم "الحرية"، و عليها ارتسمت صورة "البطولة" كما هي في مخيال أجيال متلاحقة منذ منتصف القرن الماضي، و منها ولد مفهوم "الاستقلال"، و عليها و منها نحت الجزائريون جملة من القيم الإنسانية الكبرى ك "العدالة" و "المساواة" و "الديمقراطية" و "حقوق الإنسان"، و لأنها كذلك و بهذا الحضور الرمزي الأسطوري الجماعي فهي تنتمي إلى الملكية العامة، ورثها الجزائريون جميعا من زمن الاستعمار كما ورثوا "مدنا" أوروبية أصبحت سكنا لهم، و ورثوا مستوطنات فلاحية كولونيالية أصبحت حرثا لهم و ورثوا جامعة الجزائر أصبحت مصدر معرفة لهم و شركة السكك الحديدية و الطرقات أضحت كلها رأسمالا جماعيا.

إلا أن مجموعة سياسية، و برؤية أيديولوجية معينة متقلبة، وضعت اليد على هذه الأسطورة المؤسسة للأمة و سكنتها و اتخذت منها سبيلا للحكم دون غيرها، و شرعنت موقعها من خلال البعد الأسطوري الذي تحمل "دلالة" التسمية، لذلك و أمام اغتصاب "سرير" الأسطورة يجب تحرير "جبهة التحرير" من مغتصبها، و بالتالي إعادتها إلى "المالك الشرعي" الذي هو الشعب، و العودة إلى الملكية "الجماعية" لا تكون إلا بإخراج "جبهة التحرير" من الحزبية التنافسية و إدخالها في "الكتب المدرسية" لتستقر في "الدرس" العام.

كما أن من الممتلكات العامة و التي تعد واحدة أخرى من الأساطير المؤسسة للأمة الجزائرية المعاصرة هي منظمة "الاتحاد العام للعمال الجزائريين"، و التي تشكل صورة شفافة لمدرسة النضال النقابي العمالي، و مع تحرر العمل النقابي على هذه المنظمة و احتراما لتاريخها، و حتى لا يغتصب سرير الأسطورة مرة ثانية، عليها كما هي "جبهة التحرير" أن تدخل كتاب التاريخ، و بالتالي يتم تحرير العمل النقابي من "النوسطالجيا" الثورية العمالية الأسطورية المرتبطة بزمن التحرير الوطني و إدخاله في باب النضال الاجتماعي الطبقي الحقوقي النسبي.

و من الأساطير المؤسسة للأمة الجزائرية و التي انتهك سريرها أيضا، جمعية" العلماء المسلمين الجزائريين"، و التي يجب تحريرها من مغتصبيها المعاصرين، خاصة و نحن في مرحلة أصبح فيها "الإسلام السياسي" مركبا لكل من هب و دب، و الدعوة على إعادة "جمعية العلماء المسلمين" للمدرسة التاريخية هو مساهمة في تحرير الديني من السياسي.

بتحريرنا لهذه الأساطير المؤسسة لذاكرة الأمة الجزائرية على المستوى "الوطني و النقابي و الديني" نكون قد خطونا خطوة عملاقة نحو تأسيس مجتمع سياسي تتساوى فيها الفرص بعيدا عن الاعتماد على "المقدس" و "المؤسطر" في التاريخ الجزائري، و هو في الوقت نفسه تحرير للشهداء من أي استثمار سياسوي أو ديني أو وطنياتي من أمثال العربي بن مهيدي و عميروش و عبان رمضان و جميلة بوحيرد و مليحة حميدو و عيسات إيدير و عبد الحميد بن باديس و غيرهم و هو تحرير أيضا للجيل للجديد، تحرير للخطاب النقدي من كل تخوين أو تكفير.

مسرحي عراقي يتجاوز قهر الاستبداد إلى فضاء الحرية

فاروق صبري لـ«العرب»: الفن منصة التمرد ومعاكسة السائد المجتمعي

شريف الشافعي
كاتب من مصر

❏ العراقي فاروق صبري واحد من فرسان التحديث في ميدان المسرح العربي كتابة وتمثيلا وإخراجا ونقدا، اختارته المنافي صديقا منذ أربعين عاما، لكن إقامته في نيوزيلندا لم تمنعه من الحضور الدائم في قلب المشهد العربي بأعماله المسرحية اللافتة مثل "الوردة الحمراء" و"أمراء الجحيم" و"أسئلة الجلاد والضحية"، فضلا عن نظريته حول "المونودراما التعاقبية"، ومشاركاته المتنوعة في المؤتمرات والمهرجانات المسرحية بالشارقة وأربيل وبغداد والعواصم العربية.

وسط ما يحفل به المسرح العراقي المعاصر، والعربي عموما، من تطوير أدائي وتخييلي بلغ حد الخلخلة النوعية، بالتوازي مع تحركات المسرح الحديث بدول العالم الغربي، يبرز اسم فاروق صبري كمحرّك من محركات التفوّق والتقدم نحو المستقبل والتحرر من القوالب النمطية والأطر الضيّقة، سعيا إلى ابتداع لغة جديدة للمسرح وأنساق غير مطروقة.

التقت "العرب" المسرحي العراقي، الذي استعرض في هذا الحوار رؤاه الطليعية حول أبوالفنون، والمشهد المسرحي العربي الراهن، وعلاقة الإبداع بالحرية وبالأوضاع العامة في المنطقة العربية، وغيرها من القضايا الفنية المتعلقة.

منذ تخرجه في معهد الفنون الجميلة في بغداد (قسم المسرح والسينما) عام 1974، والفنان فاروق صبري شغوف بالتجديد والمغايرة، فالفن برأيه هو التمرّد والدهشة والصدمة ومعاكسة السائد المجتمعي لإحداث تغيير مأمول.

على مدار خمسة وأربعين عاما من العمل في داخل العراق وخارجه، لم يتخلّ صبري عن نزعته التجريبية، في أعماله الفنية، وأطروحاته التنظيرية والتأطيرية، خصوصا حول "المونودراما التعاقبية"، المنسوبة إليه كثيمة مسرحية جديدة.

> إذا كان فن المسرح ينصب نفسه دائمًا ملكًا متوجًا بين الفنون، في العالم العربي، بوصفه الأكثر جرأة وقدرة على طرق أبواب السياسة والإصلاح الاجتماعي متحليًا بالإقدام والاقتحام ومستغلًا المتاح من هامش الحرية ومحطمًا أسوار الرقابة والمنع، فإن فاروق صبري يرى أن سر ذلك التفوق يعود إلى أن المسرح هو «توأم الحياة»

وشارك كممثل في أعمال بارزة، منها "الغريب" لألبير كامو و"إسكوريال" لميشيل دوجلدرود و"أغنية على الممر" لعلي سالم، وأسهم بعد ارتحاله عن العراق في عام 1979 في تأسيس العديد من الفرق المسرحية، منها "بابل" العراقية و"أوروك" برئاسة الشاعر مظفر النواب.

وقدّم مشاركات في المسرح القومي السوري، وامتد نشاطه إلى مدينة أوكلاند النيوزيلندية التي يقيم فيها حاليا، لينطلق منها بأعماله إلى هولندا والدنمارك ودول أوروبية عدة، ثم إلى أربيل بمسرحية "الوردة الحمراء" من تأليفه وإخراجه، ومنها إلى البصرة وبغداد والشارقة والعديد من المدن والعواصم العربية، ليظل اسمه حاضرا وفاعلا في حركة المسرح العربي الحديث.

حصاد الإقصاء

حول تأثّر تجربته المسرحية كممثل ومؤلف ومخرج وناقد بمحطات المنفى، وما إذا كان هذا المنفى اغترابا اختياريًا أم اضطراريًا، يشير فاروق صبري في حديثه لـ"العرب" إلى أنه أجبر على مغادرة الوطن منذ أربعين عاما، ومنذ هذا الإقصاء إلى يومنا هذا، وهو يعيش المنافي التي لم يختر أبدا محطاتها.

يرى صبري أن هذه المنافي، على مساوئها، منحته فرصًا للتأمل والحرية، وهذه الأخيرة يفتقدها المسرحيون في بعض البلدان العربية، ويقول "حاولتُ خلال العروض التي قدمتها في العراق وخارجه إبراز صخب الحرية العذب الموجود في أعماقي وأنا أشتغل عروضي المسرحية، ففيها تبنيت أن لا مقدس إلا خلق المبتكر والصادم".

من واقع مشاهداته لعروض مسرحية في العراق وتونس والإمارات ومصر وغيرها، لمس صبري ظهور مسرحيين كسروا مفاتيح التابوهات الحديدية في السياسة والقوالب السائدة في المسرح، لكن مع ذلك "هناك من يشهر سيف الممنوعات والمحرّمات، وهؤلاء ليسوا فقط من بؤر السياسة، بل إنهم كذلك يسمّون بالمسرحيين للأسف، بخاصة في العراق".

حول مشاهداته التي تبلور تأثر المسرح العربي بموجة التحديث العالمية في تشكيل الفضاء المسرحي، من أجل خوض رهانات التجديد وإشكالاته والخروج من المسرح التقليدي، يرى فاروق صبري أن العالم أصبح بحكم التطور العلمي والتكنولوجي المتواصل بقعة جغرافية متقاربة جدًا، وأصبح التنقل فيها سهلا للغاية، ليس عبر مواصلات برية وجوية وبحرية، بل عبر شاشة صغيرة اسمها جهاز الكمبيوتر.

لذلك، فالمسرحيون الحالمون المجتهدون، وهم يحضرون مهرجانات عالمية وعربية ويشاهدون عروضها ويشاركون في ندواتها وورشها ويلتقون بشخصياتها الفكرية والمسرحية، يوسّعون حلمهم ويغذون اجتهادهم بأفكار جديدة ورؤى مختلفة يتحتم عليهم الاستفادة منها كمعطيات جمالية وفكرية، من دون نقلها بشكل ميكانيكي استنساخي أو حل بصري شكلاني يقع في فخه المشوّق البعض من الفنانين المسرحيين العرب والعراقيين.

يصف فاروق صبري في حواره مع "العرب" هذا التوجه الشكلاني بأنه سمة بعض العروض المسرحية العربية الضعيفة للأسف، إذ تقوم على الهوس في استخدام الأدخنة المزركشة والداتا شو والبارتشينات المتداخلة والمتحركة في العديد من الاتجاهات والهندسيات الضوئية الملونة والمتنوعة في أشكالها ومصادرها، وهذا كله ربما يمنح المتلقي متعة بصرية لكنها مؤقتة وغير مؤثرة، لأنها تهمّش أو تغيّب مقولات العرض الفكرية وبنية شخصياته وسياقاته الدرامية.

تبدو تجربة صبري، على حداثيتها، غير منقطعة الصلة بالجذور، فهي منفتحة على تجارب الروّاد والطليعيين في المسرح العراقي والعربي، فهو منذ سبعينات القرن الماضي، يعايش جيله وما قبله وبعده، أن هناك تداخلا وتفاعلا وتواصلا بين المسرحيين العراقيين، فهم إن اختلف زمنهم، لا يختلفون في جعل المسرح فضاء بحث وكشف وابتكار.

ويشير إلى المسرحي العراقي المخضرم جواد الأسدي، واصفا إياه بأنه الحصان المتدافع والمتسابق مع رياح الأزمنة، حيث لا يهدأ صهيله الإبداعي، وعبر قرابة نصف قرن بقي الأسدي متجدّدا وهو ينحت رؤيته الجمالية والفكرية على أرض المسرح "جثته"، فمنذ "العالم على راحة اليد" إلى "تقاسيم على الحياة"، ظهر بياض الشيب على رأس الأسدي، لكن منجزه المسرحي لم يهرم ويؤطر في زمن محدد ما، ومن هنا يمكن القول إن عروض الأسدي المسرحية لا تدخل في فهرست المجايلة، وهذا معنى الامتداد والتواصل بين الأجيال.

آفاق التطوير

يتجه المسرح العراقي المعاصر، والعربي عموما، نحو آفاق جديدة وفضاءات متسعة، بانتهاجه انزياحات جمالية وتغيّرات نوعية في الرؤى والمعالجات والأداء، وتلعب المهرجانات المسرحية، خصوصا تلك التي تنعقد بشكل دوري في الشارقة، دورا في إثراء حركة المسرح بالعروض الحية والنقاشات المثمرة.

عن هذه الفعاليات الزاخمة في تعزيز وإثراء المسرح العربي، يرى فاروق صبري أن الشارقة تسعى بوضوح واقتدار إلى أن تصبح قلب الفعل المسرحي النابع من جغرافية العراق، ومن دول أخرى مثل تونس والمغرب والجزائر، وذلك عبر تفعيل المسرح بدءا من المدارس الابتدائية صعودا إلى المعاهد والجامعات.

وتمتد إلى بلدان أخرى لتلتقي وتتلاقح مع مهرجانات مسرحية هناك، وتتوسع من خلال هذا التلاقي والتلاقح الفضاءات الفكرية والعملية، ويقول فاروق صبري "أتمنى من سلطان مسرح الشارقة (الشيخ سلطان القاسمي) أن يجعلها فضاءات متحررة من التابوهات المعروفة، والممنوعات المؤدلجة، كي تنطلق المنجزات المسرحية بأكثر جدية ومعرفية، في سياق تأسيس وترسيخ تطورات نوعية في الأفكار والمعالجات والأداء الفني".

يُنجز هذا الأمر الحيوي بعقل معرفي متنوع ومتعانق مع خبرة فنية وحياتية، وإن ظهرت ملامحه في بعض عروض مسرحية حاول كتّابها ومخرجوها وسيناغرافيوها الخروج من المتكرر البصري، النصي المسرحي، إلى حيث المبتكر الفرجوي، الرؤيوي.

ولذلك "تفتحت شهية المغامرة التخييليّة في صناعة فضاءات الدهشة والصدمة جماليًا وفكريًا، لكنها -أي المغامرة- ظلت في ظلها المتعثر، وتبعثرت خطواتها وبقيت على هامش الخلخلة النوعية، التي لم تستطع تحقيقها بعض التجارب المسرحية المتعثرة".

في إطار انفتاح المسرح العربي الحديث على ثيمات المونودراما والديودراما وغيرهما من الأشكال التي يتم تخصيص مهرجانات كاملة لها، وفي ضوء انحياز فاروق صبري للحداثة والتجريب، تدفق مشروعه "المونودراما التعاقبية" كنظرية وتطبيق، ليعكس التثوير الفني للسينوغرافيا والمقترحات البصرية المغايرة والأداء والتشخيص والصياغات الإخراجية والنصية.

ويلفت فاروق صبري إلى رغبته في الخروج من جلابيب مبدعين من أمثال قاسم محمد وعادل كاظم وإبراهيم جلال وعوني كرومي وجليل القيسي وصلاح القصب ومحيي الدين زنكنة وغيرهم، ليلبس جلبابا خاصًا به يضعه أمام الآخرين كمحطة من محطات تجربته، ولا يستبعد أيضا تغييره وفق قراءاته ومعايشته للحياة ومشاهداته للتجارب المسرحية.

ويقول في حديثه لـ"العرب"، "النص الجيد هو ما يحفزه للبحث والكشف والجديد والمدهش، حيث يميل عادة إلى معاكسة السائد، أي استخدام حالة ما، واقعة ما، شخصية ما، أشياء ما، بعكس المعروف عنها، أي إلغاء سائدية دلالاتها المعروفة، وقراءتها بدلالات ومفاهيم وإشارات جديدة مبتكرة غير مطروقة وربما متعارضة مع سائد الوعي الجماعي".

ويواصل كلامه "في تجربتي مع النص المونودرامي التعاقبي (أسئلة الجلاد والضحية)، للكاتب صباح الأنباري في عرض تورنتو، وفي العرض ذاته بعنوان (منيكانات) في بغداد، استخدمت أراجيح، وجعلتها أماكن يعذّب الجلاد فيها ضحاياه، فهنا قلبت معنى حضور الأرجوحة من مكان للحب والطفولة إلى بؤرة لوحشية الجلادين الذين حوّلوا فسحات الجمال إلى زنازين الموت، ولم أكتف بقراءتي هذه للأرجوحة، إذ بحثت عنها تاريخيًا حتى وصلت إلى إمبراطور روماني نصب في إحدى غابات بلده العشرات من الأراجيح، وعلّق عليها الفلاحين الذين تمردوا على حكمه".

ثورة المونودراما

يصف فاروق صبري مشروعه "المونودراما التعاقبية" بأنه نص تنظيري للحقيقة، وقد وضع عنوانه الكاتب المسرحي صباح الأنباري الذي كتب ثلاثة نصوص مونودرامية وفقا للمشروع الذي بدأ في كتابته عام 2011، وفي السنوات اللاحقة نشر المشروع الذي نفذه عام 2016 كعرض مسرحي عبر نص الأنباري "أسئلة الجلاد والضحية" في مدينة تورنتو بكندا، ثم بعنوان "منيكانات" في بغداد عام 2017، وهناك محاولة ثالثة قادمة، لكن ستكون مونودراما تعاقبية ثلاثية، عبر نص "حواء" للكاتب والمخرج التونسي نوفل ريّان.

> يشير إلى المسرحي العراقي المخضرم جواد الأسدي، واصفا إياه بأنه الحصان المتدافع والمتسابق مع رياح الأزمنة، حيث لا يهدأ صهيله الإبداعي، وعبر قرابة نصف قرن بقي الأسدي متجدّدا وهو ينحت رؤيته الجمالية والفكرية على أرض المسرح

هذا المشروع هو محاولة لتغيير البنية الكتابية والسينوغرافية للعرض المسرحي المونودرامي، أي مغادرة السائد المونودرامي المعروف، المعتمد على السرد من قبل ممثل يروي الماضي وينحصر فيه، ويستحضر شخصياته ويجسدها دون التوقف عند حاضرها، وصولًا إلى استحضار المونودراما بأبعادها الثلاثية: الماضي والحاضر والمستقبل.

هكذا، يتم تغيير الصيغة الواحدانية للسرد المونودرامي، فيجري سرد الحكاية نفسها من قبل شخصيتين أو أكثر بطريقة منفصلة ومتعاقبة ولغة مختلفة ومتعارضة، مما يجعل المتلقي في حالة استنفار لوعيه، وتثار تساؤلات عديدة لديه حول ما يشاهد، حتى بعد مغادرته مكان العرض.

إذا كان فن المسرح ينصب نفسه دائمًا ملكًا متوجًا بين الفنون، في العالم العربي، بوصفه الأكثر جرأة وقدرة على طرق أبواب السياسة والإصلاح الاجتماعي متحليًا بالإقدام والاقتحام ومستغلًا المتاح من هامش الحرية ومحطمًا أسوار الرقابة والمنع، فإن فاروق صبري يرى أن سر ذلك التفوق يعود إلى أن المسرح هو "توأم الحياة".

ويؤكد أن المسرح لا يُحَدد في إطار تعريف معين، فهو شامل ومتنوّع ومتحرك ونابض مثل حياتنا، ففي طقوسه تتجلى الموسيقى والرقص والجسد، وتصدح الأغنية والكلمة في حالة عناق مع ألوان الأضواء والديكور، فالمسرح فضاء للبوح وكشف للمستور وطرح للتساؤلات، وهذا الأمر يستوجب حضور نص مثقف ومخرج مثقف وفريق للعرض يمتلكون الثقافة المتنوعة.

ويختتم صبري حديثه لـ"العرب" بقوله "من خلال فن المسرح وحده، يصير بالإمكان النفاذ من قهر الاستبداد إلى حيث المتاح من الحرية، والتواصل مع صيرورة حياة الناس، بإشكالاتها واختناقاتها وأحلامها".

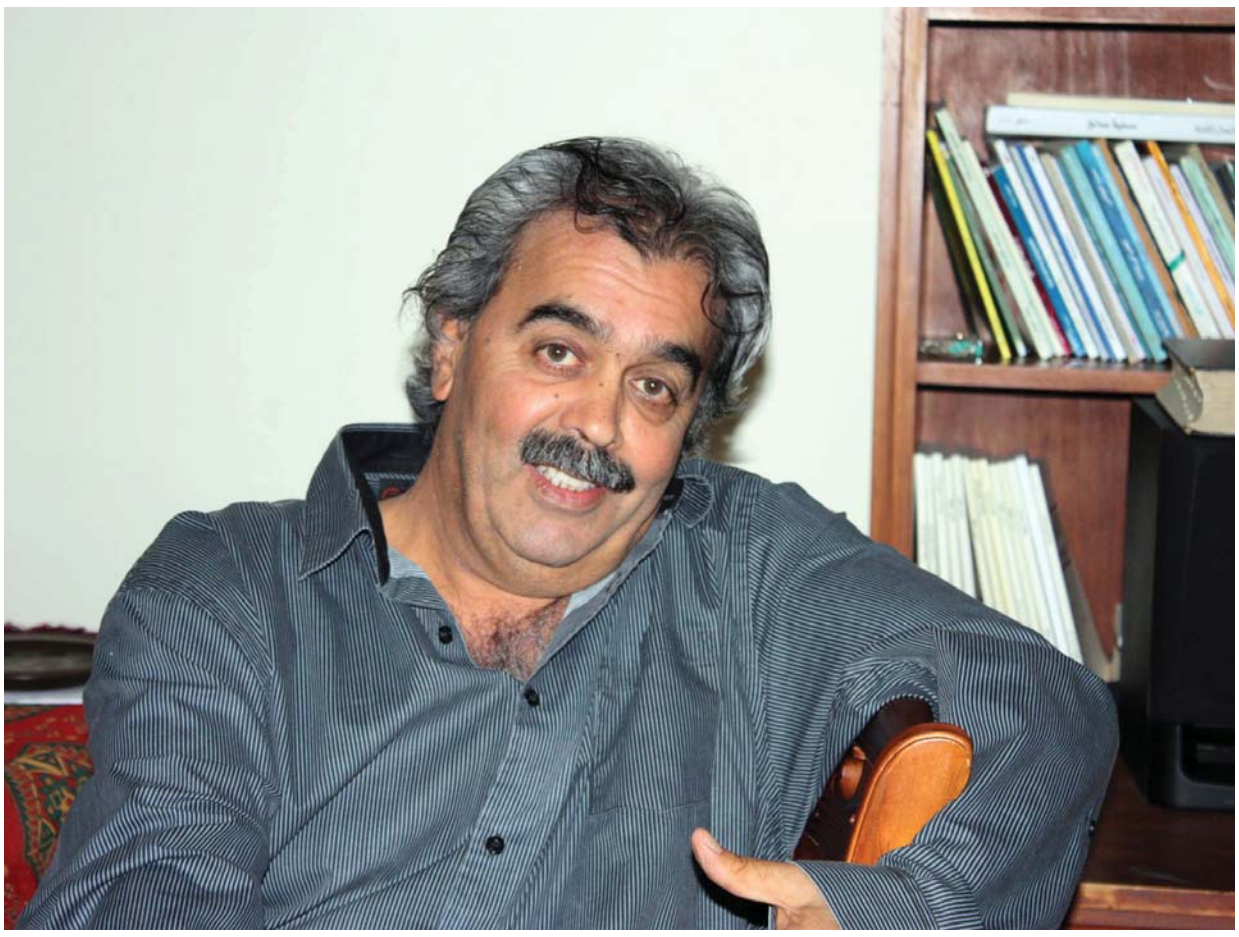

فاروق صبري صاحب رؤى طليعية في المسرح

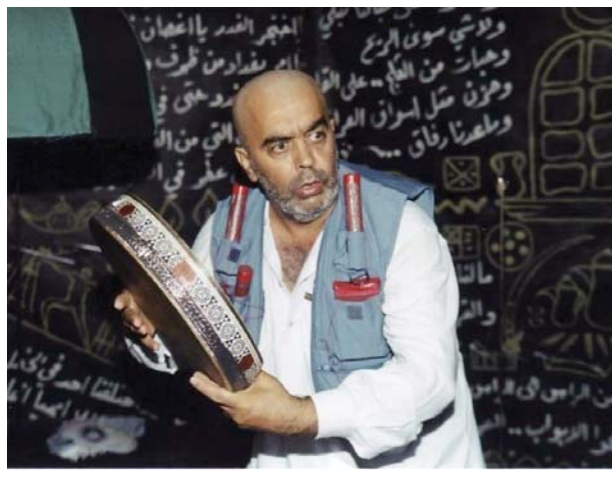

مشهد من مسرحية «أمراء الجحيم»

جانب من مسرحية «منيكانات»

فلسفة التأويل وحقائق الوجود

فاطمة إسماعيل: التأويل مطلب ملحّ في الحياة الفكرية المعاصرة

تعتبر كتب الفلسفة الأندر في الثقافة العربية الحديثة، والسبب هو ميل العرب المعاصرين إلى حقلين أساسيين في التأليف هما الأدب والسياسة، لكن الفلسفة التي تعتبر الحقل الأكثر صعوبة ورقيا، والأفق الذي يربط بين مختلف العلوم الإنسانية في عمليتي التفكيك والقراءة، يبدو إلى اليوم ضعيف الحضور.

محمد الحمامصي
كاتب من مصر

❏ مؤخراً صدر في القاهرة كتاب "فلسفة التأويل" للباحثة فاطمة إسماعيل التي ترى أن ظاهرة التأويل ارتبطت بالإنسان كائنا من كان؛ وقالت "لو نظرنا إلى التأويل على أنه محاولات الإنسان لاستكناه الغامض من اللغة وإرادة الكشف عن معاني الكلمات، بل معنى الوجود ككل، قصد الفهم، ولو نظرنا إلى اجتهادات العقل البشري عبر عصوره بحثا عن الحقيقة وتوخيا للفهم؛ سنجد أن الإنسان قد وهب القدرة على التأويل منذ أن علم الله آدم الأسماء كلها، في مقابل عجز الملائكة عن معرفة الأسماء ومعناها وما تؤول إليه. فلما أنبأهم آدم كان ذلك إيذانا بالقدرة على التأويل، فأصبح التأويل قرينا للإنسان من حيث هو كائن عاقل، ناطق، رامز، مكلّف، أخلاقي، متدين، مؤول.. إلى آخر التعليقات التي وضعها المفكرون والفلاسفة للإنسان ومحاولاته عبر العصور المختلفة للكشف عما استغلق عليه من معاني الأشياء والوجود بحثا عن الحقيقة وسعيا وراءها، سواء كانت الحقيقة منطوقة ومسموعة، أو مقروءة مسطورة في صفحات الكتب المنزّلة وغير المنزّلة، أو المشاهدة في الآفاق، أو المحسوسة في الأنفس. فكل محاولات العقل وتجلياته لفهم الحقائق لا تخرج عن كونها "تفسيرا" أو "تأويلا".

ورأت إسماعيل أن كل بحث قام به فيلسوف ما، أو مفكر ما، ما هو إلا محاولة لـ "فهم" حقائق الوجود والكون وخالقه والإنسان وإمكانياته وعلاقاته... إلخ، وكلها محاولات تدخل تحت التفسير أو التأويل بوجه عام، إذا ما قصد بذلك الفهم وفهم الفهم. لكن ظاهرة التفسير والتأويل ارتبطت -أكثر شيء بالنشأة الدينية حتى وسمت بأنها "ظاهرة دينية" ارتبطت بمحاولات العقل لفهم النصوص الدينية وبالفكر الديني على امتداد الأديان المنزّلة جميعها يهودية ومسيحية وإسلامية. وفي علم التفسير الإسلامي يقول العلامة الزركشي "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه. واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات". ولكنها عادت مرة أخرى في عصورنا الحديثة لتمتد إلى خارج نطاق الدين؛ ليحلق التأويل في آفاق أوسع معلنا عن ميلاد الهرمينوطيقا في الفكر الغربي الحديث، وليؤكد أن ظاهرة التأويل ترتبط بالإنسان كائنا من كان ما دام يسعى للفهم وللبحث عن المعنى والحقيقة في أيّ مجال.

وأشارت إلى أن التأويل باعتباره تفعيلا للعقل في فهم النصوص الدينية أدّى إلى قيام علوم تمحورت حول الدين، أو انبثقت منه كنتيجة طبيعية لآلية التأويل ومحاولات العقل لفهم النصوص، وأهم هذه العلوم الإسلامية علوم القرآن وأهمها علوم التفسير، وكذلك الفقه وأصوله، وأصول العقيدة والفلسفة والتصوف.. إلخ. جميعها علوم يدخل فيها التأويل باعتباره منهجا للمعرفة، يفتح آفاقا واسعة من العلاقة الجدلية بين النص الديني والفهم الإنساني المتجدد عبر الزمان، من هنا خاضت جميع الفرق والمذاهب والاتجاهات الفكرية على تنوعها في مسألة التأويل باعتباره ضرورة معرفية.

وقالت إسماعيل إن خطورة التأويل تأتي من حيث كونه موضوعا للتعدد والاختلاف؛ ومن ثم الخلاف، وعلى الأخص إذا ما تعلق الأمر بأصول العقيدة الدينية، وما يلزم عن بعض التأويلات من أثر سلبيّ على الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الناس في عصر معين، مما يؤكد أن هناك أنواعا من التأويلات منها الصحيح المقبول ومنها الفاسد غير المقبول عقلا وشرعا، كما في بعض تأويلات الشيعة. وإذا انتقلنا إلى الفلسفات الغربية الحديثة والمعاصرة نجد أنها اهتمت اهتماما كبيرا بتأويل النصوص سواء الدينية أو الفلسفية.. إلخ، حتى أصبحت الهرمينوطيقا نقطة مركزية في كل مجالات العلوم الإنسانية عامة. كما امتد التأويل ليشمل كل ما يقبل الفهم والتعقيل كالرموز والأساطير وظواهر الفن.. إلخ.

وسعت إسماعيل في الكتاب لتعريف القارئ على بعض أصول التفسير ومتطلباته وشروطه ووظيفته، والكشف عن أهميته بهدف تحفيز عقله على ممارسته، وخاصة على نصوص التراث، وما أكثرها. وأضافت "أتطلع من خلال الخبرات التأويلية التي عالجتها إلى معرفة كيف نتعامل مع تراثنا العربي الإسلامي تعاملا تأويليا حيا متجددا لا نهائيا، مشمولا بكل الأبعاد التي أفدنا منها، والتي تستجد فيما بعد، لتشكيل وعي تأويلي قوامه الحس التاريخي والنقدي في تناول موضوعات التراث أيًا كان مجالها، وتشكيل عقلانية متميزة في فحص أصوله واكتناه تركيبته؛ وهو ما يسميه جادامر 'الوظيفة الفعلية للتاريخ'، أي تطبيق الدلالات التي تكشف عنها حقائق التاريخ والتراث على اللحظة الراهنة، فالوعي التأويلي يعكس ظهور التراث، والممارسة التأويلية تعكس انصهار آفاق الماضي والحاضر في حقيقة الفهم، فهو يضمن إنارة حاضرنا الراهن وحالتنا الواقعية، تأكيدا لفاعلية الوظيفة التاريخية التي تردم كل مسافة وهمية بين الماضي والحاضر، لتجعل التاريخ يعيش فينا، على حد قول جادامر".

وأشارت إلى أن التأويل أصبح مطلبا ملحّا في حياتنا الفكرية المعاصرة التي يسودها الاغتراب بسبب تعقد وتشذر المعرفة فيها، والتباعد بين ثقافة الماضي والحاضر، والصراع بين ثقافات الشعوب وعقائدها، رغم كل ما يقال عن فوائد العولمة وذرائعها التكنولوجية التي ستعمل على تقارب الثقافات وما إلى ذلك من وعود زائفة أو مستترة تحت غطاء أيديولوجي سياسي، لذلك ندعو إلى إعادة تشكيل الوعي التأويلي من جديد ليتناسب مع العصر ومع تاريخية الإنسان، فتكون دعوة لتحقيق وجودنا نحن ووجود تراثنا في اللحظة الراهنة هنا والآن، كتجربة حية ومعيشة تلتحم فيها وتنصهر آفاق التراث وآفاق الحاضر. ولا شك أن أدوات التأويل متغيرة ومتجددة ومتعددة، ومن ثم فإن من يضطلع بمهمة التفسير الآن لا بد أن يكون متسلحا بمعرفة واسعة في مجال العلوم الإنسانية عبر مسار نموها وتغيرها وتطورها وصولا إلى اللحظة الراهنة.

وأوضحت إسماعيل أن علماء التفسير ميزوا بين التفسير والتأويل، فكل تأويل هو نوع من التفسير؛ لكن ليس بالضرورة أن كل تفسير هو تأويل، وليس بالضرورة أن تكون كل التأويلات منسجمة مع العقل أو الشرع، كبعض تأويلات الشيعة، وغيرهم من الفرق التي حادت عن الصواب.

وأضافت أنه "إذا كانت الهرمينوطيقا في الفكر الغربي الحديث والمعاصر هي مبحث يهدف إلى دراسة عملية الفهم، وخاصة ما يتعلق بتفسير النصوص وتأويلها؛ فإن العرب عرفوا ألوانا من التفسيرات والتأويلات في مجالات البحث الأخرى، وشغل 'الفهم' حجر الأساس في عمليتي التفسير والتأويل، وكذلك يحتل هذا المفهوم موقعا مركزيا في الهرمينوطيقا الغربية".

ولفتت إسماعيل "لقد أدرك علماء التفسير عدة مسائل تتعلق بالتفسير والتأويل، أهمها نشاط التساؤل بغية الفهم، وإحكام قواعد التلاوة في القراءة الجهرية للنصوص الدينية، وهي ذاتها نوع من إيضاح للمعاني، أيضا مسألة الاهتمام بأسباب النزول، وهو تأكيد لوقائعية الأحداث والمواقف، وإمكانية استمرار حدوثها، ودوام وقوعها. وأكدوا فكرة جوهرية وهي 'لا نهائية' معاني النص الديني، وبالتالي انفتاحه وقبوله العديد من التفسيرات والتأويلات عبر مسار تاريخ الإنسان ونشاطه التفسيري.

هايدغر.. مؤسس فلسفة التأويل

لقد أدركوا أن النص حمّال ذو وجوه عديدة، يحمل العديد من المعاني، ويتحمل العديد من التفسيرات التي تتواءم مع اللغة والواقع، وتتواءم مع كونه نصا عالميا يخاطب الناس جميعا في كل عصر ومصر، مما يعني جدا الثابت 'النص' والتغير 'الفهم'. إن شمولية النص القرآني وعموميته وعالميته وثباته كنص مكتوب ومقروء ومسموع يخاطب الإنسان كائنا من كان، في كل عصر ومكان، كل ذلك يؤكد انفتاح النص على إمكانات لا نهاية لها من التفسيرات والتأويلات".

وأكدت أن مجموع التفسيرات التي تشكلت حول النص عبر ميلاده وعبر مسار تاريخه حتى وقتنا الراهن، وعبر تعدديتها بهدف تحقيق الفهم، ما هي إلا تأكيد لتلاقي الأفق التاريخي للنص مع أفق المفسر أو المؤول؛ هذا التلاقي سيستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وإذا كان النص الديني نتاج الوحي، فإن الفهم واستنباط الأحكام والاجتهاد في فهمه وتفسير نصوصه وتأويلها من عمل البشر، والبشر مختلفون عقليا وعلميا وثقافيا، كما أن الحياة البشرية في تغير دائم، فهذا ينعكس على عملية التفسير والتأويل التي ينبغي أن تساير السياق المتغير للحياة، من هنا كان جدل الثابت الباقي، والمتغير المتجدد، المتعدد.

وكشفت إسماعيل أن معنى التأويل جاء عند كل من الغزالي وابن رشد جامعا للمجاز اللغوي والعقلي في آن واحد، كما اتفق كل منهما على ألا يتم صرف اللفظ إلا بقيام البرهان على استحالة الظاهر.

وقالت "إذا كان الغزالي قد أثبت فيما يتعلق بأمور الآخرة أن ما لا برهان على استحالته لا ينبغي إنكاره، لأن ما لم يقض العقل باستحالته فهو 'ممكن'. كذلك يؤيده ابن رشد في ذلك ويروي أن العقل لا يدرك في هذه الأمور أكثر من 'الإمكان' في الإدراك المشترك للجميع. كما اتفق كل منهما على أهمية ضبط علاقة المحكم والمتشابه، الباطن والظاهر، أن الظاهر حق الجمهور، والمؤول هو الباطن الذي ينبغي أن يكون جامعا لحقوق التأويل الثلاثة: حق العقل وحق اللغة وحق الشرع. وكلاهما قدم العقل، وجعله أصلا في الشرع، وكلاهما اهتم بالمعنى قبل اللفظ مع تأكيد الدلالة اللغوية. وكلاهما أكد منه إظهار التأويلات وكشفها على العامة، فقال الغزالي بـ'المضنون به على غير أهله'، وهو أيضا ما ذهب إليه ابن رشد".

يذكر أن إسماعيل قسمت كتابها الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة لبابين الأول: التفسير والتأويل في الفكر الإسلامي، تحديدا في مجال واحد فقط هو مجال الفكر الديني المرتبط بتفسير النص الديني وتأويله. وفي الفصل الأول: علم التفسير في الفكر الإسلامي عالجت: نشأة علم التفسير، ومراحله الثلاث؛ التفسير في عهد الصحابة، وفي عهد التابعين، وفي عصور التدوين. وكذلك أشارت إلى اتجاهات علم التفسير وأقسامه، والفرق بين التفسير والتأويل. أما الفصل الثاني: قانون التأويل بين الغزالي وابن رشد وعالجت فيه معنى التأويل عند كل منهما، وكذلك دوافع التأويل ومعياره وشروطه وضوابطه.

الباب الثاني: الهرمينوطيقا في الفكر الغربي، قسمته إلى أربعة فصول؛ عالجت في الأول : الجذور اليونانية للهرمينوطيقا، والتعريفات الحديثة للهرمينوطيقا. وفي الثاني: الهرمينوطيقا في الفكر الغربي الحديث عند شليرماخر، ودلتاى، وفي الثالث الهرمينوطيقا المعاصرة تناولت هرمينوطيقا هيدجر. وفي الرابع تناولت هرمينوطيقا جادامر.

رف الكتب

الكذب في نظر كانت

❏ هل يمكن أن يكون الكذب حقًا؟ هل لمبادئنا قيمة عملية؟ ما معنى الحقوق؟ وأي عدل يمكن أن ننتظر من علاقاتنا الاجتماعية؟ "الحق في الكذب"، مشفوعا بـ"النظرية والتطبيق"، نصان لكانْت في ترجمة جديدة، وشروح مستفيضة، تكشف لنا عن الجدل الذي أثاره الفيلسوف الألماني، في مرحلة التطلع إلى النظام الجمهوري الذي عقب الثورة الفرنسية، حين لم يكتف بالنظرية الخالصة، بل بيّن أننا لا يمكن أن نواجه اللامبالاة أو الانتهازية، سواء على المستوى الأخلاقي أو المستوى السياسي، إلا إذا أقررنا بعناية القيم التي نريد أن نحافظ عليها. ويخص تأمّله الفردَ المقبل على خيار أخلاقي معقّد، أو المتردد من جهة دوافعه العملية، حين يواجه التفاوت الاجتماعي، أو يشغله مصير الإنسانية. وكانْت هنا يقترح محاولة فلسفية، إشكالية، لما تكون عليه الحياة العادلة، ويدعونا إلى التفكير في المثل الأعلى الاجتماعي الذي نحتاج إليه.

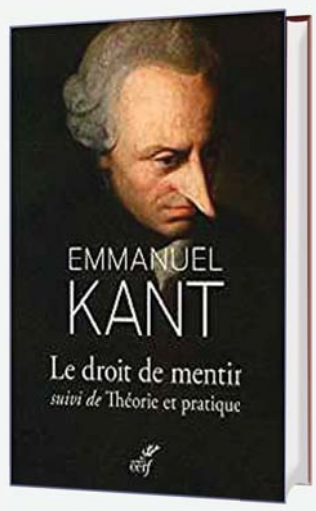

فلسفة المعيش اليومي

❏ لنا فيض من الأخبار، ولكننا لا نعرف كيف نستغلها، وبدل أن نقيم لها وليمة، نحس أننا متخَمون. ذلك ما يطرحه الفيلسوف رفائيل إنتوفن في كتابه "أخلاقيات مؤقّتة جديدة" الذي ينصح بممارسة الفلسفة كي لا نغرق في الأحداث المتسارعة، وبشكل يوميّ، لأن الفلسفة في رأيه تعطي كل حدث نكهة لغز أو سؤال. مثلا: هل كان من الأفضل القبض على هارفي وينشتاين أم تركه بلا عقاب؟ لماذا يكون الاعتقاد بأن كل الناس الذين يشبهوننا يفكرون مثلنا أمرًا خطيرًا؟ هل يمكن ممارسة الحظر باسم التسامح؟ هل الفرج سلاح حرب؟ هل تحول أناكين سكايوولكر إلى دارك فاردور من تلقاء نفسه؟ إذا كان الرّب موجودًا، فهل نحتاج إلى الإيمان به؟ ... تلك كلها أفكار مسبقة عالجها أنتوفن في كتابها الأول "أخلاقيات مؤقتة"، وواصل الحفر فيها في هذا الكتاب.

بين حرية الشعب وفاعلية السلطة

❏ "هل دخلنا عصر الانحطاط الديمقراطي، وحتى عصر ما بعد الديمقراطية؟ في كتاب بعنوان "كيف نحكم شعبا ملكا"، يعتقد بيير هنري طافوايو، رئيس كولاج الفلسفة، والأستاذ المحاضر بكلية الآداب ومعهد العلوم السياسية بباريس، في وجود ثلاث خيبات وهو أن الديمقراطية الليبرالية تعاني من أزمة تمثيل حادة، ومن عجز عام فظيع، ونقص عميق في المعنى. أي أنها فقدت في مسيرتها الشعب الذي يؤسسها، والدولة التي تحافظ عليها، والأفق الذي يوجهها. إن ما اعتبرناه تقدما مكتسبا، أي الدمقراطية، اتضح أنه في الواقع حظيرة مدوّخة. والكتاب في مجمله رسالة في الفن السياسي، يدعو القارئ إلى التفكير في الأسباب التي تخلق سرّ الطاعة الإرادية، لأن فن الحكم في الديمقراطية هو فن المحكوم كيف يُحكَم. بين كابوس العجز الشعبي وشبح الاستبداد، كيف السبيل للمصالحة بين حرية الشعب وفاعلية السلطة؟

عزت القمحاوي يرى «ما رآه سامي يعقوب»

رواية الحب والاستبداد والثورة في نوفيلا مصرية بارعة

ممدوح فراج النابي
كاتب من مصر

❑ كنت أترقب بشغف ماذا سيكتب عزت القمحاوي عن الثورة المهدورة، لم يخب ظني وإن كان طال بعض الشيء. فقط كان يحتاج إلى بعض التريث قليلاً حتى تتضح الرؤية، وها هو يقدِّمُ لنا رؤيته عمّا حدث في "ما رآه سامي يعقوب". حاول القمحاوي أن يهرب من الثورة بالحب، لكنه وضعنا في مأزق آخر عن الثورة والاستبداد، فلا حب في زمن الاستبداد، فسطوة الاستبداد أو القمع تقتل الأحبة، وتدفع إلى الهرب من الحب. الجميل أن عزت القمحاوي صاحب "بيت الديب" الحكّاء الماهر، لا يقف عند حدث يناير، وإنما يرجع للخلف إلى ثورة الضباط في 1952، ليقدِّم لنا، وقائع ما جرى، ولماذا انتهينا إلى هذه النهاية المأساوية.

في رواية "ما رآه سامي يعقوب" الصادرة حديثًا عن الدار المصرية اللبنانية، كل شيء حاضر في الرواية القصيرة التي هي أقرب إلى النوفيلا؛ الحبّ والثورة والخيانة والغدر والخوف والموت أيضا. فعبر شخصية سامي يعقوب، الطفل الذي كان يراقب النمل على جدران العمارات المواجهة، ويتسلّى باللعب مع الحيوانات والحشرات والطيور، يكشف لنا القمحاوي عن إكسير الحب وتأثيره على سامي الذي قضى سبع سنوات كئيبة، لم يزحزحه من مكانه إلا فريدة، التي أعادته طفلاً. فالحب جعل سامي وهو يرنو إلى منزل حبيبته "يتبسم وتتوسع ابتسامته بين خطوة وأخرى"، والحب نفسه جعله يتابع قطّين في حالة شبق وهو "لا يحبُّ القطط من قَبل"، لكن من أجل فريدة فعل، حتى أنه يتخيّل أن حبّها "باعد بينه وبين روح الموت". فعندما وقعت عيناه في عينيها أوّل مرّة "أحسّ أن الحياة عادت عرضًا لطيفًا، وأنه لم يفقد ملكة رؤية الأشياء قبل وقوعها". كان سرّه الأزلي أنه يرى الحوادث قبل أن تقع، وهذا السّر جعله يرى الحياة عرضًا قابلاً للتكرار. فرأى وفاة أمه، وبالمثل وفاة أخيه يوسف.

ليس حب سامي لفريدة هو الصورة الوحيدة للحب في الرواية، فهناك حب المهندس صبري لأبيه، الذي جعله يدافع عن حق أبيه، وهو يعلم ما حَاق بجده من قبل، بل في سبيل هذا الحلم ينتهي به الحال إلى جثة في ثلاجة معتمة. أيضًا هناك حب سامي لأخيه يوسف، والعكس حتى أن الأخير جاء من ألمانيا لزيارته لمجرد إحساسه بتعبه.

التيمة الثانية التي تسري في الرواية دون خطابية أو زعيق هي الثورة التي أحبطت سامي نفسه وقتلت أخاه يوسف، ولوثت تاريخهم في موقعة الجمل 2011. وإن كان الراوي يذهب أبعد ويرى أن العائلة ضحايا الثورات فالجد كان أحد ضحايا الثورة من قبل، فاتّهم بالفساد ولوّث تاريخه، وكان حبّ سامي أيضًا ضحية للثورة ورجالها الأشداء، بعدما اقتيد لإحدى الجهات نظرًا لشغفه بالتصوير، فيسقط في حبائل السين والجيم، ويخرج من عندهم متهمًا تطارده قضية تبديد لم يعد يتذكرها، وخوفًا يصل به إلى عدم الرد على اتصال فريدة.

مَن سامي يعقوب، الذي جعله عزت القمحاوي شاهدًا على مآسي والده الذي راح يطالب بحق أبيه الذي دهسته الثورة، فرآه في المشرحة جثة بعدما فعلت يد السلطة ما فعلته به فأردته قتيلاً دون أن تعترف أو يعرف من قتل أباه! ثم جاء الدور على أخيه يوسف، الذي هجر مصر وسافر مع أمه إلى ألمانيا، وجاء بعد اشتياقه لأخيه، فقتل غدرًا في أحداث الثورة.

يخبرنا الراوي الغائب بأن سامي هو ابن المهندس صبري يعقوب، حفيد سالم يعقوب الذي كان خطيبًا، وكاتبًا جريئًا ووزيرًا ناجحًا لعدة دورات لكنه تعرّض للإهانة في آخر أيامه، وألصقت به تهم بالفساد. ومن قبل استقال من الوزارة احتجاجًا على محاصرة دبابات الإنكليز للملك ذاته في قصر عابدين، بعدما كتب مقالاً هاجم فيه الملك، وكان سببًا في سجنه.

أما أبوه فهو صبري سالم يعقوب مهندس معماري، ورث عنه الإرادة والتصميم وقوة الذاكرة والدقة في الحساب. نذر حياته دفاعًا عن قضية أبيه، اعتبره الكثيرون مجنونًا. كان وفيًا لأبيه فيحرص دومًا على استقبال أصدقاء أبيه من الباشوات في المناسبات ومنها أعياد ميلاد الولدين "فكان البيت يمتلئ بالرِّجال المسنين الذين تتصاعد رائحة العتة من ملابسهم"، إلا أن الطبيبة الألمانية "أليس شتاينمير" التي جاءت إلى مصر في برنامج المعونة الطبية من الحكومة الألمانية لمستشفى القصر العيني عام 1980 انبهرت بشخصية المهندس صبرى، بعدما سمعت عنه من إحدى زميلاتها (هدى) من الطبيبات المصريات، تمتّ له بصلة قرابة، لكن مع الأسف كانت تسخر منه، بينما رأت أليس فيه رجلاً صلبًا وسيمًا ووفيًا ومؤمنًا بقضية أبيه ومكافحًا في الدفاع عنها والمثابرة فيها. وهو ما تحقّق له بعد ثلاثة وثلاثين عامًا فقد حكمت المحكمة بتاريخ 9 مايو 2008، بردّ شرف سالم يعقوب، وإلزام الداخلية بالموافقة على إقامة الاحتفال بذكراه.

العالم النقيض

تزوجت به أليس وأقنعت نفسها بأن "رجلاً كهذا سيكون شريكًا مناسبًا"، ولكن الحياة بينهما لم تكن كما خططت، على نحو ما سعت في الشقة التي "تمكّنت عبر زحف هادئ ودؤوب من تقليص حصة أبيه في الشقة إلى النصف"، فما أن أنجبت الابن الأول يوسف، حتى دبَّ الخلاف بينهما حول تسميته، وحدث نفس الشيء عند مولد سامي، ثمّ كان التذمر من تشبثه بقضيته، وإن كان هذا التذمر لم يثنه عن حلمه بأن ينتصر لأبيه، ويتمكّن من إثبات براءته، وينتزع الحق في الاحتفال بعيد ميلاده في ميدان التحرير. لكن صبرها نفد من كثرة التعقب والاعتقال، ومن حياتها غير المستقرة، فطلبت الرحيل، فأخذت يوسف وبقي سامي مع أبيه.

تكشف علاقة أليس بصبري عن ثنائية العلاقة بين الشرق والغرب، ولكن ليس في صورة صراعية، وإنما في صورة نقيضة لعالمين مختلفَيْن في الأولويات. فأليس الألمانية تبغي حياة مستقرة، في حين حياة صبري متوترة ومرتبكة. بالمثل في علاقتها مع أولادها، فهي نموذج للدقة والنظام حيث تستيقظ صباحًا تأخذ الأطفال إلى درس السّباحة ثم تعود بهما إلى البيت لارتداء ملابس المدرسة، وبعد الغداء هناك دروس الموسيقى ثلاثة أيام في الأسبوع، ثم قليل من الراحة، فمراجعة دروس اليوم. وكأن القمحاوي يتطرق لمشاكل الزواج من الأجنبيات وأسباب التوتر في العلاقة بين الطرفين، فيتساءل في ضوء هذه العلاقة: هل تستقيم حياة بين نقيضين؛ أمّ منظمة جدًا، وأب فوضوي أهمل مكتبه وعهد به لتلاميذه، لا يدخله إلا عدة أيام، للمراجعة والإرشاد. حياته منقسمة بين تتبع القضية والاعتقال.

عزت القمحاوي.. رواية عن الحروب من الحب بسبب الاستبداد

في مقابل صورة التخلّي أو الأنانية التي ظهرت بها الشخصية الأجنبية في صورة الزوجة أليس، ظهر العكس في صورة صبري، الذي مَن فرط إيمانه بقضية أبيه يحتفظ "بالقلم الذي كان سببا في سجنه (أبيه)، والبيجاما التي كان يرتديها عندما مات، وثلاثة جلاليب، وخمسة أزواج أحذية، ودبابيس تحمل اسم الحزب الذي كان ينتمي إليه". كما أنه تعرض لزيارات ليلية من رجال أشداء، كان يغيب بعدها لمدة أسابيع ثم يعود، تحيّروا في تصنيفه فوضعوه على كل قوائم الاعتقال وفي واحدة من هذه الزيارة ذهب، لكن لم يعد إلا جثة.

يتعامل الراوي الغائب مع الزمن بحرفية عالية، فالرواية التي تحكي وقائع امتدت زمنيًا إلى ما قبل ثورة 1952 عبر شخصية الجد يعقوب باشا، الذي سُجن أيام الملك، وكان أحد ضحايا الثورة وصولاً إلى أحداث 25 يناير 2011، إلا أن ثمة زمنا ثابتا يتحرك في اتجاهين الأول صوب موعد فريدة في بيتها في إمبابة حيث الاحتفال بعيد ميلاده عندها. والثاني إلى الخلف حيث طفولة سامي ويوسف، والجد والأب وهروب الأم، ثم موت الأب، وصولاً إلى لقائه بفريدة الذي حدث بعد موت يوسف بثلاث سنوات وخمسة أشهر.

الزمن الذي يحدث الارتباك في حياة سامي هو زمن الاستعداد للاحتفال بعيد ميلاده في شقة فريدة، والانتظار الذي يستغله في متابعة غراميات القطّيْن، وهذا الشغف بمتابعة القطّين قاده إلى الإيقاف والتحقيق، ليذوق من الكأس التي اغترف منها أبوه –من قبل– وأودت بحياته، لكنه يطلق سراحه، وإن كان أثر هذا اللقاء لم يفارقه. منذ بداية لحظة الاستعداد للقاء في بداية النص، يأخذنا الراوي الغائب في مسار هذه العلاقة بين الحبيبين، مسترجعًا الكثير من التفاصيل التي لا تتوازى مع زمن هذا اليوم، منذ أول إحساس عندما رآها في جنازة المرحوم، وإحساسه بحضنها، إلى تطور العلاقة بينهما بعد مساعدتها في الحصول على معاش زوجها، وتكرار السؤال عنها، والأهم أن السّرد يتماوج في حركات تتقاطع بين الماضي القريب، والحاضر، لتربط بين عناصر الحكاية، وكاشفًا عن وهج اللقاء، والاستعداد له. ولقاءاتهما في شقته، وجولاتهما معًا.

عبر إشارات دالة يقف الراوي الغائب الذي يتوازى مع المؤلف الضمني عند تناقضات المجتمع، فحسن البواب يتدثر تحت اسم الحاج أبو شفيع، دون أن يكون ذهب إلى الحجّ، لكن يحصل على هذا اللقب بحكم "المكانة التي يحصل عليها المعمرون". وفي حديثه عن ملابس فريدة وتساؤلات البطل عن لماذا ترتدي هذه الملابس التي تخفي الجسد المنحوت برهافة وجدت نفسها مجبرة على العيش فيها؟ ومن ثم هل تتعمد الإساءة لجمالها؟ وكذلك يضعنا في مفارقة بين الزوجة المصرية في صورة فريدة والألمانية أليس، ففريدة فشلت في ترويض زوجها، بل "هو الذي فرض عليها ما يسمّيها عاداته وتقاليده، لم تنسجم معه، ولم تشأ أن تفشل معه" في حين أليس عندما فشلت هربت إلى بلدها. وأيضًا عن الخناق الذي يفرض على الأرملة فتدخل تحت تدخلات عائلية بعد موت الزوج كما في صورة فريدة.

في الرواية يتوازى الحب والثورة، فكلاهما تعرَّضا للإجهاض والتشوية. ولم يبقَ منهما إلا الذكرى والألم عند التذكر! فهل صارتْ كلُ لحظات ابتهاجنا مجرد طيف ذكرى، مُغَلفة بذكريات الألم والخوف والتوجع؟ ولمَ لا، ما دام الفرد مُحاصرًا في كل تصرفاته، وهناك مَن يضغط عليه، على اختلاف هذه الإكراهات؛ أنساق ثقافية مهيمنة كما في حالة فريدة، أو إكراهات السلطة ذاتها كما حدث مع سامي، ومن قبل أبيه صبري؟

رف الكتب

الخصوصية الفرنسية

❑ ترجع أصول اللائكية إلى الحروب الدينية، حين بدأت القوة الملكية في التحرر من سلطة الكنيسة. من هذه الأزمة الأصلية، ينطلق فيليب راينو، أستاذ التاريخ بجامعة بانتيون أسّاس، ليذكّر بأن مرسوم نانت يسمح بأن يكون الفرد فرنسيا دون أن يكون كاثوليكيا، وهي الثغرة التي حاول لويس الرابع عشر سدّها لاحقا. غير أن الملكية المطلقة لا تستمد شرعيتها من الأسس الدينية قدر ما تستمدها من العقلانية الإدارية لسلطتها الممدَّنة والمحضَرة. ولما اندلعت الثورة، لم تعد فرنسا مملكة كاثوليكية، بل بحثت لها عن سبيل تؤدي إلى دولة لائكية، منزوعة من كل تصور تيولوجي. استمر النزاع بين الكاثوليكيين والجمهوريين حتى القرن التاسع عشر، عندما التزمت الجمهورية الثالثة بعَلمانية نضالية أدت إلى قانون 1905، اتخذ أشكالا أخرى لينتهي عام 1984 إلى محاولة إقحام المدرسة الخاصة الكاثوليكية في التعليم العام. ورغم أن المشاكل بدأت منذ الستينات بتطور العادات والتقاليد وظهور حقوق جديدة، كزواج المثليين.

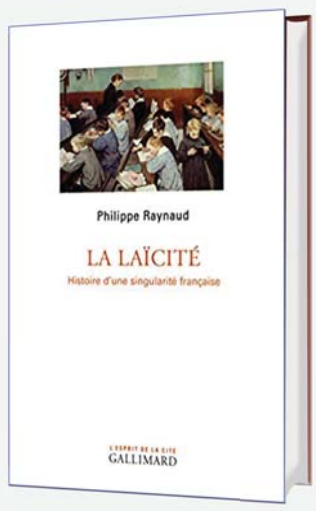

تشظي الأمة الفرنسية

❑ خلال بضعة عقود من السنين، تغير كل شيء، ولم تعد فرنسا، في زمن السترات الصفراء، كما كانت، فالأمة التي كانت ملتحمة، متمسكة بقيم جمهورية واحدة لا تتجزأ، تحولت إلى أرخبيل تجهل جزره بعضها بعضا. في كتاب "الأرخبيل الفرنسي" يتصور المحلل السياسي جيروم فوركي، الآثار الثقافة والأخلاقية لهذا الانجراف، ويلاحظ مدى تغير علاقة الفرنسيين بالجسد من خلال تنامي بعض الممارسات كالوشم وحرق جثث البشر، وعلاقتهم بالحيوانية كالامتناع عن أكل لحوم الحيوان، وانتشار مناهضة نظريات تفوق الإنسان على الأجناس الأخرى، الحيوانية بخاصة، ولكن الأخطر هو امّحاء تدريجي لفرنسا القديمة تحت ضغط فرنسا الجديدة التي أدت إلى تفتيت المجتمع كله: انفصال النخب، استقلال الفئات الشعبية، تشكل جيوب كاثوليكية، إقامة مجتمع متعدد الثقافات.

انحراف الذكاء الاصطناعي

❑ بعض الروبوتات المنزلية تقوم بدور الوشاة، وبعض الأجهزة المبرمجة للتخاطب مع الحرفاء يشتمونهم، وبعض المنظومات المعلوماتية تساهم في النزاعات بين البشر، بل وتكون سببا في إثارتها. في 18 مارس 2018 قتلت سيارة ذات قيادة أوتوماتيكية تابعة لشركة أوبر امرأة كانت تعبر الشارع في مدينة بولاية أريزونا، فكان أول موت لمترجل يتسبب فيه لوغاريتم. من المسؤول؟ الإجابة عن هذا السؤال تُعدّ من بين التحديات الملحة على علاقة الإنسان بالتكنولوجيات الرقمية، وليس المطلوب كيف نجعل الذكاء الاصطناعي عطوفا بل كيف نجعله لا يعوض الإنسان كعامل أخلاقي. في كتاب بعنوان "الروبوتات والشر" يتناول ألكساي غرينبوم الفيلسوف والفيزيائي المتخصص في علم الميكانيك الكمّي هذه المسألة، ويرى أن اللجوء إلى الصدفة وحدها هو الذي يمكن أن يحرر الآلة من المسؤولية التي نريد أن نحمّلها إياها.

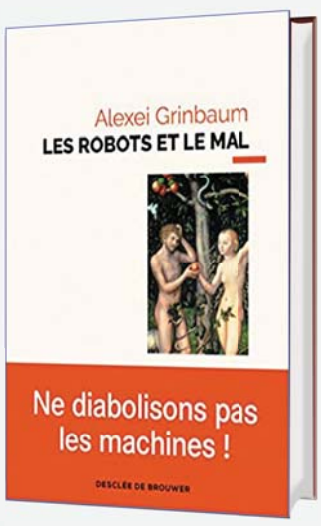

لوحة تائهة لـ40 عاما مفتاح أعمال جديدة

قطار الفنان اللبناني محمد الرواس يعبر عالمه الفني مرتين

"أعمال حديثة" هو عنوان المعرض الجديد للفنان اللبناني محمد الرواس، الذي افتتح قبل أيام في صالة "صالح بركات" ببيروت. يعود إلينا الرواس المشـــهور بلغته الفنية المبنية من وسائد متعددة بلوحات يواصل معهـــا التأكيد على فـــرادة تجربته. زائر المعرض يكتشف مواجهة مُحتدمة وحوارا في ما بين خصائص أعماله التي أنتجها على مدار ما يفوق 35 سنة كرّس خلالها حياته للفن.

ميموزا العراوي
كاتبة من لبنان

مجاورة الأساليب المختلفة في لوحة واحدة

❏ الظروف الحاضنـــة التي انبثق عنها هذا المعرض ليست عادية البتة وقد تلقّفها مدير وصاحب الصالة صالح بركات بعين راصدة لا يفوتها تفصيل متوقّد.

بـــدأ الأمر حينما عثر محمد الرواس على "شـــعلة" المعرض، إذا صح التعبير: لوحة له مفقودة منذ 40 سنة كانت مشروع تخرجه من معهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية في بدايات الحرب الأهليـــة اللبنانية. اعتقد الرواس أنها وعلى مدى 40 سنة، قد فقدت أو أتلفت أثناء جولة من جولات القصف.

بعد العثور عليها بدأ بمشـــروع ترميمها بمســـاعدة "محترف فضول خلوف للترميم" حتـــى عادت إلـــى وضعها الأصلي أو شـــبه الأصلـــي الـــذي يظهر فيه بشـــكل كبير تأثر الفنان الأولي بمرحلـــة التعبيرية التجريدية الأميركية.

بالطبـــع لم ينته الأمر هنـــاك. وحدث كما يحـــدث في كل مرة نســـتعيد فيها عملا فنيا أو فكـــرة من جديد بعد فراق ســـنوات عديدة راكمنـــا فيها بـــكل فرح أو حســـرة عددا من التجـــارب والاختبارات الحياتيـــة العميقة، حـــدث أن يضع الفنان لوحتـــه القديمة التي حملت اســـم "قطار" تحـــت مجهره ومبضعه وأســـلاكه المرمّمة لينتج لوحة ثانية منبثقة عنها أعطاها اسم "قطار 2".

حيـــن يكون المـــرء فنانـــا لا تمـــرّ هكذا مفارقـــات، كالعثور علـــى أولى اللوحات بعد 40 سنة في حال ســـبيلها دون أهمية مُزلزلة بطريقة أو بأخـــرى. وينطبق هذا تماما على الفنـــان محمد الـــرواس. وهو مـــن الفنانين الذين يمارســـون الفن كما يمـــارس الجراح عملياته بكل تخطيط وتركيز ذهني.

فمثلما الدماء بالنســـبة للجراح ليست دماء بالمعنـــى الفلســـفي والعاطفي للكلمة بـــل هي ســـائل أحمـــر مكـــوّن مـــن عناصر طبيعيـــة، كذلـــك علـــى الأرجـــح بـــدت لوحة الرواس الأولى وثيقـــة تاريخية أمام نظرته الحاضـــرة الثاقبـــة التي تمرســـت على عزل الأشياء عن بعضها البعض وإعادة تركيبها على هـــوى مزاجها الذهني الذي لا يرحم أي تفصيل.

> توالدت اللوحات من بعضها البعض في عمليات قيصرية مُجهز لها سلفا تذكر أنه لا وجود للعاطفة في معادلة الفن بل حضور ذهني متصل مع ريشة/مبضع جراح له قلب من حديد وخيال مُشبع بثقافة معرفية هائلة

بتركيز جراح مُنكـبّ على الآن والـ"هنا" وببـــرودة تســـتمر فـــي إدهاشـــنا وتريد أن تظهـــر في أحيـــان كثيـــرة عكس ذلـــك، قدم الفنان لوحتـــه الثانية، بل نســـخة الثانية التي شـــكلت ترجمة ودراســـة بصرية دقيقة لما كانت عليه الأولى، لاســـيما في تقويضها وسوقها إلى النطق بلغته الفنية التي وصل إليهـــا منـــذ أكثر من عشـــر ســـنوات والتي تتميز بـ"جهورية" لافتة وطغيان للعقل على العاطفة.

حرص صاحب الصالة أن يضع اللوحتين مقابلتين لبعضهما البعض وأن تحيط بهما اللوحات الأخـــرى التي تحتشـــد فيها حتى التخمة عناصر لوحاته السابقة التي تكاد لا تعدّ ولا تحصى والمُســـتمدة من تاريخ الفن الكلاســـيكي والحضارات القديمة، والعيش المعاصر.

قد يبـــدو للناظر إلـــى اللوحتين ومن ثم إلـــى اللوحات الأخـــرى "المُرافقـــة" لهاتين اللوحتين الأساســـيتين أن محمد الرواس لم يترك أسلوبا ليدخل في الآخر. كل ما في الأمر أن ما كان غائما في ذهنه، أو قيد التكوين، قد شحذته خبراته الحياتية ليصبح مواقف من الحياة، من الأشـــكال، ومن البشر المحيطين بـــه ومن المرأة بشـــكل خـــاص التي حرص الفنان على أن يصمم ويهندس كل ظهوراتها ونظراتها وتصرفاتها وهيئاتها بحســـابية "مُقلقة".

كل عنصـــر يقع في المـــكان الذي خططه له الفنان مُســـبقا. لا وجـــود للمفاجآت غير الســـارة إلا القليل منها. لـــم يحمل "القطار" الثانـــي غير "البضاعة" التـــي حملها الأول.

اثنتان من لوحات المعرض: كل عنصر يقع في الحيز الذي خطط له الفنان مسبقاً

النقائق والمتشابهات، والاصل والشبيه في لغة اللوحة وموضوعها

إنها الأفكار ذاتها والأشخاص ذاتهم وقد تعرضوا للتقويم. وما كان من صور مهيضة فـــي أعمال الفنـــان الأولـــى أصبحـــت أكثر وضوحا فـــي اللوحـــة الثانية وفـــي مجمل اللوحات الحاضرة في الصالة.

فـــي هـــذا المعرض كمـــا فـــي المعارض الســـابقة لم تغادر المرأة/الشـــيء لوحاته. ظلت فـــي لوحاته تحت حكـــم ترتيب الفنان لكيفيـــة ظهورهـــا خارجة للتو مـــن فانتازيا ذكوريـــة تريـــد أن تُظهرهـــا عكـــس ذلك. أي تظهرها ســـيدة نفســـها. تبقى المـــرأة التي تلعـــب دور الجريئة، ســـجينة نظرتـــه إليها وهي في بداية شبابها، لا قبله ولا بعده.

هكذا يكون الفنان صادقا مع نفســـه ومع مبدئه الراســـخ عن ماهية المـــرأة وعن زمن أنوثتهـــا الـــذي لا يتعدى بالنســـبة له بضع سنوات حددها نزق ميزانه الخاص والمُقلق إلى أقصى حد.

توالدت اللوحات من بعضها البعض في عمليات قيصرية مُجهز لها ســـلفا تذكر أنه لا وجـــود للعاطفة في معادلـــة الفن بل حضور ذهنـــي متصل مع ريشـــة/مبضع جـــراح له قلب من حديد وخيال مُشـــبع بثقافة معرفية هائلة استنبط منها أفكاره ليقولبها تشكيليا فترضخ إلى نظرته الفنية ببراعة قلّ نظيرها.

إلـــى جانب كل الأفكار التـــي تطرق إليها الفنان ســـابقا حضـــرت محاولـــة نابغة في مُســـاءلة بصريـــة عقدهـــا الفنان حـــول فنه العابـــر للســـنوات. كمـــا عمد إلـــى مجاورة الأســـاليب المختلفة ضمن اللوحة الواحدة بجـــرأة وحنكة ســـاحر لا يخيفه تفكيك أدنى التفاصيل وبعثرتها ومن ثم إعادة إنشـــائها بظهـــورات جذابـــة تُتحـــف النظـــر وتقض مضاجع المشاعر المُلتبسة.

كما برز أمر آخر لا يقل أهمية وهو قدرة الفنان علـــى ترويض فكرة الزمن في لوحته. فما تتطلب منه سرعة في الأداء الفني بزاوية مـــا من اللوحة، تتطلب منه من ناحية أخرى، تدقيقـــا وصبرا في وضع اللمســـات اللونية والخطوطية في أماكن أخرى من ذات اللوحة.

ويبقى التناغم سيد اللوحات مهما عجّت بالعناصر والأساليب المُتناقضة "عرفيا".

المعـــرض بحدّ ذاته تجربـــة فنية فريدة. إذ هو ليس بمعرض اســـتيعادي ولكنه حقق فرصـــة ثمينة تجـــاورت فيها أعمـــال الفنان السابقة، ومن ضمنها التخطيط الذي انطلق منه مشـــروع التخرج قبل 40 سنة مع أعماله الجديـــدة بصيغة جدليـــة وتفاعليـــة مكّنت الزائر مـــن التنقل ما بين أزمنة فنية متعددة غيـــر مُفككة بل متماســـكة كليا علـــى الرغم من الثـــورات التي نشـــأت داخلها وأطاحت ببعضهـــا البعـــض فـــي الأســـلوب وذهنية التنفيذ.

رحيل المخرج الذي قاوم العنصرية وروى تاريخ العبودية

ميد هوندو مؤسس السينما الأفريقية الجديدة

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❑ رحل عن عالمنا في الثالث من أبريل الجاري المخرج الموريتاني محمد هوندو عبيد الشهير بـ"ميد هوندو" الذي وصف أيضا باعتباره "والد السينما الأفريقية". توفي ميد هوندو عن 82 عاما في هدوء بالعاصمة الفرنسية التي قضى الشطر الأكبر من حياته فيها حيث عمل في مهن شتى قبل أن يدخل عالم السينما.

"ميد هوندو" كما كان يفضل أن يوقع أفلامه، هو المخرج الأفريقي الوحيد الراديكالي الثائر الذي حافظ على أفكاره وعلى استقامته الأيديولوجية، وحفر لنفسه أيضا أسلوبا خاصا بديعا يتميز بالرونق والجمال. فاهتمامه الفكري لا ينفصل عن اهتمامه الجمالي.

وقد قابلته عندما جاء يعرض فيلمه "ساراوونيا" في مهرجان لندن السينمائي عام 1986، وكان يتحدث العربية بطلاقة، إضافة إلى الإنكليزية والفرنسية بالطبع. وفي المقابلة التي أجريتها معه ونشرت في إحدى المجلات الإنكليزية وقتها، قال لي إنه يعتبر السينما المصرية هي السينما الأم في القارة الأفريقية، وأبدى رغبته في أن تفتح مصر أستديوهاتها ومعاملها السينمائية أمام السينمائيين الأفارقة، وأن يتم إنتاج أفلام مشتركة.

البدايات

ينتمي هندو (1936 – 2019) إلى حركة السينما الأفريقية الجديدة ما بعد الكولونيالية التي ظهرت في الستينات من القرن الماضي، مع عثمان سمبان وصافي فاي من السنغال، وسليمان سيسي وشيخ عمر سيسوكو من مالي، وإدريسا أودراغو من بوركينا فاسو.

ولد ميد هوندو، واسمه الأصلي عبيد محمد هوندو ميدون، عام 1936 في نواكشوط، وتلقى تعليمه الأولي بالرباط، ثم هاجر إلى فرنسا وعمره 25 عاما، حيث تنقل بين مهن عديدة. فقد عمل حمالا وطاهيا وساقيا ثم بدأ العمل بالتمثيل في إحدى الفرق المسرحية الصغيرة التي أسسها أبناء جزر المارتنيك. وكانت الفرقة متخصصة في تقديم الأعمال المسرحية لمؤلفين أفريقيين. بعد هذا عمل هوندو كممثل يقوم بأداء الأدوار الصغيرة في الأفلام، وظهر كممثل ثانوي في أفلام لغودار وكوستا غافراس وجون هيستون، ثم تحول إلى الإخراج فقدم فيلمين قصيرين هما «أغنية للجندول» و«جيراني». وفي عام 1969 بدأ هوندو إخراج فيلمه الروائي الطويل الأول «أوه أيتها الشمس» الذي أنتجه بمساعدة عدد من أصدقائه واعتمادا على المكافآت التي كان يتقاضاها عن التمثيل. في هذا الفيلم يصور هوندو الإحباطات التي يعيشها مهاجر موريتاني في باريس تحت وطأة العنصرية الفرنسية والتهميش والاستبعاد، إلى أن يصل إلى مرحلة الجنون المطلق. ويتعرض الفيلم أيضا لموضوع الاضطهاد الطبقي الذي يقع على عاتق العمال الملونين في فرنسا.

أما فيلمه الثاني «عمال عبيد ـ هؤلاء العرب جيراننا» (1973)، ففيه تبرز محاولة هوندو للبحث عن أسلوب سينمائي جديد مستمد من الثقافة الأفريقية. ويستخدم هندو الأسلوب التعليمي الذي يمزج بين الواقع والأرقام والإحصائيات والمعلومات التسجيلية. وقد حصل هذا الفيلم على جائزة التانيت الذهبي في مهرجان قرطاج السينمائي (1974) في عصره الذهبي عندما كان قبلة للسينما الأفريقية والعربية الجديدة.

وفي ما بعد، طور هوندو أسلوبه هذا في فيلم «ويست إنديز» (1980) الذي كان بمثابة باليه أفريقي، حيث يستخدم الرقص والموسيقى والأغاني مع التعليقات الصوتية والرسوم المتحركة وكتابة العناوين على الشاشة وإعادة تمثيل اللقطة، داخل ديكور مصنوع لسفينة مركبة بالأستديو على ديكور مصنع قديم. وتتكون السفينة من ثلاثة طوابق: يضم الطابق الأعلى المستعمرين الفرنسيين، ويضم الطابق الأوسط أعوان الاستعمار من الأفارقة وتجار العبيد البيض، وبالطابق الأسفل العبيد الأفريقيون. ويروي الفيلم قصة العبودية خلال القرون الثلاثة الماضية من خلال بناء جدلي يبرز المتناقضات، وإيقاع خاص مستمد من الإيقاعات الأفريقية التقليدية.

باليه أفريقي

يقوم الفيلم على مسرحية "العبيد" للكاتب المارتنيكي دانييل بوكمان، التي سبق أن أخرجها هوندو للمسرح. وقد اعتبر أكثر الأفلام الأفريقية طموحا وأول فيلم موسيقي أفريقي، وقد شيدت له ديكورات وعمل فيه عدد كبير من الممثلين الثانويين والراقصين، وتكلف إنتاجه مليون و300 ألف دولار، وهي ميزانية ضخمة بمقاييس عصره. وقد جاءت بالتعاون بين الحكومة الموريتانية، وهيئة الإذاعة والتلفزيون الجزائرية ومساهمات من السنغال والكاميرون وساحل العاج كما صرح ميد هوندو في المؤتمر الصحافي لمناقشة فيلمه في مهرجان قرطاج حيث شاهدت الفيلم للمرة الأولى. أي أنه إنتاج أفريقي مئة في المئة.

في الثمانينات أعلنت السينما الأفريقية التمرد على صورتها القديمة التي كرسها النقاد الفرنسيون باعتبارها سينما الفولكور والفقر، وأكمل ميد هوندو أهم وأفضل أفلامه وأكثرها كمالا واكتمالا من وجهة نظر كاتب هذا المقال وهو فيلم «ساراوونيا» الذي حصل على الجائزة الذهبية في مهرجان موسكو السينمائي عام 1987.

قضى هوندو سبع سنوات في إعداد وتصوير هذا الفيلم مدفوعا بطموحه لتحقيق عمل ملحمي كبير على غرار أفلام كيروساوا، وفيه يتجاوز كل ما حققه في أفلامه السابقة. إنه يبدو أقل اهتماما بالتجريب الشكلي وأكثر امتلاكا لعناصر الأسلوب مع التمكن التام من قيادة الممثلين وإدارة التصوير مستعينا بالمئات من الممثلين الثانويين. ويصوغ هوندو أحداث فيلمه في خط قصصي أكثر

«ساراوونيا» ملحمة المرأة الأفريقية

ميد هوندو.. والد السينما الأفريقية الحديثة

سلاسة وإن كان يخضعه ببراعة لأسلوبه الجدلي مع الاهتمام في نفس الوقت بكافة عناصر ومكونات الصورة.

يتناول الفيلم قصة الغزو الأوروبي الاستعماري للقارة الأفريقية في أواخر القرن التاسع عشر، مركزا على قصة صمود «ساراوونيا» ملكة قبائل الأزناس في غرب أفريقيا التي قاومت ببسالة مع جيشها، الغزاة الفرنسيين وانتصرت عليهم، وتحولت قصة صمودها في ما بعد إلى أسطورة لا تزال قائمة حتى اليوم.

يبدأ الفيلم بمشهد هائل مصور بكاميرا تتحرك «ترافلنغ» طويلة إلى الأمام، تتابع صفوف الجنود الافارقة في الجيش الاستعماري الفرنسي خلال تقدمهم في الصحراء. والمشهد هو مشهد نزول العناوين، ولكنه مصور بجمالية شديدة حيث نرى الرمال تتطاير بفعل الريح على جانبي الطريق في حركة ناعمة، وتضرب عليها أشعة الشمس فتتكون انعكاسات ذهبية رائعة تمتزج مع اللونين الأحمر القاني والأصفر. وفي نهاية المشهد، تبتعد الكاميرا لتتخذ اتجاها آخر غير اتجاه الجنود الذين يتقدمهم بضعة ضباط فرنسيين يمتطون صهوات الجياد. والأغنية المصاحبة لهذه اللقطات التي يرددها الجنود، وتتكرر مقاطع منها عبر أجزاء الفيلم، تحمل كلماتها معنى سياسيا، كما تعكس سخرية قاسية:

"فرنسا جميلة.. نحن أطفال فرنسا.. إنها أمنا وأبونا. تعيش فرنسا الجميلة.. إننا سعداء بفرنسا. التي تعطينا المعكرونة والبطاطس"!

المغزى السياسي واضح، وهو أن المستعمرين الفرنسيين قليلي العدد كانوا يعتمدون على بضعة آلاف من الأفارقة في غزو القارة الأفريقية، وبذلك جعلوا الأفريقي جلادا لأبناء قارته.

الإغراء والمقاومة

يظهر ملك قبائل الأزناس يكلف أحد أتباعه من حكماء المملكة، بتعليم ابنته «ساراوونيا» فنون الحرب والقتال والسحر والعلاج حسب الموروث الأفريقي، وبعد سنوات نرى ساراوونيا وهي تحتفل مع شعبها بانتصارها على جيش مملكة سوكوتو المجاورة، التي قام ملكها بغزو مملكة ساراوونيا بحجة اخضاعها للإسلام بالقوة.

وإلى الجبهة الأخرى، لنرى لقطات مذهلة للغزاة الاستعماريين وهم ينتشرون في غرب أفريقيا، مستعينين بجنود مرتزقة أتوا بهم من جنوب السودان بعد إغرائهم باقتسام الغنائم والنساء زوجات رجال القبائل المهزومين.

تتحرك الكاميرا من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، لنرى الأفريقيين وهم يعملون في خدمة المستعمرين. البعض يذبح الذبائح ويقوم بطهي الطعام، والبعض الآخر يطارد النساء. والضباط الفرنسيون يتناولون الطعام ويثرثرون معبرين عن احتقارهم للأفريقيين.

يستخدم هوندو الحركة الطويلة للكاميرا بدلا من القطع من لقطة إلى أخرى، فيحول اللقطة إلى مشهد كامل مكون من لقطات متجاورة يجمعها المكان والزمان. ففي المشهد ثلاثة عناصر في وقت واحد: الضحايا مع العبيد والنساء، العملاء الأفريقيون المتعاونون مع الفرنسيين، وأخيرا المستعمرون البيض، كما يستخدم الأسلوب التعليمي الذي اشتهر به، كأن يقطع مثلا، على خارطة أفريقيا بينما تشير الأسهم الحمراء إلى خطوط الغزو الأوروبي، ثم فجأة تغمر الخارطة بالدم الأحمر وتتحول إلى ما يشبه القلب المنفطر.

ويربط هوندو أحداث فيلمه باستخدام أسلوب التعليق أو الراوي الذي يعلق على الأحداث من خارج الصورة ويمثل وجهة نظر المخرج نفسه. فهوندو يرغب في أن يجعل فيلمه بمثابة إعادة قراءة للتاريخ، ويدعو جمهوره إلى تأمل الماضي بهدف استلهام دروسه. وفي الثلث الأخير من الفيلم، يصبح التعليق على الأحداث بصوت قائد الجيش الفرنسي الكولونيل فوليه الذي يصف حالة التخبط والانهيار التي وصل إليها جيشه مع بروز التناقضات في داخله، وهكذا ترتبط جدلية الصورة بجدلية الصوت.

دور المرأة الأفريقية

يرتكز الفيلم على محاور عدة في بنائه الدرامي، تبرز دور المرأة في التاريخ الأفريقي ويصور نمو الوعي لدى النساء اللاتي يتخذهن الضباط الفرنسيون أدوات للهو والتسلية والمتعة، حتى يصلن إلى ضرورة إرسال إحداهن لتحذير ساراوونيا من الغزو المنتظر.

وفي نهاية الفيلم، تقوم امرأة منهن، بتوجيه الضربة الأولى فتطعن الضابط الفرنسي بالسكين، وبذلك تفتح الطريق أمام تمرد الجنود الأفارقة الذين يطلقون النار على باقي الضباط، ويقتلون القائد الطاغية «فوليه» الذي يصل به جنونه وشبقه للسلطة، إلى درجة رفض أوامر قيادته ورغبته الخاصة في إقامة إمبراطورية مستقلة في أفريقيا الغربية.

من جهة أخرى تبرز التناقضات داخل المعسكر الأفريقي. هناك أولا الجنود الأفريقيون الذين يخضعون لإغراءات المستعمر ويشاركون في قتل إخوانهم. وهناك التناقضات داخل مملكة «سوكوتو» التي يرغب ملكها في مساعدة الفرنسيين، انتقاما من ساراوونيا التي سبق أن هزمت جيشه، ويستر رغبته في الانتقام بالدوافع الدينية، وينتهي إلى القتل على أيدي الفرنسيين الذين لا يثقون فيه أصلا. أما ابنه فهو يعارضه ويتبنى مع مجموعة من أنصاره ضرورة دعم ساراوونيا وشعبها، ويذهب للالتحاق بصفوف جيشها في نفس الوقت الذي يعود فيه المحارب الشجاع «باكا» بعد أن شعر بالتهديد القادم.

في أعظم مشاهد الفيلم، تستعد ساراوونيا مع رجالها للدفاع عن قصرها المقام على شكل قلعة أفريقية قديمة، ومع اقتراب الفرنسيين وعملائهم، ثم بدء إطلاق قذائف المدفعية باتجاه القصر، تنهار بعض الجدران، ويبدأ الانسحاب المنظم لرجال ساراوونيا من القصر إلى الغابة المجاورة. وعندما يدخل الغزاة، يجدون القلعة خالية تماما، فيجن جنونهم. وفي الغابة يتصدى جيش ساراوونيا للغزاة، ويهزمون الفرنسيين هزيمة منكرة.

ويستخدم هوندو زوايا التصوير المنخفضة لتصوير ساراوونيا وسط جنودها، وهي زوايا تبرز العظمة والقوة والهيبة، ويستخدم التناقض اللوني بين ملابس جيش الغزاة من الجنود الأفارقة المرتزقة الذين يرتدون الطرابيش الحمراء والسترات القرمزية والسراويل الزرقاء، بينما يرتدي رجال جيش ساراوونيا السراويل الصفراء التي تكشف أسفل الساقين مع بقاء صدروهم عارية.

وفي الفيلم نوعان من الموسيقى: الموسيقى التقليدية الأفريقية وإيقاعاتها الخاصة، وهو ما يبرز في الأغنية التي ينشدها الجندي السوداني مرددا فيها كلمات الحسرة والألم على البعد عن الوطن والعمل لحساب الأجنبي، والموسيقى الأفريقية الموزعة توزيعا حديثا والتي تعلق على مشاهد الغزو.

في اللقطة الأخيرة تطل الكاميرا من زاوية مرتفعة على جيش ساراوونيا وهو في طريقه إلى داخل القلعة، ويفاجأ المتفرج بظهور أعداد من الشباب والرجال في مؤخرة الجيش يرتدون الملابس العصرية. وهو استخدام مقصود للربط بين الماضي والحاضر، كما ينتقل هوندو من الموسيقى الأفريقية التقليدية إلى الموسيقى الحديثة في نفس المشهد، تأكيدا على الاستمرارية.

> في الثمانينات أعلنت السينما الأفريقية التمرد على صورتها القديمة التي كرسها النقاد الفرنسيون باعتبارها سينما الفولكور والفقر، وأكمل ميد هوندو أهم وأفضل أفلامه وأكثرها كمالا واكتمالا وهو فيلم «ساراوونيا» الذي حصل على الجائزة الذهبية في مهرجان موسكو السينمائي عام 1987

وفي المقابلة التي أجريتها مع هوندو، قال إن الفيلم عرض في سبع دول أفريقية وحقق نجاحا هائلا، مضيفا أن دافعه الأساسي لعمل هذا الفيلم هو أن يثبت أن الدول الأفريقية الفقيرة تستطيع إذا أرادت، أن تنتج أفلاما سينمائية كبيرة. وأنتج هذا الفيلم بتمويل من وزارة الثقافة في بوركينا فاسو، وتكلف إنتاجه 3 ملايين دولار.

انشغل هوندو خلال السنوات الأخيرة بالعمل في مجال الدوبلاج الصوتي للأفلام الأميركية. كما كان يخطط لتحقيق مشروعه الكبير لفيلم عن قائد الاستقلال الوطني في جزيرة هاييتي. وبوفاة ميد هوندو تفقد السينما الأفريقية والدها الروحي، وتفقد سينما العالم رائدا من رواد سينما العالم الثالث.

الأجانب يحبون التاريخ

فنادق فاخرة في قرى صغيرة

سياح عراقيون بملابس بحر مختلفة

بيروت تنتظر زوارها من البحر والبر والجو

الخليجيون ينعشون الحركة السياحية بعد سنوات غياب عن لبنان

مع بداية كلّ موسم سياحي جديد، يترقّب اللبنانيون وخصوصا أصحاب الفنادق والمقاهي والمنتجعات السياحية حركة الطيران وعدد الحجوزات في مطار بيروت الدولي، آملين بموسم سياحي ناجح يعوّض سنوات التراجع والإقبال السياحي الضعيف على لبنان بسبب عدم الاستقرار السياسي الذي تعيشه البلاد، هذا الموسم يترقب اللبنانيون السائح الخليجي خاصة بعد رفع الحظر عن سفر السعوديين في انتظار أن يشمل القرار دولا أخرى كالإمارات.

❏ **بيروت** – تستعد العاصمة اللبنانية لاستقبال زوارها القادمين عبر البحر والبر والجو خلال فصلي الربيع والصيف والذين من المنتظر أن يرتفع عددهم مع عودة المغتربين اللبنانيين الذين يفضلون قضاء عطلتهم في لبنان مع الأهل والأصدقاء رغم تراجع إنفاقهم بسبب تراجع العملة في أفريقيا حيث للوجود اللبناني أثر كبير، بحسب نقيب أصحاب المطاعم والمقاهي طوني رامي.

يأتي إلى بيروت أيضا، الأوربيون ممن سمع عنها أو اعتاد زيارتها، ومن يأتي بحثا عن وجهة سياحية مثالية بأرخص الأسعار، ففي بيروت يستمتع السائح بالبحر، كما يستمتع بالطبيعة والمعالم التاريخية والمطاعم الفاخرة، ولا يدفع ما يدفعه في إيطاليا أو إسبانيا أو باريس، فالأوروبيون صاروا يحسبون فارق العملة أيضا، فلم تعد عندهم الأحوال كما هي عليه من قبل، لذلك تصبح المواقع السياحية العربية وجهتهم المفضلة وخاصة أولئك القادمين من أوروبا الشرقية وروسيا.

> عدد المرشدين السياحيين يتقلص إلى نحو مئة أو أقل في السنوات الأخيرة بسبب تراجع السياح الأجانب

لكن بيروت تنتظر أكثر هذا العام السائح الخليجي الذي لم يغب عنها إلا في السنوات القليلة الماضية لدواع أمنية ارتأت دولهم أن تحظر عنهم السفر إلى لبنان للحفاظ على سلامتهم، هذه السنة رفعت السعودية الحظر، ومن المنتظر أن تسمح الإمارات لمواطنيها بزيارة لبنان هذه الصائفة، هذه القرارات أسعدت العاملين بالقطاع السياحي والتجار الذي يعرفون جيدا حريفهم الخليجي الكريم.

وتتوقع مصادر مسؤولة في القطاع الساحي اللبناني أن يصل عدد السائحين السعوديين هذه الصائفة من 500 ألف إلى 600 ألف زائر بعد أن كان عددهم في السنة الماضية 65 أقل بكثير قدموا في الصيف والأعياد وبعض العطل، ويظل السائحون السعوديون يتصدرون المرتبة الأولى في قائمة السياح الخليجيين القادمين إلى لبنان، إذ يمثلون 12 بالمئة من إجمالي الإنفاق السياحي حتى شهر سبتمبر 2018، يليهم الإماراتيون والكويتيون والسوريون والعراقيون والمصريون.

القرى المتاخمة لبيروت

يفضل الخليجيون مدنا عديدة لقضاء عطلة الصيف من أهمها باريس ودبي وبعض المدن الاسبانية، لكن بيروت تعتبر وجهة كل من يفضل السياحة من دول الخليج حيث تتوجه إليها العائلات والشباب، وذلك لأنه مهما صرف السائح العربي في لبنان، فسيكون ذلك أقل بكثير من تكاليف الإجازة في اي مدينة أوروبية أخرى، إضافة إلى أن أجواء الصيف الساخن في بلدان الخليج تدفعهم إلى قضاء عطلتهم الصيفية في ربوع لبنان.

ولبيروت مناخ متوسطي نموذجي مع الصيف الجاف والمشمس، تبلغ فيه متوسط درجات الحرارة بين 28 و 32 درجة مئوية خلال النهار، أما في الليل فتصل درجات الحرارة إلى حوالي 23 درجة مئوية.

ويفضل الخليجيون في الصيف مناطق قريبة من بيروت بعيدا عن الرطوبة والاكتظاظ وزحمة السيارات، فتختار العائلات خاصة، الإقامة في برمانا وعالية وبحمدون، قرى تسود فيها برودة خصوصا في الليل وتظهر بيروت متالقة كالجوهرة من بعيد.

وتمتاز العالية التي ترتفع ألف متر عن سطح البحر بمناخ عذب، كما يمتاز أهلها بطيبتهم التي جعلت علاقتهم بالزوار العرب وطيدة منذ زمن، وعاليه تضم شققا فاخرة معدة للسكن العائلي، إضافة إلى فنادق، وعدد من المنازل التي يملكها خليجيون.

ويعتبر شارع المدينة الصغيرة الرئيسي برصيفه الواسع من أطول الشوارع السياحية في لبنان، وعلى جانبيه مجموعة من المقاهي والمطاعم الشهيرة، إضافة محلاته التجارية المبنية وفقا للشكل الهندسي الخشبي القديم و محلات الأرصفة التي تبيع البوظة والعصير وغيرها من المأكولات والمشروبات في ساحاتها القديمة بأسمائها المعروفة مثل "عين التفاحة"، التي تعود إلى 700 سنة، هذه الأجواء تفضلها العائلات الخليجية ولا تغيب عنها العائلات اللبنانية أيضا.

يقول السائح السعودي ناصر، أنه يأتي إلى لبنان مع عائلته، ومنذ القدم يختار منطقة عاليه لأسباب عدة، منها اعتدال الجو وقربها من بيروت، ولأنه ألف المجتمع اللبناني ولديه أصدقاء لبنانيين كثر.

ولم يغب ناصر عن لبنان كثيرا، فلقد زارها في عطلة رأس السنة الماضية وسكن وسط بيروت لاستقبال السنة الجديدة بسهرة جميلة على أنغام الطرب الشرقي، في أحد المطاعم وسط العاصمة.

وتختلف أماكن السهر في لبنان، سواء في طريقتها، أو في التوقيت، لكنها تتفق على إعطاء الأغنية الخليجية أولوية، إرضاء لأذواق السياح الخليجيين، وأحيانا يقوم تنافس على تقديم الأغاني الوطنية لكل بلد خليجي، ما يشعر السائح بالارتياح والانتشاء.

ومن المناطق المحببة لدى الخليجيين، بحمدون التي ترتفع ألف متر على سطح البحر، وتبعد عن بيروت 16 كيلومترا، وتتمتع بطقس جاف وصحي، وتضم سوقا تجاريا مميزا وفنادق فخمة، وشققا منظمة وخدمات وافرة على المستويات البيئية والصحية والأمنية والدينية.

يصطاف السائح السعودي عبدالله مع العائلة في بحمدون لأن جوها جميل، كما يقول، كان يسافر إلى مدن عربية وأوروبية لقضاء عطلة الصيف، لكنه يحب لبنان لأن روح أهله جميلة، والجو أفضل والمعاملة جيدة.

ويقول إلياس نمر مدير مطعم "جنة بحمدون"، أنه خلال السنوات الثلاث الماضية، ظل مطعمه يعتمد بالنسبة 70 في المئة على اللبنانيين، لكنه ينتظر هذا الموسم عودة أصدقائه من الكويتيين والإماراتيين والسعوديين.

وأضاف، أن نسبة الحركة تصل على 90 بالمئة فقط في نهاية الأسبوع، أما في الأيام العادية، فإنها تتراوح ما بين 30 إلى 40 بالمئة، معربا عن أمله في أن تصبح الأمور جيدة ويعوض خسارة السنوات الماضية، وهو لا يلوم من لم يأت بسبب الظروف، متوقعا أن تصبح الأمور أفضل بعد رمضان مباشرة.

ويتوقع أحمد الخلف صاحب أحد المحلات التجارية في بحمدون أن تصل الحركة ذروة نشاطها مع بداية موسم التخفيضات الصيفية التي يقبل عليها المصطافين واللبنانيين وخاصة المغتربين.

ويقول السائح الكويتي، أنه يأتي باستمرار إلى لبنان، وانه يفكر أن يعود هذه السنة مع عائلته بعد شهر رمضان رغم أنه اعتاد أن يأتي في يونيو، لكن رمضان أفضل مع العائلة الموسعة في الكويت.

ويمتلك العديد من الكويتيين في بحمدون ومناطق متفرقة بالقرب من بيروت شققا ومنازل منذ عقود يأتونها صيفا وفي العطل المدرسية، يقول الكويتي أسامة الفرحان، أنه يمضي الصيف في لبنان، يحب منطقة عاليه وبحمدون ويملك سكنا في بعيتات وفي حمانا و"جو لبنان النقي غير موجود في الكويت، وما يميز لبنان عن أوروبا طيبة أهله، وحسن استقبالهم وهنا ترتاح نفسيتي وأشعر بالأمان أكثر من المدن الأوروبية".

المرشدون يستعدون ايضا

يشبه البعض المرشد السياحي بوسيلة اعلامية متحركة تساعد على الترويج غير المباشر للبلد عبر طريقة التعامل مع السائح والمعلومات التي ينقلها اليه، لأن سماع المعلومات من هذا المرشد قد يفوق بأهميته الاستعانة بكتيبات لا تشتمل على التفاصيل المهمة.

ورغم تراجع مهماتهم في السنوات الماضية وتقلص عددهم الى نحو مئة أو أقل في السنوات الأخيرة ، بحسب نقيب الأدلاء السياحيين في لبنان هيثم فواز، الذي أثنى على تقدم للعنصر النسائي في عمل الإرشاد السياحي، إلا أن البقية المتبقية منهم تعيش لحظات تفاؤل مع بداية الموسم السياحي، رغم أن الخليجيين والسياح العرب لأا يعتمدون على الدليل السياحي لاعتقادهم أنهم يعرفون البلاد وتاريخها.

هذا التفاؤل الذي يعيش عليه المرشدون السياحيون لم يأت من أمل في تحرك دورة النشاط السياحي فقط، بل من تزايد أعداد السياح الاوربيين في السنة الماضية وبخاصة الفرنسيين والألمان والإنكليز، إضافة إلى ارتفاع كبير بعدد السياح البرازيليين الذي ازداد بما نسبته 50 في المائة عن سنة 2017، كما ازداد عدد الكنديين والأميركيين.

هذه الأرقام مهمة بنى عليها المرشدون توقعاتهم با، يرتفع عددهم في هذه السنة، خاصة بعد أن اعتمدت وزارة السياحة في السنوات الماضية استراتيجية جديدة تقوم على تعزيز وجهة لبنان وتسويقه لدى منظمي الرحلات السياحية الأجنبية، وجعل لبنان مركزا للمؤتمرات والأعمال على الصعيد الإقليمي والدولي و تشجيع المغتربين اللبنانيين على زيارة لبنان.

ويقول فواز أن السياح الأوروبيين هم أكثر من يولي الآثار والمعالم التاريخية اهتماما، لذا هم يفضلون أن يرافقهم مرشد سياحي ليزودهم بالمعلومات المتعلقة بالأماكن التي يزورونها. وهذا ما يجعل المرشدين السياحيين في لبنان متفائلون في الموسم السياحي الحالي، خاصة وأن السياح الروس بدأوا يولون الاهتمام إلى لبنان كوجهة سياحية في الصيف.

أجندة مهرجانات لبنان

النضال عنوان مهرجان الأرز

❏ تحمل مهرجانات الأرز الدولية لهذا العام عنوان "النضال"، وستكون ليلة الافتتاح لفنان عالمي كبير شكل رمزا من رموز النضال هو أندريا بوتشيلي.

وسيحيي أندريا بوتشيلي ليلة السبت 29 يونيو، وسيبتسم اللبنانيون والزوار في 13 يوليو 2019 مع نخبة من أهم الوجوه الكوميدية تحت عنوان "اضحك لبنان".

ملحم زين يختتم مهرجان طرابلس

❏ تنطلق فعاليات مهرجانات طرابلس الدولية في 20 يونيو، وسيحيي الحفلة الأولى الموسيقار العالمي غي مانوكيان وهو عازف بيانو أرمني لبناني والفنان جوزيف عطية. اما الحفلة الثانية فسيحييها الفنان وائل كفوري يوم السبت في 22 يونيو، والحفلة الختامية مع الفنان ملحم زين يوم الأحد في 23 يونيو.

ويقول المسؤولون إن المهرجانات هي تفعيل الحركة السياحية والاقتصادية معا، آملين من وزارة السياحة تقديم الدعم المالي للمهرجان.

مهرجان بعلبك يكرم العندليب الأسمر

❏ سيكون افتتاح مهرجان بعلبك هذا العام في 5 يونيو مع حفلة للفنان مارسيل خليفة.

وكما في كل عام سيترك المهرجان مكانة للمغنين العرب واللبنانيين بأمسية تطغى عليها الموسيقى الشرقية، وتتذكر بعلبك عبدالحليم حافظ حيث يقدم محمد عساف باقة من أغنيات العندليب الأسمر خلال سهرة في 20 يونيو.

حفيدة أسمهان في بيت الدين

❏ إذا كانت المهرجانات عادة تختار نجما عالميا أو عربيا لحفلة الافتتاح، فمهرجانات بيت الدين لهذا العام اختارت الصوت الجديد ياسمينة جنبلاط في حفلة مع غبريال يارد في 18 يوليو، ويارد مؤلّف موسيقي معروف، أما ياسمينة فهي حفيدة المطربة السورية أسمهان، وهي مغنية شابة تخصصت في علم النفس قبل أن تلج عالم الغناء.

هل هناك سقف نهائي لإمكانية تطوير الرقائق الإلكترونية

النزاعات التجارية تقوض الجدوى الاقتصادية لمواصلة الاستثمار من قبل المصنعين الكبار

سلام سرحان
صحافي عراقي

❑ يجد مصنعو الرقائق الإلكترونية أن مواكبة وتيرة تطوير الدوائر الإلكترونية، التي توقعها غوردون مور الشريك المؤسس لشركة إنتل، لتعزيز قوة الكمبيوترات والأجهزة الإلكترونية، لم تعد تستحق الاستثمارات الهائلة التي تتطلبها.

نظرية مور التي أطلقها في عام 1965 رجحت أن يتضاعف عدد الدوائر الإلكترونية في المعالجات كل عامين، وأصبحت تعرف بـ"قانون مور" لأنها تحققت بالفعل منذ ذلك الحين.

جوهر "القانون" هو أن المعالجات الإلكترونية سوف تصبح أكثر تطورا وأقل تكلفة وأصغر حجما يوما بعد يوم، وقد ساهم في تنشيط الثورة التكنولوجية في شتى أنحاء العالم، خاصة أن مور يرأس مجلس إدارة إنتل التي قادت القطاع معظم تلك الفترة.

لكن إلى متى يمكن أن تستمر تلك الوتيرة؟ خاصة أن حجم الدائرة الإلكترونية (الترانستور) أصبح ضئيلا جدا ولا يرى بالعين المجردة. وهو ما يجعل الحفاظ على سرعة التطور خيارا أقل جدوى وأكثر تكلفة للمصنعين.

ورغم هيمنة شركات معدودة على صناعة أشباه الموصلات (سيمي كوندكترز) إلا أن هذا القطاع أصبح معولما خلال الثلاثين عاما الماضية. ويرى محللون أن تشابك مصالح الدول واللاعبين الرئيسيين أصبح يهدد بإبطاء الابتكار والتقدم التكنولوجي على المدى الطويل.

المنافسة الصينية الأميركية

في السنوات الأخيرة تزايد قلق الدول الغربية من اندفاع الصين الجامح للهيمنة على آفاق التفوق التكنولوجي وخاصة في مجال المعالجات الإلكترونية الفائقة القدرة وما يرتبط بها من تطبيقات الذكاء الاصطناعي والثورة الصناعية الرابعة.

وقد تمكنت شركاتها بالفعل من تحقيق اختراق صاروخي لجدار التفوق التكنولوجي للشركات الغربية وخاصة الأميركية، مثل إزاحة هواوي لشركة أبل عن المرتبة الثانية في مبيعات الهواتف الذكية، وتفوقها المقلق في تكنولوجيا الجيل الخامس للاتصالات.

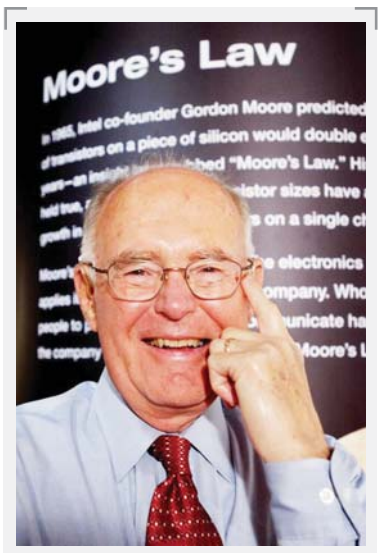

«قانون مور» الذي توقع بدقة مضاعفة قدرات الرقائق الإلكترونية كل عامين منذ 54 عاما لا يمكن أن يستمر إلى الأبد

شركات تصنيع المعالجات محاصرة بين طموح الصين للتفوق التكنولوجي ومحاولات واشنطن عرقلة تلك الطموحات

وقد دفع ذلك الولايات المتحدة إلى إعادة النظر في ضوابط التصدير في ظل اتهامات بسرقة الأسرار التكنولوجية وحقوق الملكية الفكرية، التي تعتبرها واشنطن أخطر تهديد لشركات التكنولوجيا الأميركية، خاصة أنها تصنع معظم إنتاجها في الصين.

هناك إجماع اليوم على أن دور صناعة أشباه الموصلات أصبح محوريا بدرجة غير مسبوقة لأنها تدخل في تصنيع جميع الأجهزة الإلكترونية من مكائن صنع القهوة إلى السيارات الأوتوماتيكية، وبالتالي فإنها تحدد بوصلة آفاق الاقتصاد العالمي.

لكن شركات تصنيع الرقائق الإلكترونية تواجه الآن أعلى مستويات المنافسة الجيوسياسية منذ عقود، حيث تهدد الولايات المتحدة بالحد من ارتباطها بالصين وموردیها وسط الحرب التجارية المستمرة بين البلدين.

وفي إطار هذا الواقع الجديد، يتعين على شركات تصنيع أشباه الموصلات التركيز على تصميم شرائح أكثر تخصصا في معالجة خوارزميات تطبيقات محددة، مثل تلك المتعلقة بالذكاء الاصطناعي.

كما أن الحرب بين الولايات المتحدة والصين أصبحت تهدد في الوقت نفسه شركات التكنولوجيا الناشئة وتجزئة نشاط قطاع الرقائق الإلكترونية وقطاع التكنولوجيا الأكبر الذي تنتمي إليه.

نهاية قانون مور

على مر السنين، اتبع مصنعو أشباه الموصلات والرقائق الإلكترونية بوصلة "قانون مور" وزرعوا أعدادا أكبر من الترانزستورات (الدوائر الإلكترونية) على رقائق السيليكون بالاستعانة بهندسة العمليات الميكانيكية.

اليوم، أصبحت شركة تايوان لصناعة أشباه الموصلات المحدودة وشركات سامسونغ وإنتل وغلوبال فاوندرز، هي الشركات الأربع الوحيدة التي تعمل على تطوير هذه التكنولوجيا.

وتستعد شركة تايوان خلال هذا الشهر لإنتاج شرائح باستخدام تقنية معالجة 5 نانومتر، التي تشير التقارير إلى أن معظم إنتاجها من هذا الجيل الجديد سيكون مخصصا لهواتف آيفون التي من المرجح أن تصدرها شركة أبل في العام المقبل.

لكن توسيع تطوير هذه التقنية أصبح أكثر كلفة، إذ من المرجح أن تتجاوز سرعة ارتفاع تكلفة تصميم وبناء الرقائق حجم العوائد المتوقعة، خاصة مع تشبع الأسواق الكبيرة مثل صناعة الهواتف الذكية في وقت يواصل فيه المستهلكون تغيير أجهزتهم بصورة مستمرة.

وبذلك تتواصل تكلفة اتباع "قانون مور" لمضاعفة قدرة الرقائق الإلكترونية كل عامين، في الارتفاع لأن التقنية المستخدمة تقترب من حجم الذرة (أو 0.2 نانومتر).

ولذلك فإن المصنعين حائرون بشأن الاستمرار في اتباع وتيرة تطوير المعالجات وفق قانون مور.

وقد اختار عدد منهم التخلي عن القانون. ويتضح ذلك من تأخير إطلاق تقنية 10 نانومتر لمدة عامين حتى نهاية العام الحالي.

وما يزيد صعوبة المهمة أن التقنية المستعملة في تعبئة الترانزستورات على الرقائق الإلكترونية لا تزال تعتمد على بعدين فقط. وتشير البحوث إلى أن الرقائق الإلكترونية ستصبح ثلاثية الأبعاد في المستقبل.

وسوف يتيح ذلك للمصنعين مواصلة زرع المزيد من الدوائر الإلكترونية على مساحة صغيرة، لكن التعقيد سوف يزداد أيضا وبالتالي التكلفة.

عهد جديد من التخصص

وفي الوقت الذي ينافس ويتسابق فيه مصنعو أشباه الموصلات نحو ذلك الحال. بدأت صناعة الإلكترونيات توفر فرصا جديدة للتطور من خلال زيادة الطلب على المعالجات المتخصصة ذات الوظيفة المحددة.

تاريخيا، ركز هذا القطاع على إنتاج رقائق يمكن استخدامها لعشرات الأغراض، مثل وحدات المعالجة المركزية لأجهزة الكمبيوتر والخوادم والهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر المحمولة والأجهزة اللوحية، الأمر الذي مكنها من إنتاج معالجات عامة لجميع تلك الأجهزة. أما اليوم فإن الشركات المصنعة أصبحت تتلقى طلبات مختلفة

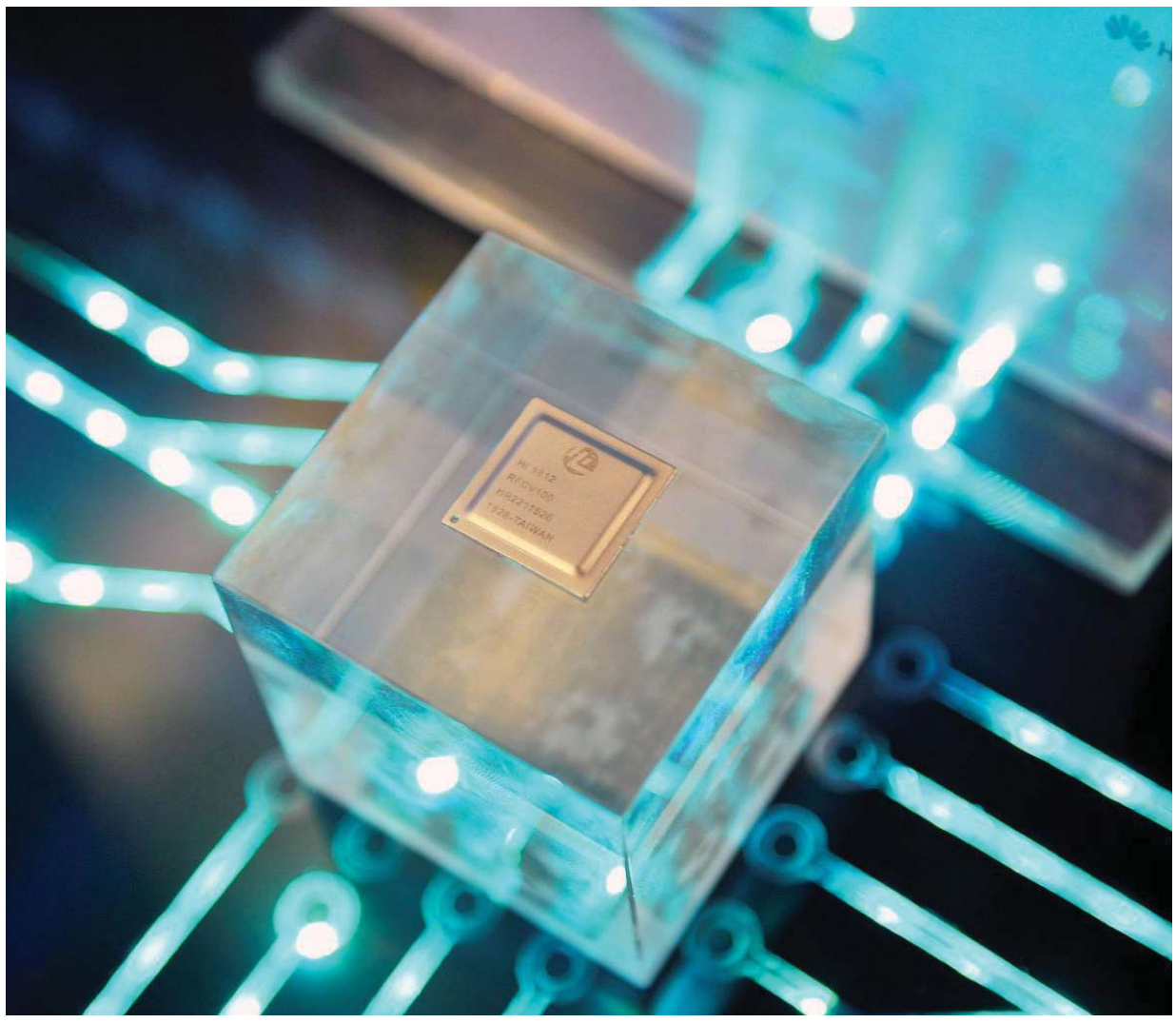

قلب التكنولوجيا محور الصراعات المستقبلية

وأكثر دقة. ومع تزايد أنواع الأجهزة المتصلة بالجيل الجديد من الإنترنت، سيرتفع الطلب على الرقائق الإلكترونية ذات الدور المحدد.

فقد اتسعت وتباينت المتطلبات بين المجالات التكنولوجية المختلفة. وأصبحت الأجهزة التي تستخدم الذكاء الاصطناعي تتطلب أنواعا محددة من القدرة الحاسوبية، التي يمكنها معالجة كميات هائلة من البيانات في وقت واحد، مع شرائح تمكن من التعرف على الوجه والصوت.

ومن المتوقع أن تؤدي الحاجة المتزايدة لمعالجات ذات استخدامات مختلفة إلى زيادة في الطلب أيضا على الأجيال الأقدم من التكنولوجيا. على سبيل المثال، أعلنت شركة غلوبال فاوندرز العام الماضي أنها ستوقف كل تطوير تكنولوجيا 7 نانومتر للتركيز على عملياتها الأكثر فعالية من حيث التكلفة (12 و14 نانومتر).

ويمكن أن يوفر ذلك فرصة للشركات للحاق أو التخصص في تلك المجالات المتعددة. لكن ذلك سوف يعني أيضا أن السوق القديمة ستبقى مشبعة، حيث تختار المزيد من الشركات الاستثمار في قدرات تصنيع وتصميم أكثر ربحية.

منافسة أو تعاون مشترك

يمكن تقسيم تصنيع الرقائق الإلكترونية إلى 3 مراحل رئيسية هي التصميم والتصنيع والتجميع النهائي. وتكتسب غالبية الشركات قيمتها وإيراداتها من مراحل التصميم والتصنيع.

وتتخصص بعض الشركات الأميركية مثل كوالكوم، في تصميم شرائح الكمبيوتر وإنتاج معالجات الهواتف الذكية. بينما تتخصص شركات أخرى، مثل غلوبال فاوندرز، في تصنيع الرقائق مستعينة بمصادر خارجية لتصميمها.

ويمتد نشاط أعداد قليلة من الشركات الأميركية، مثل إنتل، للجمع بين التصميم والتصنيع والتجميع النهائي. لكن تلك الشركات غالبا ما تستعين بمصادر خارجية في مرحلة الاختبار النهائية في مناطق تتميز برخص اليد العاملة.

على سبيل المثال، قد تصمم شركة أبل رقائق إلكترونية لأجهزة آيفون وآيباد في وادي السيليكون القريب من سان فرانسيسكو في ولاية كاليفورنيا الأميركية.

لكن التجميع قد يتم في تايوان أو الصين ثم ترسل الشحنات إلى ماليزيا للتغليف النهائي باستخدام مواد من اليابان. ثم ترجع المنتجات النهائية إلى الولايات المتحدة ليعاد تصديرها إلى الصين لوضع الشريحة الفعلية في الجهاز.ويؤدي ذلك إلى خلق صناعة مرتبطة بسلاسل التوريد العالمية، وترتبط شركاتها في ما بينها وتعتمد على بعضها رغم المنافسة التجارية الشرسة بين تلك البلدان.

ويجعل الترابط العالمي هذه الصناعة عرضة للتغيرات مثل تزايد دور الصين، الذي تأخر تاريخيا عن الولايات المتحدة وتايوان وكوريا الجنوبية، بعد أن كانت أكثر الشركات التي تعمل في الصين دولية ومدعومة بإعانات محلية.

ولتغيير هذا المسار، حولت بكين تطوير قطاعاتها في هذا المجال إلى عنصر أساسي من خطة "صنع في الصين 2025" وهي خطة استراتيجية تستهدف زيادة قدرة الصين التنافسية في الصناعات المتطورة والتكنولوجية، وقد تمكنت بالفعل من تعزيز حصتها في سوق الإلكترونيات.

محاولات الصين لتعزيز قدراتها التصنيعية والتصميمية، أثارت غضب الولايات المتحدة، التي أصبحت مشغولة بمواجهة صعود بكين في مجالات التكنولوجيا الناشئة، الأمر الذي أدخل شركات التكنولوجيا في تلك النزاعات.

وفي خضم تلك المناوشات الساخنة بين واشنطن وبكين، دعت شركات التكنولوجيا الولايات المتحدة للتشديد على الملكية الفكرية والعمل على الحد من سرقة الأسرار التكنولوجية.

لكنها شعرت بالقلق من مطالبات واشنطن لبكين بتقليص الفائض التجاري عن طريق شراء المزيد من السلع الأميركية، مخافة أن يؤدي ذلك إلى انقلاب في استراتيجية يؤثر على مصالحها.

هناك مخاوف من أن تؤدي عروض الصين لشراء المزيد من أشباه الموصلات من الولايات المتحدة إلى الإضرار بنموذج تطوير الشركات الأميركية في الاستعانة بمصادر خارجية في بلدان أخرى من آسيا لإجراء الاختبارات وحصول المصنعين الصينيين على أولوية الفوز بعقود سوقهم المحلية. وتعمل الولايات المتحدة على وضع ضوابط تصدير على التكنولوجيا الناشئة لمكافحة وصول الصين إلى مثل هذه التقنيات. ويمكن أن تشمل الضوابط المفروضة على الصادرات حدّ النقاش المتعلق باستراتيجيات البحث والتطوير.

واعتمادا على مدى انتشار شبكة التقنيات والابتكارات، يمكن أن يخلق ذلك مشكلة لعدد من الشركات الناشئة التي تقوم بتصميم الرقائق الإلكترونية ذات الوظائف المحددة. حيث يمكن أن تمنعها ضوابط التصدير من سوق المبيعات العملاقة في الصين.

المخاطر أمام قطاع التكنولوجيا

على المستوى العالمي، يمكن أن يلحق توتر العلاقات الأميركية الصينية أضرارا كبيرة بقطاع التكنولوجيا بشكل عام. وسيعتمد ذلك على درجة العولمة العالية في كل من قطاعاتها المهدّدة وعلى مدى سهولة نقل براءات الاختراع والخدمات في الخارج، والتي تطورت وتكاملت على مدى 30 عاما.

يمكن للصدع المتنامي بين الشرق والغرب أن يعكر استقرار النظام المعقد والمتكامل من خلال إجبار الشركات على اختيار طرف ومعاداة طرف آخر، الأمر الذي يحد من فرص التعاون بين رواد الأعمال والمخترعين في قطاع التكنولوجيا العالمي.

وسيؤدي ذلك إلى زيادة مخاطر عرقلة ابتكارات التكنولوجيا نتيجة مواصلة الصين والولايات المتحدة اتخاذ استراتيجيات عدائية في حربهما التجارية وتعقيد الخلافات الجيوسياسية في وقت تمر فيه الصناعة التكنولوجية بمرحلة انتقالية.

محاولات مواصلة التطوير وتصنيع رقائق إلكترونية ثلاثية الأبعاد تصطدم بتعقيدات كثيرة أبرزها ارتفاع تكاليف الإنتاج

المشي أكثر الرياضات سلامة للمقلعين عن التدخين حديثا

التدرب بشكل تدريجي يقلل التحميل والضغط على الرئتين والعضلات

يشرع الكثيرون في ممارسة التمارين الرياضية مباشرة بعد الإقلاع عن التدخين، خوفا من زيادة أوزانهم المرتبطة بعودة الشهية والتخلص من النيكوتين. لكن لا يدرك أغلبهم أن في ذلك خطرا عليهم وتحميلا أكبر على أجسامهم وعضلاتهم التي ظلت تشكو طوال فترة التدخين من سموم السجائر وقلة الأوكسجين.

استئناف الرياضة بعد التوقف عن التدخين يقي من زيادة الوزن

❑ **مونتريال** – أن يأخذ الفرد قرارا بالتوقف عن التدخين ليست سوى خطوة أولى لاستعادة لياقته، فالجسد في حاجة إلى برنامج متكامل إعادة تأهيل تكون الرياضة والنظام الغذائي الصحي أهم ركائزه.

يشدد مدربو اللياقة وأخصائيو الأمراض الصدرية على أن ممارسة الرياضة بعد التوقف عن التدخين ينبغي أن تكون بشكل تدريجي وأن يتم فيها اختيار رياضات بعينها تتوافق مع الحالة الصحية للجهاز التنفسي والقلب اللذين أنهكهما دخان السجائر. وقد بين تقرير نشر في موقع "كانالفي" الكندي أن الرئتين يحملان عبء التدخين لسنوات طويلة حتى بعد التوقف عنه. وينصح كاتب التقرير، جيمي سفيني، بضرورة استشارة الطبيب عند الرغبة في ممارسة المدخنين السابقين للتمارين الرياضية.

كما يوصي البروفيسور الألماني، ديتر كولر، الأشخاص الذين أقلعوا عن التدخين بممارسة الرياضة واتباع نظام غذائي سليم، لتفادي حدوث زيادة في الوزن. فرغم الفوائد الإيجابية العديدة للإقلاع عن التدخين، تظل زيادة الوزن التي تتبع التوقف عن السجائر، مثيرة للقلق لدى البعض وخاصة النساء. ويفسر الأطباء هذه المسألة بأن النيكوتين الموجود في السجائر يقلل الشهية للطعام وبالتالي فغيابه يفتح الشهية بشكل واضح، كما أن المدخن يحاول تعويض غياب السجائر بتناول الحلوى والسكريات وهو أمر يزيد احتمالية زيادة الوزن.

> ممارسة التمارين الرياضية كإجراء وقائي عند الإقلاع عن التدخين تخفف من شدة أعراض انسحاب النيكوتين

ونقلا عن موقع "غيسوندهايت" الألماني المتخصص في الأخبار الصحية، أوضح البروفيسور كولر –وهو عضو في الجمعية الألمانية لأمراض الرئة وطب الجهاز التنفسي بالعاصمة برلين– أن سبب زيادة الوزن التي تعقب عملية الإقلاع عن التدخين، يرجع إلى حدوث خلل في تركيبة الأحياء الدقيقة المعوية –والتي تلعب دورا هاما في عملية الأيض– بفعل أعراض الانسحاب (الأعراض التي تظهر على الشخص نتيجة إقلاعه عن التدخين مثل العصبية والصداع). وأشار إلى أن هذا الخلل يتمثل في زيادة أعداد السلالات البكتيرية التي عادة ما توجد بكثرة في أمعاء البدناء.

ونتيجة للمجهود البدني المبذول أثناء ممارسة الرياضة، يفرز الجسم هرمون الإندورفين الذي يعمل على الحد من آثار أعراض الانسحاب. كما أن زيادة النشاط البدني تعمل على إيقاف تدهور الكفاءة الوظيفية للرئة، والحيلولة دون الإصابة بأمراض الرئة كالسرطان.

وذكرت إحدى الدراسات أن التدخين يمنع وصول الأوكسجين إلى العضلات بشكل ملائم، إلا أنه خلال فترة تمتد من 3 إلى 5 أيام من الإقلاع عن التدخين، تعود قدرة خلايا الدم على حمل الأوكسجين نحو القلب والعضلات إلى المعدل الطبيعي. وتنصح الدراسة كلّ من يبدأ في ممارسة الرياضة بعد الإقلاع عن التدخين بالبدء بالمشي بدلا من الركض أو الهرولة لأن المشي أسهل على القلب والرئة والمفاصل أيضا. ثم يمكن بعد ذلك الانتقال إلى الهرولة بعد عدة أسابيع من المشي حيث يكون الجسم قد استعاد بعض لياقته. ويمكن المشي لمدة عشر دقائق ثم الهرولة لمدة 60 ثانية ثم المشي لمدة دقيقتين. وبالتدريج ستعود قدرة الجسم على التنفس وعدم اللهاث، رغم التمرين والمجهود.

وأظهرت دراسة بريطانية سابقة أن ممارسة النشاط البدني لمدة ساعتين يوميا تساعد أيضا على استمرار الأشخاص في الإقلاع عن التدخين. وأوضح الباحثون أن نتائج الدراسة تعزز البحوث التي أجريت من قبل، لتوضيح أهمية الرياضة في الحد من الرغبة في العودة إلى التدخين بعد الإقلاع عنه.

وكان الباحثون قد تابعوا مجموعتين من الفئران التي تعاني من إدمان النيكوتين، الأولى مارست أنشطة بدنية مكثفة لمدة ساعتين يوميا، فيما لم تمارس المجموعة الثانية أي أنشطة رياضية. وقاموا بتقييم أعراض إقلاع الفئران عن التدخين، كما تم تحليل تتبع أعراض انسحاب النيكوتين على الدماغ.

وعادة ما يتم الإبلاغ عن أعراض انسحاب النيكوتين من الجسم مثل التهيج وصعوبة النوم، أو حتى الإصابة بالاكتئاب لدى بعض الأشخاص الذين يعانون من إدمان التبغ.

ووجد الباحثون أن المجموعة التي مارست الرياضة لمدة ساعتين يوميا، انخفضت لديها شدة أعراض انسحاب النيكوتين من الجسم مقارنة بالمجموعة الثانية.

وقال الباحث أليكسيس بايلي قائد فريق الدراسة، "إن الآليات الدقيقة المسؤولة عن هذا الأثر لا تزال غير معروفة إلى حد كبير". وأضاف أن "هذه النتائج تدعم ممارسة التمارين الرياضية كإجراء وقائي عند الإقلاع عن التدخين؛ للتخفيف من شدة أعراض انسحاب النيكوتين من الجسم".

وأشار إلى أن هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها هذا التأثير العميق لممارسة الرياضة على الحيوانات المدمنة على النيكوتين.

وبينت البحوث أن للتدخين وممارسة رياضة الركض معا في نفس الوقت أضرارا وخيمة على الرئتين والقلب وحتى العضلات. ففي سنة 2002 أكدت اللجنة الفرنسية للتربية الصحية على عدة نقاط:

* يعمل غاز أحادي الكربون وهو الغاز المستنشق خلال التدخين، على الخفض الحاد للأوكسجين في جسم المدخن.

* يعمل النيكوتين على الرفع من دقات القلب والضغط الدموي، حتى في فترة الراحة التامة، مما يجعل القلب يستهلك كميات كبيرة من الأوكسجين.

* يزداد خطر احتقان عضلة القلب عند الرياضيين الذين يتجاوز سنهم 40 سنة، خصوصا عند بذل مجهودات كبيرة.

* أما بالنسبة إلى العضلات، فهي كالقلب والرئة، تحتاج إلى الأوكسجين لتعمل بشكل سليم، وبما أن التبغ يقلص نسبة الأوكسجين في الجسم فالنسيج العضلي يتعرض بذلك لضرر كبير.

* النيكوتين يرفع من إنتاج حمض اللاكتيك في الجسم، وهو حمض ينتج في الأصل عن تحلل مادة السكر في الدم.

وفي تقرير لصحيفة ديلي ميل البريطانية، توصلت دراسة أخرى إلى أن قلب المدخن يحتاج إلى 15 سنة ليتعافى بشكل نهائي بعد الإقلاع عن التدخين.

وتشير مجموعة من البحوث العلمية إلى أن خطر إصابة المدخنين السابقين بسكتة دماغية، يستقر في غضون 5 سنوات، ولكن الدراسة الجديدة تظهر أن الأمر قد يستغرق 3 أضعاف الوقت المحدد.

وبعد تحليل بيانات 8700 شخص على مدى 50 عاما، وجد باحثو جامعة "فانديربيلت" الأميركية أن قلوب المدخنين تتطلب أكثر من عقد من الزمن لتتخلص من الأضرار المهددة للحياة، بما في ذلك النيكوتين والتبغ وعدد لا يحصى من المواد الكيميائية الأخرى الموجودة في السجائر.

وفي الوقت ذاته، أوضحت المعدّة الرئيسية للدراسة، ميريديث دونكان، وهي طالبة دكتوراه في المركز الطبي بالجامعة، أن القلب والأوعية الدموية هما الأسرع في التعافي من أضرار التدخين، أما الرئتان فقصة أخرى تماما.

وأرادت دونكان وفريقها في ناشفيل، بولاية تينيسي الأميركية، استكشاف المدة التي يحتاجها الجسم بعد الإقلاع عن التدخين، لإظهار تأثيرات صحية حقيقية.

وللتحقق من ذلك، جمع الفريق بيانات حللتها دراسة أجراها مركز "فرامينغهام هارت"، بدأت عام 1948 واستمرت حتى عام 1975، حيث شملت جيلين من الناس (نصفهم تقريبا من المدخنين).

وصنف فريق البحث "المدخنين الشرهين" على أنهم الأشخاص الذين يدخنون ما يعادل علبة سجائر واحدة في اليوم على مدى 20 عاما. وعانى المدخنون الشرهون من خطر الإصابة بنوبات قلبية بنسبة 70 بالمئة، وبعد 5 سنوات، انخفضت المخاطر بنسبة 38 بالمئة بعد الإقلاع عن التدخين.

ولكن الأمر استغرق 16 عاما تقريبا بعد الإقلاع عن التدخين، لعودة مستوى خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية إلى المعدل الطبيعي.

وفي الواقع، تبين أن الأوعية الدموية هي المستفيد الأول من فوائد الإقلاع عن التدخين، فبعد 20 دقيقة فقط من توقف المدخن عن التدخين، ينخفض معدل دقات القلب ويعود ضغط الدم إلى المستوى الطبيعي.

وبعد 12 ساعة، تستقر مستويات أول أكسيد الكربون في الدم، في حين ينخفض خطر الإصابة بنوبة قلبية بعد حوالي أسبوع، لأن القلب والأوعية الدموية "يتخلصان نسبيا من المواد الكيميائية الموجودة في دخان السجائر، التي تجعل الصفائح أكثر لزوجة، وتسبب تجلط الدم".

وتضيف دونكان "حتى بالنسبة إلى المدخنين الشرهين، لا يمكن المبالغة في تقدير فوائد الإقلاع عن التدخين".

ممارسة الرياضة أثناء الحمل تقي المواليد من البدانة

❑ **سان فرانسيسكو (الولايات المتحدة)** – كشف باحثون أن تدرب الحامل، بشكل منتظم، يمكنه أن يقي طفلها من البدانة، حيث وجدت دراسة جديدة أن نسل الفئران التي مارست الرياضة خلال الحمل يكون أقل احتمالا لزيادة الوزن بعد اتباع نظام غذائي غني بالدهون في وقت لاحق من الحياة. ورغم أن الدراسات السابقة أظهرت أن ممارسة التمارين من جانب الإناث البدينات أفادت نسلها، فإن هذا البحث هو الأول الذي يؤكد على أن الأمر مماثل أيضا عندما تمارس الإناث غير البدينات الرياضة.

وقال جون سيوك سون، وهو طالب دكتوراه في جامعة ولاية واشنطن والذي أجرى الدراسة "استنادا إلى نتائجنا نوصي النساء –سواء كن بدينات أم لا أو يعانين من مرض السكري– أن يمارسن الرياضة بانتظام خلال الحمل لأنها تفيد الصحة الأيضية لأطفالهن".

وفي مرحلة الفطام أظهر مواليد الفئران التي مارست أمهاتها الرياضة، مستويات مرتفعة من البروتين مرتبطة بالنسيج الدهني البني مقارنة بالمجموعة التي لم تمارس أمهاتها الرياضة. ويحوّل هذا النوع من الأنسجة الدهون والسكر إلى حرارة. كما لاحظ الباحثون درجات حرارة مرتفعة في أجسام مواليد المجموعة التي مارست أمهاتها الرياضة، ما يشير إلى أن النسيج الدهني البني لديها كان أكثر كفاءة –أو كان لديها معدل أعلى لتوليد الحرارة– وهو ما تبين أنه يحول دون مشكلات البدانة والأيض. وبعد الفطام، اتبع المواليد نظاما غذائيا غنيا بالدهون لثمانية أسابيع.

وفي ظل هذا النظام الغذائي لم تزد الفئران في المجموعة التي مارست أمهاتها التمارين، في الوزن كثيرا فحسب، ولكن لم تظهر عليها أعراض كثيرة لأمراض الأيض مثل السكري ومرض الكبد الدهني، وفق تقرير منشور في موقع "ساينس ديلي".

وقال سون "تشير بياناتنا إلى أن قلة ممارسة التمارين في النساء السليمات خلال الحمل يمكن أن يجعل أطفالهن عرضة للبدانة والأمراض الأيضية المرتبطة بها ويرجع ذلك جزئيا إلى إعاقة وظيفة توليد الحرارة".

وكانت دراسة أميركية أخرى قد خالفت الاعتقاد الذي ينصح بعدم ممارسة الحامل للتمارين الرياضية، وأكدت أن الرياضة مفيدة للأم والجنين على حد سواء ولا تؤدي إلى الولادة المبكرة.

نشاط الحامل يسهل عملية الولادة

وأوضح الباحثون بجامعة توماس جيفرسون الأميركية، في دراستهم التي نشروا نتائجها في المجلة الأميركية لأمراض النساء والولادة، أن التمارين الرياضية لا يترتب عليها أي خطر متعلق بالولادة المبكرة.

وأشار العلماء إلى أن الاعتقاد السابق كان يحذر من أن ممارسة الرياضة، تجعل جسم الحوامل يفرز مادة كيميائية، يمكن أن تحفز تقلصات الرحم، وبالتالي تؤدي إلى الولادة المبكرة.

ولكشف العلاقة بين الرياضة خلال فترة الحمل وخطر الولادة المبكرة، أجرى الباحثون دراستهم على 2059 من السيدات الحوامل، وقسموهن إلى مجموعتين. مارست المجموعة الأولى التمارين الرياضية لفترة تراوحت بين نصف ساعة إلى ساعة ونصف، من 3 إلى 4 مرات أسبوعيا، ولمدة 10 أسابيع خلال فترة الحمل، فيما لم تمارس المجموعة الثانية أي تمارين رياضية.

ووجد الباحثون أن الرياضة لم تؤدّ إلى أي أخطار إضافية أو لم تسبب الولادة المبكرة، بين المجموعة التي مارستها، بالمقارنة مع من لم يمارسن الرياضة. كما لم يلاحظ فريق البحث أي فروق في أوزان الأطفال عند الولادة بين المجموعتين.

وقال العلماء إن هناك العديد من الأسباب التي تدفع النساء الحوامل إلى عدم ممارسة الرياضة، أهمها زيادة الشعور بالتعب وانخفاض المجهود البدني، لكنهم أوضحوا أن هناك تمارين يمكن أن تمارسها الحامل مثل تحريك الساقين والذراعين في الهواء الطلق، عن طريق السباحة والمشي على سبيل المثال، وهذا يساعدها في الحفاظ على وزن صحي.

> قلة ممارسة التمارين لدى النساء السليمات خلال الحمل يمكن أن تجعل أطفالهن عرضة للبدانة والأمراض الأيضية

ونصحت الدراسة باستشارة الطبيب المعالج للتأكد من أمان رياضات بعينها بالنسبة للحوامل.

كما توصلت دراسة طبية، أجريت في بريطانيا من قبل أطباء وباحثين في كلية "كينغز كوليدج" بلندن، إلى أن ممارسة الرياضات الخفيفة والركض المعتدل ينعكسان إيجابا على عملية الوضع ويحدان من التعب وآلام أسفل الظهر وعروق الدوالي وتورم الكاحلين. ويرى باحثون أن الرياضات المفيدة للحوامل، هي: اليوغا، والسباحة، والهرولة لمدة 30 دقيقة يوميا.

الاكتئاب رفيق الشباب العرب مع ضغوط الحياة المتزايدة

الأرقام الحقيقية لنسبة الاكتئاب غائبة بسبب ثقافة الخجل من الأمراض النفسية

غالبا ما يصاب الشباب العرب بالقلق والاكتئاب، إضافة إلى سوء أحوالهم الاقتصادية والمسؤولية التي يضعها المجتمع على كاهلهم، تبدو الظاهرة مقلقة أكثر مع ازدياد الأوضاع سوءا في العالم العربي عامة، وإهمال العلاج والدعم والتوعية بمخاطر الأمراض النفسية.

ظاهرة بادية للعيان

❑ **لندن** – "ابحثي عن هدف أكبر من ألمك"، مقولة اتبعتها دينا للتغلب على ألم فقدان زوجها المفاجئ، وسيطرة الشعور بالاكتئاب والقلق والمخاوف من المستقبل عليها.

وجدت الشابة الفلسطينية دينا (30 عاما) في الرسم وسيلة لتجاوز الألم، ليتحول الفن بعد ذلك إلى مشروع يشكل مصدر دخل لها بعد هجرتها من رام الله إلى الولايات المتحدة.

تؤكد دينا أن التجربة ليست سهلة لكن البدء بهذا العمل الذي يلبي شغفها ساعدها على تخطي مرحلة الحزن والاكتئاب التي كانت ستكون أطول لو أنها لم تجبر نفسها على التحسن كل يوم، "مقابل كل خطوة إلى الوراء أبذل جهودا مضنية للتقدم مرة أخرى".

تجربة دينا ملهمة للكثيرين لتجاوز الآلام النفسية على اختلاف أسبابها، لكنها نموذج مصغر من ظاهرة تتفشى في العالم العربي وفقا للدراسات التي ترصد تزايد نسبة حالات الاكتئاب لدى الشباب وتطورها في بعض الأحيان إلى الإقدام على الانتحار، في غياب الوعي عن تأثير الأمراض النفسية وانعكاسها على حياة الشباب والمجتمع.

> سوء الأحوال الاقتصادية والإفراط في التدخين وتناول الكحول، جميعها تزيد من أعراض الاكتئاب عند الشباب الذكور

يقول الباحثون والأطباء العاملون في الشرق الأوسط إنه غالبا ما يصاب الشباب العربي بالقلق والاكتئاب. وتتفاقم الكآبة النفسية لديهم مع الوقت، إلى أن تتساوى مستويات المشاكل النفسية بين الشباب في العالم العربي مع المستويات العالمية أو تتخطاها، وفقا للبحوث المجراة في هذا المجال، إلا أنه غالبا ما يغيب العلاج والدعم اللازمين.

والاكتئاب هو أحد أشدّ الاضطرابات النفسيّة التي يعانيها الشباب حسب نسبة ارتفاع معدّل انتشاره، ومضاعفاته. وترتكز أعراض الاكتئاب على الشعور بالحزن، وقلّة الحماس، وفقدان الاهتمام بالنشاطات اليومية، وصعوبة التركيز وغيرها. ويؤثّر المرض عند فئة الشباب على أدائهم الأكاديمي، وعلاقاتهم مع الآخرين، ويمكن أن يؤدّي إلى اضطرابات نفسيّة في الكبر أو إلى الإدمان على المخدّرات أو إلى الانتحار.

ولا توجد أرقام دقيقة عن حجم الاكتئاب في العالم العربي؛ لأنه لا توجد إحصائيات رسمية حول الأمر، خصوصا أن غالبية الذين يعانون من الأمراض النفسية لا يلجأون إلى الجهات المختصة، وبالتالي لا مجال لمعرفة النسب بشكل دقيق، لكن من الملاحظ أن غالبية المصابين بالاكتئاب هم من فئة الشباب الذين يواجهون ضغوطا متزايدة في العالم العربي.

وتقول منظمة الصحة العالمية إن 5 بالمئة من العرب يعانون من الاكتئاب، وأن مصر والمغرب في المقدمة عربيا إضافة إلى سوريا التي هي الأكثر اكتئابا عالميا، ولكن المنظمة نفسها تشير في تقريرها إلى أن هذه الأرقام غير دقيقة؛ لأن ثقافة العرب تخجل من الكشف عن الأمراض النفسية والذهنية، وبالتالي المرض يتفاقم، ويستمر بالانتشار.

ووفقا للإدارة النفسية والاجتماعية في السعودية فإن 54 ألفا و622 شخصا ترددوا على العيادات النفسية التابعة للوزارة عام 2015، وذكر تقرير نشر في مجلة "بلوس ميديسن" أن أكثر من 6 بالمئة من السعوديين يعانون من الاكتئاب.

بدوره ذكر معهد الصحة النفسية في مصر أن 54 بالمئة من المصريين يعانون من أمراض نفسية، حيث إن 12 مليونا يترددون على العيادات النفسية. بينما في تونس ووفق وزارة الصحة أكثر من 8 بالمئة من التونسيين يعانون من الاكتئاب، أما المغرب فحوالي 3 ملايين مغربي أي 4.5 بالمئة من المغاربة مكتئبون. وحصة السودان من الاكتئاب بلغت 7 بالمئة من سكانها كما ينتحر 12 شخصا من كل 100 شخص سنويا.

وفي لبنان لا توجد إحصائيات دقيقة أو حديثة، ولكن معدلات الانتحار المرتفعة جدا تشير إلى خلل كبير. وحل لبنان في العام 2014 في المركز العاشر لأكثر الدول استهلاكا للأدوية المهدئة للأعصاب؛ حيث تم استهلاك 13 مليونا و600 ألف علبة دواء في عام واحد.

واكتشف الباحثون ارتفاعا بنحو 11 في المئة في سنوات الحياة الصحية المفقودة في الشرق الأوسط بين 1990 و2013. ففي العالم العربي وباقي مناطق العالم، تشكل الأمراض النفسية المصدر الأساسي للعبء الاقتصادي الناتج عن الأمراض، وفقا لتقرير صدر في العام 2015 عن مؤسسة الصحة النفسية.

ومن جهة أخرى، تساهم صعوبة تشخيص الاضطرابات النفسية في التحديات التي يواجهها مقدمو الرعاية الصحية في معالجتها.

وقال جاستين توماس، الأستاذ المساعد في علم النفس بجامعة زايد في أبو ظبي "ستجد الاكتئاب أينما بحثت".

وأضاف توماس الذي ركز في أبحاثه على كيفية تأثر الصحة النفسية بالثقافة، "تشير أكبر الدراسات إلى تفشي الاكتئاب في الخليج بنسبة تتراوح بين 10 و13 في المئة".

وتعتبر مستويات الاكتئاب لدى الشباب في دول الخليج معادلة لنظرائهم الغربيين، حيث قامت دراسة في العام 2016 باستقصاء حول 350 ألف شاب في الولايات المتحدة الأميركية، ووجدت أن 11 في المئة، من الذين تبلغ أعمارهم بين 12 إلى 17 سنة وحوالي 10 في المئة من الذين تبلغ أعمارهم بين 18 و25 سنة، لديهم علامات دالة على الاكتئاب.

قلة الأطباء النفسيين

لكن الأرقام ترتفع بشكل ملحوظ في الدول العربية التي شهدت نزاعات مسلحة مؤخرا.

وقال فادي معلوف، مدير قسم علم نفس الطفل والمراهق في المركز الطبي بالجامعة الأميركية في بيروت، "في غزة على سبيل المثال، وسط النزاع المستمر، يبلغ معدل القلق بين 20 و25 في المئة".

وغالبا ما يجد الأفراد الذين يعانون من القلق والاكتئاب ومشاكل نفسية أخرى صعوبة في إيجاد العلاج. بسبب قلّة الأطباء والمعالجين النفسيين، وشكوك العائلات في معظم الأحيان في حاجة الشباب إلى العلاج أو أي نوع آخر من المساعدة.

وأظهر بحث معلوف أن 94 في المئة من القصر الذين يحتاجون إلى العلاج لا يتلقونه في الواقع بلبنان.

ولمحاربة الهوة في توفر العلاج، يعتقد الأطباء النفسيون أنه قد يكون مفيدا أن توفر المدارس والجامعات العلاج وأنواعا أخرى من الدعم النفسي لتلاميذها وطلابها. وينصح معلوف برفع مستوى الوعي لمعالجة سوء فهم الأمراض النفسية ووضع برامج وقائية إلى حيث يمكن الوصول للأطفال والشباب.

فعلى سبيل المثال، يمكن أن نعلّم مجموعة من المراهقين مهارات التأقلم مع القلق في الصف الدراسي، لتفادي وصم فرد واحد.

وقال معلوف "فلنعزز الصحة النفسية في الأماكن التي نحصل فيها على اللقاح أو في المدرسة. فالأمر يتعلق بإدراجها في الهياكل الموجودة أصلا".

وفي دراسة علميّة عن الاكتئاب عند فئة الشباب في الأردن، أجراها الباحثون؛ ليلى إسماييلوفا من جامعة شيكاغو، وعليمات حمود من الجامعة الأردنيّة، وإسراء الخسوني من الجامعة الهاشمية، وستيسي شاو ونبيلة الباسل من جامعة كولومبيا، أظهرت أن الاكتئاب يسجل معدّلا مرتفعا عند الإناث وعند الشباب الذين تعرّضوا للعنف. وترتبط العلاقات العائليّة الجيّدة بمعدّل حالات اكتئاب منخفض. بينما يزيد سوء الأحوال الاقتصادية، وكثرة التدخين وتناول الكحول، من أعراض الاكتئاب عند الشباب الذكور في الأردن.

وتعتبر تلك الدراسة هي الأولى التي توفّر معطيات علميّة في شأن حالات الاكتئاب عند الشباب في الأردن، وهي دراسة شاملة تكشف عن ارتباط الاكتئاب ببعض العوامل.

ويعتبر معدّل الاكتئاب، وفق نتائج الدراسة، مرتفعا. إذ تشعر نسبة 66 في المئة من المشاركين بالحزن. وتعاني نسبة 55 في المئة من صعوبة في التركيز، وتفتقد نسبة 49 في المئة الاهتمام أو الشعور بالفرح، وتفتقد نسبة 43.3 في المئة الأمل في الحياة، وتشعر نسبة 42.4 بالذنب.

فروق بين الجنسين

سجّلت الإناث معدّلات أكثر ارتفاعا مقارنة بالذكور، خصوصا الشعور بالحزن، والصعوبة في التركيز.

وتعود الفروقات بين الجنسين، إلى اختلاف سبل التأقلم بين الذكور والإناث عامة. وتتشابه تلك الفروقات بين الجنسين في شأن الصحة العقليّة مع نتائج الدراسات التي أجريت في البلدان الغربيّة.

وأظهر المشاركون في الدراسة، بشكل عام، رضا عن صورة أجسادهم. وتعتبر الإناث أكثر وعيا لوزنهن وأكثر تديّنا من الذكور.

في المقابل، يعتبر الذكور أكثر عرضة من الإناث للميل إلى العنف كحمل السلاح، والاعتداء الجسدي، وللسلوكيات المحفوفة بالمخاطر، مثل التدخين، وتناول الكحول، وتعاطي المخدّرات، وأكثر هشاشة أمام ضغوط الأقران.

من جهة أخرى، ارتبط الالتحاق بالجامعة بانخفاض معدّل انتشار الاكتئاب خصوصا عند الإناث اللواتي تتراوح أعمارهن بين 17 و19 عاما. وسجّلت الإناث اللواتي يعشن في جنوب أو شمال الأردن معدّل اكتئاب أكثر ارتفاعا من اللواتي يعشن في وسط الأردن. وسجّلت الإناث اللواتي يعشن في مخيّمات اللاجئين وفي البادية، واللواتي تتراوح أعمارهن بين 20 و25 عاما، معدّل اكتئاب أكثر ارتفاعا من المعدّل الذي سجّلته اللواتي يعشن في المدن.

وارتبطت الصورة السلبيّة للجسد بمعدّل اكتئاب مرتفع عند الذكور والإناث الذين تتراوح أعمارهم بين 17 و19 عاما. بينما ارتبط التديّن، عند الذين تتراوح أعمارهم بين 17 و19 عاما، بانخفاض معدّل أعراض الاكتئاب. وساهم عامل امتلاك مسكن في انخفاض حالات الاكتئاب عند الذكور، بينما ترافقت حالات الفقر بارتفاع معدّلاته عند الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين 20 و25 عاما.

وأظهر الشباب الذين يتمتّعون بعلاقات جيّدة مع أهاليهم، معدلات منخفضة. في المقابل، ساهم التعرّض للعنف والاعتداء الجسدي في ارتفاع معدّل حالات الاكتئاب عند الذكور والإناث. وارتبط التدخين وتناول الكحول بمعدّلات مرتفعة.

وتتمكّن نسبة خمسين في المئة فقط من المشاركين من التحدّث مع أهاليها عن مشاكلها وحاجاتها ما يدّل على أن العلاقة بين الأهل والأبناء هي سلطوية في بعض العائلات.

ويفسّر معدّو الدراسة شعور الذكور بالاكتئاب في حال سوء أحوالهم الاقتصادية بالمسؤولية التي يضعها المجتمع على كاهل الشاب. وتتشابه المعطيات في شأن ارتباط حالات الاكتئاب بالتعرّض للعنف، ونقص الدعم العائلي والمجتمعي بمعطيات الدراسات في شأن الشباب الأميركي.

وتشدّد نتائج تلك الدراسة على ضرورة وضع برامج الصحة النفسيّة وتعزيز الخدمات المتعلّقة بالنواحي الاجتماعية والنفسية للشباب، وحمايتهم من العنف وتحسين العلاقات بين الأهل والأبناء، وعلى أهمية إدخال برامج التوعية في شأن الصحة النفسيّة في عمر مبكر لتحصين الفرد من الاضطرابات النفسيّة في المستقبل، وعلى تطوير سبل تشخيص الحالات المتقدّمة. وتعدّ تلك الدراسة دليلا على تطوير البرامج والسياسات لتلبية حاجات الشباب في الأردن ومعالجة الاضطرابات النفسيّة التي يظهرونها.

التونسي الأقل سعادة

يحتل الاكتئاب مرتبة الصدارة في الأمراض النفسية التي تصيب التونسيين ويتوجهون لعلاجه حسبما أشارت إليه دراسات للجمعية التونسية للأطباء النفسانيين ومصادر من مستشفى الرازي، وتعتبر المرأة الأكثر عرضة لأعراض الاكتئاب، وترتبط الأمراض النفسية بحالات مثل القلق واضطرابات المزاج والاضطرابات الذهنية والضغط النفسي.

وتشير مصادر من الجمعية التونسية للأطباء النفسيين إلى ارتفاع استهلاك الأدوية المهدئة للأعصاب والمضادة للقلق، وارتفاع عدد التونسيين الذين يلجأون إلى عيادات الأطباء النفسيين سواء في القطاع العام أو الخاص. ورغم ذلك تبدو الدراسات والإحصاءات المتعلقة بالصحة النفسية للتونسيين شحيحة.

> أغلب الشباب الذين يعانون من الأمراض النفسية لا يلجأون إلى الجهات المختصة، وبالتالي لا مجال لمعرفة النسب بشكل دقيق

وتشير الدراسات إلى أن التونسيين من أقل الشعوب في العالم سعادة وهو ما جعله معرضا أكثر للاكتئاب. وقد ارتفعت نسبة الاكتئاب في السنوات الأخيرة لتصل إلى 40 بالمئة لدى التونسيين حسبما يؤكده المختصون. وارتفعت إحصائيات الانتحار سنة 2015 إلى أربع مرات عمّا كانت عليه من قبل.

وتمثل العوامل الاقتصادية أحد أبرز الأسباب التي تدفع التونسي إلى الاكتئاب والانهيار وهو ما جعل العطل المرضية طويلة المدى سببها أمراض نفسية.

الحروب أكبر مسببات الاكتئاب

مشاكل متراكمة لدى الشباب عامة

وسيلة للتحايل على القلق

نساء الرياضيات يصححن المعادلة الذكورية: الرجل ليس أذكى من المرأة

مفارقة خفية في المساواة الأكاديمية بين الجنسين في الرياضيات

قطعت النساء شوطا طويلا في مجالات الهندسة والرياضيات على مدار القرن الماضي، لكنهن مازلن يعملن في عالم يهيمن عليه الذكور، ولهذا فلا غرابة في أن يحصد الرجال النصيب الأكبر من الجوائز ويسيطرون على فرص التعيين والترقي والتقدير المستحق لأعمالهم.

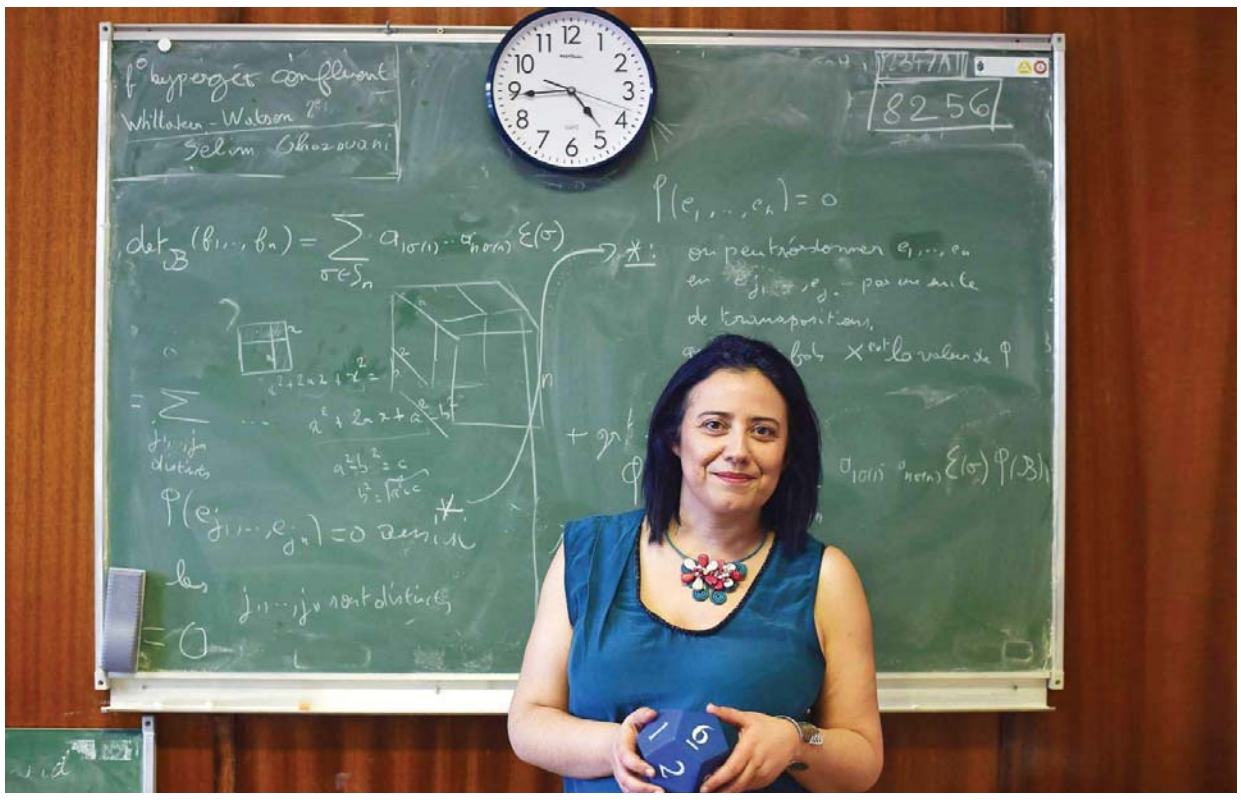

يمينة حمدي
صحافية تونسية مقيمة في لندن

❏ "إذا كانت الرياضيات ملكة العلوم، فإن نظرية الأعداد هي ملكة الرياضيات"، مقولة شهيرة قالها العالم الألماني كارل فريدريش غاوس الذي لقب بـ"أمير الرياضياتيين"، لنبوغه وتفوقه في مجال الرياضيات الذي بقي لعقود طويلة قلعة الرجال الحصينة، إلى أن تمكنت "الملكات" البارعات في الرياضيات من اختراق الحصن الذكوري، والاشتراك مع الرجال في صفة "العبقرية" والتتويجات الأكاديمية المرموقة.

وفي مارس الماضي حصلت الأميركية كارين أولينبيك على جائزة أبيل عن عملها في التحليل الهندسي ونظرية المقياس اللذين غيرا بشكل جذري مشهد الرياضيات، لتثبت بذلك أن المعتقد الشائع بأن الرجال أذكى من النساء الرائج ما هو إلا تفكير ساذج.

وتبلغ أولينبيك 76 عاما وهي أستاذة بحوث جامعية زائرة في جامعة برينستون وأستاذة مشاركة في معهد الدراسات المتقدمة في الولايات المتحدة.

وهي أول امرأة تحصل على جائزة أبيل التي أنشأتها الحكومة النرويجية في العام 2003 بهدف سد الفجوة في جوائز نوبل. وقد سميت تيمنا باسم عالم الرياضيات النرويجي نيلز هنريك أبيل (1802–1829).

وكانت عالمة الرياضيات الإيرانية الراحلة مريم ميرزاخاني أول امرأة تحصل على ميدالية فيلدز في الرياضيات عام 2014 في حدث تاريخي مفاجئ.

وتعادل جائزة فيلدز، التي تمنح من لجنة تابعة للاتحاد الدولي للرياضيات، جائزة نوبل، وسميت بهذا الاسم تقديرا لعالم الرياضيات الكندي جون فيلدز.

وتناول بحث ميرزاخاني أشكالا يطلق عليها اسم "سطوح ريمان"، وهي مواد رياضية يمكن تحليلها باستخدام الأعداد المركبة.

ومنحت الجائزة لأول مرة عام 1936، وتمنح كل أربعة أعوام منذ 1950 لاثنين أو ثلاثة أو أربعة من علماء الرياضيات الذين لا يتعدى عمر الواحد منهم 40 عاما.

ولعبت النساء قبل سنوات طويلة دورا حيويا في اكتشافات الفضاء وعلوم الفلك والرياضيات والهندسة، ففي الأيام الأولى للرحلات الفضائيّة لوكالة الفضاء الأميركية، لم تكن أجهزة الكمبيوتر الإلكترونية مكتشفة، فتم استخدام فرق من النساء لإجراء عمليات حسابية طويلة ومملة في بعض الأحيان.

يرى الدكتور إبراهيم العليان، أستاذ الرياضيات بجامعة الملك سعود، أنه ينبغي البحث عن الأسباب الكامنة وراء هذه المعدلات المتفاوتة بين الجنسين في مجال الرياضيات، بعيداً عن المعتقد السائد الذي يفيد بأن الرجال أكثر ذكاء ولذلك فهم أكثر قدرة من النساء على استيعاب الرياضيات.

وقال العليان لـ"العرب" "من الصعب تحديد من الأذكى في الرياضيات الرجال أم النساء، لكن إذا عدنا لتاريخ الرياضيات، وسردنا قائمة بأبرز علماء الرياضيات على مر العصور والذين كان لهم بصمة واضحة في هذا العلم (إقليدس، فيثاغورس، الخوارزمي، أويلر، جاوس، ريمان، نيوتن،...) سنجد أن معظمهم من الرجال، وهذا طبيعي في ظل السياق التاريخي لتطور العلم والظروف الاجتماعية السائدة في ذلك الوقت".

وأضاف "في الوقت الحالي، تشير الدلائل إلى أن الرجال أكثر اهتماما من النساء بتخصص الرياضيات بشكل عام، وهذا لا يعني بالضرورة أن الرجال أكثر ذكاء، فعلى المستوى البحثي والنشر العلمي، هناك عدد من الجوائز العالمية في الرياضيات تمنح لمن أسهمت أبحاثه في تطوير العلم، ويلاحظ أن معظم الفائزين في هذه الجوائز من الرجال، على سبيل المثال، ميدالية فيلدز في الرياضيات تم منحها لستين باحثا منذ عام 1936، وكان من بينهم امرأة واحدة. كما حصلت امرأة واحدة على جائزة أبيل من أصل عشرين جائزة تم منحها منذ عام 2003".

وأوضح العليان "أما على مستوى الطلبة، فهناك تقارب في مستويات الطلاب والطالبات في التعليم العام، ولكن في المسابقات العالمية المتخصصة في الرياضيات نجد أن الطلاب أكثر اهتماما ومشاركة وحصولا على الجوائز من الطالبات، على سبيل المثال، في مسابقة الأولمبياد الدولي للرياضيات

سالم حفصي:
الرياضيات تعتمد بالأساس على الاستدلال المنطقي وهذا النوع من التفكير وجدته عند الفتيات أكثر من الفتيان

إبراهيم العليان:
تشير الدلائل إلى أن الرجال أكثر اهتماما من النساء بالرياضيات، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنهم أذكى من النساء

ووظفت وكالة ناكا (وكالة استشارات الفضاء الوطنية)، التي حلت وكالة ناسا محلها بعد ذلك، في عام 1935 عددا من النساء الأميركيات السوداوات للقيام بمهام الحسابات التي كانت تُحسب باليد وبالاعتماد على أدوات بسيطة، لا تتعدى الورق والأقلام، وأحيانا على حاسبات بدائية تسمى سلايد رول.

وسلط كتاب "صعود الفتيات الصواريخ" للمؤلفة الأميركية ناتاليا هولت الضوء على الكيفية التي عملت بها مجموعة من النساء البارعات في الرياضيات في وكالة ناسا بسرية كاملة، ولم تكن تلك السرية لأنهن نساء بل أيضا لطبيعة البيانات.

وعملت تلك النسوة في مختبر الدفع النفاث "جي.بي.آل" التابع لوكالة ناسا بولاية كاليفورنيا، كـ"حاسبات بشرية"، ثم كمبرمجات، وكان معظمهن يحمل درجات علمية في الرياضيات والهندسة والفيزياء، وكان عملهن كما قالت مؤلفة الكتاب "مبتكرا"، إلا أنه عُدَّ أقلّ أهمية من منجزات المختبر الأخرى، وتقاضين من أجله أجورا أدنى بكثير من أجور الرجال، ولكنه بالنسبة إليهن عدّ مسألة حياة أو موت، فكن يعقدن "سباقات حسابية" لحل المسائل الرياضية المعقّدة حتى أثناء عطلهن.

وكشف كتاب هولت إنجازات شخصيات لم تكن معروفة بالنسبة إلى الرأي العام، مثل باربرا كانرايت وسوزان فينلي وهيلين لينغ اللائي أجرين حسابات مصيرية وساعدن في إطلاق صواريخ وقاذفات قنابل وأول قمر صناعي أميركي مخصّص للتحكم في البعثات المرسَلة إلى القمر وتوجيه العربات الآلية التي تستكشف المريخ اليوم.

وتذكر أسماء هؤلاء العالمات بحقيقة مهمة، وهي أن المجالات العلمية بما في ذلك الرياضيات، لم ترتبط فقط بالعباقرة من الذكور، بل هي عملية تعاون وتكامل في الأدوار بين الجنسين وفي العلم والمعرفة، لكن المشكل الذي لا يزال قائما هو قلة وجود النساء في هذه المجالات، في وقت يحظى فيها الآلاف من الرجال بمراكز مهنية وجوائز مرموقة، ليبقى الذكور بذلك النموذج المسيطر على رقعة العلوم الرياضية، مما يثير الاستفهام حول أسباب استمرار سيطرة الرجال على هذا المجال، رغم أن المؤشرات المعلن عنها من قبل حكومات العالم أثبتت أن الإناث يتفوقن على الذكور في جميع المواد بما في ذلك الرياضيات.

المعتقد السائد خاطئ

يرى الدكتور إبراهيم العليان، أستاذ الرياضيات بجامعة الملك سعود، أنه ينبغي البحث عن الأسباب الكامنة وراء هذه المعدلات المتفاوتة بين الجنسين في مجال الرياضيات، بعيداً عن المعتقد السائد الذي يفيد بأن الرجال أكثر ذكاء ولذلك فهم أكثر قدرة من النساء على استيعاب الرياضيات.

وقال العليان لـ"العرب" "من الصعب تحديد من الأذكى في الرياضيات الرجال أم النساء، لكن إذا عدنا لتاريخ الرياضيات، وسردنا قائمة بأبرز علماء الرياضيات على مر العصور والذين كان لهم بصمة واضحة في هذا العلم (إقليدس، فيثاغورس، الخوارزمي، أويلر، جاوس، ريمان، نيوتن،...) سنجد أن معظمهم من الرجال، وهذا طبيعي في ظل السياق التاريخي لتطور العلم والظروف الاجتماعية السائدة في ذلك الوقت".

وأضاف "في الوقت الحالي، تشير الدلائل إلى أن الرجال أكثر اهتماما من النساء بتخصص الرياضيات بشكل عام، وهذا لا يعني بالضرورة أن الرجال أكثر ذكاء، فعلى المستوى البحثي والنشر العلمي، هناك عدد من الجوائز العالمية في الرياضيات تمنح لمن أسهمت أبحاثه في تطوير العلم، ويلاحظ أن معظم الفائزين في هذه الجوائز من الرجال، على سبيل المثال، ميدالية فيلدز في الرياضيات تم منحها لستين باحثا منذ عام 1936، وكان من بينهم امرأة واحدة. كما حصلت امرأة واحدة على جائزة أبيل من أصل عشرين جائزة تم منحها منذ عام 2003".

وأوضح العليان "أما على مستوى الطلبة، فهناك تقارب في مستويات الطلاب والطالبات في التعليم العام، ولكن في المسابقات العالمية المتخصصة في الرياضيات نجد أن الطلاب أكثر اهتماما ومشاركة وحصولا على الجوائز من الطالبات، على سبيل المثال، في مسابقة الأولمبياد الدولي للرياضيات

إذا أردت أن تعرف رقي أمة فانظر إلى نسائها

–والتي تعتبر أشهر مسابقة للرياضيات في العالم– يلاحظ أن نسبة المشاركات سنويا من الطالبات تعادل 10 بالمئة تقريبا من نسبة المشاركين، وكان آخرها عام 2018، حيث شاركت 60 طالبة من أصل 600 مشارك تقريبا، كما حصلت طالبتان على الميدالية الذهبية من أصل 48 ميدالية".

وشدد العليان في خاتمة حديثه على أن الرجال أكثر اتجاها لتخصص الرياضيات من النساء، إلا أنه على يقين بأن السبب غير راجع إلى تفوقهم في القدرات الذهنية على النساء.

وتشير بيانات استطلاع قام به مركز أبحاث المدن والنمو السكاني بمعهد شنغهاي للعلوم الاجتماعية أن نتائج الإناث في المدارس الابتدائية والثانوية أفضل من نتائج الذكور في جميع المواد تقريبا، موضحا أن الفارق يتضح خاصة في اللغة الإنكليزية، حيث يناهز 8 نقاط بالإضافة إلى الرياضيات والفيزياء والكيمياء التي كان يعتقد أنها مجالات نبوغ الذكور.

أما البيانات الخاصة بالعالم العربي فقد كشفت أن الإناث تفوقن على الذكور خلال العقد الماضي في جميع الميادين الأكاديمية تقريبا، وأن نسب الالتحاق بالمدارس الابتدائية للأولاد والفتيات تتقارب مع المعدلات العالمية، كما أن عدد الفتيات اللواتي يرسبن في الصفوف أقل بكثير من عدد الفتيان.

ونفى أستاذ الرياضيات التونسي سالم حفصي وجود اختلافات متأصلة في القدرات الأكاديمية بين الصبيان والفتيات، مؤكدا أن الفتيات متفوقات بشكل عام على الفتيان، ولاسيما في مجال الرياضيات.

وقال حفصي لـ"العرب" "على امتداد تجربتي في تدريس الرياضيات، التي بدأت منذ عام 2006 لاحظت أن الفتيات عموما متفوقات في هذا المجال، لأنهن أكثر مثابرة وتركيزا في الدراسة من الفتيان".

وواصل حديثه موضحا "الرياضيات تعتمد بالأساس على الاستدلال المنطقي وهذا النوع من التفكير وجدته عند الفتيات أكثر من الفتيان، لكن في المقابل يكون الفتيان متميزين أكثر من الفتيات في الهندسة التي تتطلب ذكاء أكثر من الجبر".

واعتبر حفصي أن علم الرياضيات لم يعد مجالا يحتكره الذكور مستدلا بعدد الفتيات اللواتي حصلن على أعلى العلامات في الفصول الخمسة التي يدرسها، ومشددا في الوقت نفسه على أن تفوق التلاميذ بشكل عام في الرياضيات يتأثر إلى حد كبير بطريقة تعامل الآباء والمدرسين، فالقلق الذي يسود داخل الأسرة من هذه المادة، بالإضافة إلى أن تخويف الأساتذة للتلاميذ من الرياضيات، قد يخلق نوعا من الرهاب (الفوبيا)، إلى درجة أن البعض يتفادون التفكير بالأرقام وإجراء معادلات بسيطة، وهذه أحد التفسيرات المنطقية التي يمكن أن تؤثر على مهارات الحساب لدى الفتيان والفتيات على حد قول حفصي.

سقف الترقي محدود

يبدو أن جيلا بأكمله من الفتيات قد بدأ فعلا في كسر الأفكار النمطية، التي تصور المرأة على أنها أقل ذكاء من الرجل، وذلك عبر التوجه إلى دراسة المجالات العلمية بمختلف فروعها.

وتعتقد شريفة خواجي، معلمة الرياضيات السعودية أن الفتيان أفضل من الفتيات في العمليات الحسابية الذهنية السريعة، ولكن ذلك لا يعني أن الذكور أذكى من الإناث.

وقالت خواجي لـ"العرب" "أصبحت الفتيات تقبل وبشكل كبير على التخصص في الرياضيات وسنويا تتخرج الكثير من الكفاءات من هذا المجال والبعض من النساء قد يتفوقن على الرجال في هذا التخصص ويحرزن على تقديرات عالية أفضل حتى من الرجال".

وأضافت "من واقع تجربتي أعتقد أن النساء اقتحمن جميع ميادين العلوم وأثبتن كفاءتهن وجدارتهن فيها، ولم يعدن مجرد هامش وهن يحظين بنفس القدر من الاحترام والتقدير كالرجال".

ونوه بعض علماء النفس إلى أن معدل الذكاء لدى الإناث، قد ارتفع عن نظيره لدى الذكور للمرة الأولى منذ 100 عام، مرجعين ذلك إلى قدرة المرأة على الجمع بين عدة أشياء في وقت واحد.

وقال الباحث الأميركي جيمس فلاين "لقد ارتفعت درجات معدل الذكاء للرجل والمرأة على مدار القرن الماضي، لكننا لاحظنا حدوث ارتفاع في درجات المرأة بصورة أسرع".

وتوصل فلاين لتلك النتيجة بعد تجميعه بيانات خاصة باختبارات معدل الذكاء من عدة دول في أوروبا الغربية، وأميركا وكندا ونيوزيلندا والأرجنتين واستونيا.

وأضاف فلاين "يمكن القول إن ذلك يعتبر تسلسل حداثة، حيث تسبب تعقيد العالم الحديث في جعل أدمغتنا مهيأة ورفع قدراتنا الخاصة بمعدل الذكاء، وبدأ يظهر ويتضح للتو التأثير الكامل لمسألة الحداثة على النساء في ما يتعلق بهذا الشأن".

وأوضح "كلما زادت درجة تعقيد العالم، وتطلب العيش بداخله قدرا أكبر من الفكر المجرد، يبدأ الناس في التكيف، ويمكن ملاحظة هذا التحسن بصورة أوضح مع النساء مقارنة بالرجال".

تهديد الأحكام المسبقة

لكن حتى عندما تتساوى الفتيات مع الصبيان في درجات الذكاء أو يتجاوزنهم، فإن هناك على ما يبدو عزوف لدى الفتيات عن تحقيق مستوى أعلى في الرياضيات أو العلوم، أو التفكير فيها كوسيلة إلى الوظيفة، إذ تشكل النساء اليوم في المتوسط نحو 40 بالمئة من عدد الطلاب الجامعيين الذين يدرسون الرياضيات، غير أن هذه النسبة تنخفض عند مستوى الدكتوراه وما بعدها.

وكشفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) في إحدى دراساتها أن النساء يبلغن أعلى الدرجات العلمية في العصر الحالي، إلا أنهن يشكلن فقط 30 بالمئة من الوظائف العلمية.

وتشير اليونسكو إلى أن نسبة محدودة من الفتيات يتوجهن للعمل بوظائف علمية، مما يؤدي إلى فقدان المجتمع لقوى عاملة موهوبة.

وعلى المستوى العالمي، نجحت الفتيات، خلال العقود الأخيرة، في اللحاق بالفتيان في ما يتعلق بالأداء الدراسي العام، فيما بقيت هنالك فجوة كبيرة بين الجنسين في الرياضيات. وهذه الفجوة تكلف النساء كثيرًا، إذ تشير الدراسات إلى وجود علاقة فرضية بين تدني المهارات في علم الحساب، ومعدلات البطالة بين النساء، وكذلك مستوى الدخل المادي بشكل عام.

وخلصت دراسة دولية حول السبب في أن نجاح الفتيات المتزايد في التعليم لا يعقبه مزايا مشابهة في سوق العمل، إلى أن الفتيات مازلن يفتقرن إلى الثقة في مزاولة المهن عالية الأجور في مجالي العلوم والتكنولوجيا، حتى إذا كانت درجاتهن الدراسية مثل الصبية أو أفضل.

> كارين أولينبيك تحصل على جائزة أبيل عن عملها في التحليل الهندسي ونظرية المقياس، لتثبت أن المعتقد الشائع بأن الرجال أذكى من النساء ما هو إلا تفكير ساذج

واستعانت الدراسة ببيانات من اختبارات بيسا الدولية، وهي اختبارات تجريها منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية لقياس جودة الأنظمة التعليمية في البلدان في أكثر من 60 دولة.

وأشار أندريس شلايشر، مدير قسم التعليم في المنظمة، إلى أن المرأة "تعاني تمثيلا متدنيا للغاية" في الوظائف المتعلقة بالعلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات، والتي تكون من بين أعلى المهن أجورا.

ولأكثر من قرن من الزمن، سعى علماء التشريح والأعصاب الرجال إلى العثور على أدلة علمية تثبت أن المرأة أقل ذكاء من الرجل، من خلال مقارنة عقول النساء بأدمغة الرجال، لتفسير سبب تميز الرجال عن النساء في معظم المجالات العلمية بالمقارنة مع النساء، إلا أن معظم هذه النظريات غفلت عن الكثير من التفاصيل المهمة، التي من شأنها أن تحدد اهتمامات المرأة والرجل على مستوى الخيارات العلمية ومجالات الدراسة، لكن الدراسات الحديثة كشفت أن الفتيات والنساء يعزفن عن دراسة الرياضيات والعلوم التقنية والهندسة، لا بسبب ضعف قدراتهن المعرفية، ولكن بسبب السياسات التعليمية والمشكلات الثقافية، والقوالب النمطية السائدة في هذه المجالات، ولأنهن لم يصادفن نماذج ملهمة لنساء نجحن في مجالات العلوم والتقنية والهندسة والرياضيات.

ونفت عالمة الأعصاب الأميركية جينا ريبون وجود دليل علمي يثبت أن عقل الرجل مختلف عن عقل المرأة، مرجحة أن سبب الاختلاف الظاهر هو الدور الذي يفرضه المجتمع على الجنسين.

وأشارت ريبون إلى أن الاختلاف بين الرجل والمرأة سببه الوحيد هو العالم الذي يعيشان فيه ويعمل على تحديد أدوار وظيفية معينة لكل جنس، موضحة أن كلا من الرجل والمرأة يمتلك عقلا متماثلا في الشكل ولا يمكن التفريق بينهما، وأن الاختلافات البسيطة بينهما سببها البيئة المحيطة وليست البيولوجيا.

ويمكن لبعض الأحكام المسبقة التي تتعرض إليها الفتيات وبكثرة في الأسرة والمدرسة وفي الفضاءات العمومية ووسائل الإعلام أن تتحول إلى حقيقة وتترك آثارا طويلة المدى على خياراتهن الوظيفية عند الكبر، وهي ظاهرة يطلق عليها علماء الاجتماع اسم "تهديد الأحكام المسبقة".

الهوس الزائد بمستقبل الأبناء يهدر طفولتهم

إصرار الوالدين على إنتاج أطفال عاقلين ناجحين يقوض قدراتهم على التعلم

يقع الآباء في الكثير من الأحيان في فخ المبالغة في سلوكيات خاطئة تجاه أبنائهم لفرط حرصهم على أن تكون نتائج تربيتهم مثالية. يؤدي ذلك حتما إلى النتائج غير المرجوة ولكنهم يدركون وقع تلك السلوكيات الخاطئة، في أغلب الأحيان، عندما يكبر الأبناء ويصدمون بتصرف غير سوي أو صادم منهم، حينها يقيمون أساليبهم التربوية وقد يصل بعضهم إلى إدراك أن تركيزه على مستقبل الأبناء كان على حساب طفولتهم.

❏ **لندن – يتجاهل الكثير من الآباء، عن غير قصد، أهمية فترة الطفولة التي يجب أن يعيشها أبناؤهم بشكل طبيعي، ويفسر الخبراء ذلك بكونه نتيجة لتركيزهم الشديد على تشكيل مستقبل الطفل عندما يبلغ سن الرشد.**

وتعد تربية الطفل من أهم وأكثر المواضيع الخلافية والمثيرة للجدل على مر السنين، فمثلا الإجابة على سؤال: هل تجعل ألعاب الفيديو العنيفة الناس أكثر عنفا؟ بالنسبة للمحافظين الثقافيين، يرون أن الإجابة هي دائما "نعم"، بالنسبة للاعبين أنفسهم، يعتقد الغالبية المطلقة منهم أن الألعاب لا تؤثر على مبادئهم وأنهم قادرون على الفصل بين الخيال والواقع.

وتبقى الأبحاث التي نشرت على مدى السنوات المنقضية متناقضة إلى حدّ مثير للدهشة، حسب رأي الكاتب في صحيفة الغارديان البريطانية أوليفر بوركمان، الذي يقول إن الجواب الواقعي هو "ربما، قليلا"، على الرغم من أن إحدى الدراسات الكبيرة التي نشرت في الآونة الأخيرة لم تجد أي صلة بين العدوان والوقت الذي يقضيه الشخص العنيف في اللعب.

وكتب المدون ماثيو وارن في "ريسيرش ديجست" التابعة للجمعية النفسية البريطانية، عن تأثر العديد من الدراسات بما يسمى "التقارير المؤذية"، "اسأل المراهقين عن دوافعهم الخاصة للعنف، وسيبالغون في إجاباتهم من أجل الإضحاك. إنها مشكلة حقيقية في أبحاث الشباب: في الدراسات الاستقصائية، يدعي المراهقون أنهم متبنون أو متحولون جنسيا، أو أنهم قصيرون أو طويلون

الخوف الزائد على المآلات يحبط الطفل

مقارنة بالمعدل العادي، ليس لأنهم كذلك، ولكن لأنهم مراهقون يعتبرون ملء الاستبيانات أمرا مملا ما لم يخلقوا إجابات غريبة ومختلفة ليضحكوا عليها في ما بعد مع زملائهم".

وأفادت الإذاعة الوطنية العامة الأميركية في أحد الاستبيانات، بأن 253 طالبا يستعملون أطرافا اصطناعية، لكن 99 بالمئة منهم كانوا يكذبون.

ويفترض الخبراء أن السبب الوحيد للاعتراض على اللعب لساعات هو التأثير السلبي المستقبلي الأوسع الذي يحذر منه غالبية العلماء، وتتخلل هذه الفكرة المنشورات المتعلقة بالأبوة والأمومة ورفاهية الأطفال، حيث أن المقياس الوحيد لتقييم أساليب تربية الأطفال هو ما سينجر عنها بالنسبة للجيل الجديد في المستقبل. ويربط المختصون في علم النفس والتربية بين تدليل الأبناء وبين ما يطلق عليه فرط الأبوة ويعني الآباء المدللين، وهم الآباء الذين يولون اهتماما شديدا بخبرات ومشكلات أطفالهم، ويعتبرون ذلك ممارسة خاطئة. فتدريب الأب المدلل لأولاده على البيانو يوميا من سن الثالثة يعد أمرا جيدا إذا أدى إلى براعة الطفل مستقبلا، ولكنه سيء إذا تحول إلى تدريب وحشي ينفر منه الصغير، بسبب إفراط الوالدين فيه.

> **المغالاة في تقدير مستقبل الأطفال تنتشر لأن أمامهم الكثير في هذه الحياة. ولأن الأطفال يكبرون، نعتقد أن هدف الطفل هو أن يكبر، لكن هدف الطفل هو أن يكون طفلا**

ويرى الكاتب الأميركي آدم غوبنيك أن الاعتقاد بأن إثبات صحة أو خطأ طريقة تربوية ما يكمن في نتيجتها في المستقبل، وهذا برأيه كارثة، وهو ما يجعل نظرتنا إلى طريقتنا التربوية غير مكتملة، ويقول غوبنيك موضحا "لا يجب أن يقتصر السبب في أننا لا نريد أن يشاهد أطفالنا أفلاما عنيفة لخوفنا من أن ذلك سيحولهم إلى أشخاص عدوانيين عندما يكبرون، بل يجب ألا نسمح لهم بأن يشاهدوا تلك الأفلام لتأثيرها عليهم الآن"، فبعض المشاهد قد تشعرهم بالخوف وقد تحدث لهم كوابيس وغيرها بسبب تلك الأفلام.

ويشكل قضاء ساعات من العمر المحدود في خيال عنيف مجرد وسيلة سيئة لقضاء الحياة، حتى لو لم يجعل هذا الخيال الشخص عدوانيا في المستقبل. إذا أصبح تدريب البيانو اليومي مصدر تعاسة في طفولة صغيرك، فربما لا تستحق رغبتك في أن يكبر ابنك ليصبح عازفا مرموقا هذه التضحية.

ويكون الوقوع في هذه العقلية سهلا بشكل صادم، فالعديد من الآباء يرون مزايا أنشطة أو سياسة معينة أمورا يجب القيام بها من أجل تشكيل المستقبل، ولا يفكرون في الحاضر كما يجب.

ويقتبس غوبنيك مقولة وردت في "ساحل يوتوبيا"، وهو عمل للمؤلف المسرحي البريطاني توم ستوبارد، جاء فيها "لأن الأطفال يكبرون، نعتقد أن هدف الطفل هو أن يكبر. لكن هدف الطفل هو أن يكون طفلا".

وتنتشر المغالاة في تقدير مستقبل الأطفال، لأن أمامهم الكثير في هذه الحياة. لكن، على البصيرة أن تنطبق على الجميع، إن الحكم على تجربتك من حيث تأثيرها المستقبلي فقط هو تجاهل لحاضرك.

وتقول الكاتبة وخبيرة تربية الأطفال الأميركية إيريكا كريستاكيس في كتابها "أهمية أن تكون صغيرا" الذي يعتبر تحديا جريئا للمفاهيم الشائعة المتعلقة بالطفولة من خلال النظر إلى الأمور من وجهة نظر الطفل في العالم الذي يصممه الكبار، "إن إصرارنا على إنتاج عاقلين ناجحين يقوض قدرة الأطفال على التعلم اليوم".

نصائح

هكذا تتغلب على عضة الجوع خارج المنزل

❏ هل غادرت المنزل مجددا دون تناول الإفطار؟ قرار تناول طعام صحي يمكن أن يقفز من النافذة سريعا. وقد يكون مغريا تخفيف عضة الجوع بشطيرة محشوة عن آخرها.

تقول سارة تشيرنيجوف، خبيرة التغذية ببرلين، "لكن لسوء الحظ هذا تصاحبه الكثير من السعرات الحرارية، إلى جانب دقيق أبيض غير صحي والأسوأ الصلصات أو الجبن".

وتقدم سارة، نصائح تساعد في تجنب فخ اللجوء إلى شطيرة في حالة الجوع، وتوضح "يجب أن يبحث المرء عن منتجات صحية مثل الفاكهة أو السلطات المعدة للأكل".

وتضيف "علاوة على ذلك، عادة ما يكون الطعام في المتجر معلبا. وإلقاء نظرة سريعة على المكونات سوف يجعلك على دراية بالوضع، عكس الوجبات الخفيفة. وكلما كانت المكونات قصيرة، كلما كان المنتج أفضل".

ولكن نصيحتها الجوهرية للأشخاص الأكثر تهورا هي برطمانات أطعمة الأطفال. وتقول "هناك برطمانات الموز والتفاح. إنها فاكهة مهروسة. والأطعمة المهروسة أشبه بالشراب السموذي، ولكنه ليس حلوا".

وتحمل خبيرة التغذية دائما أدوات مائدة صغيرة في حقيبتها لتستخدمها في مثل هذه الحالات.

وتضيف تشيرنيجوف "يمكن للنباتيين التغلب على الجوع بالمكسرات وخليط الشوفان والفواكه المجففة.

إنها تحتوي على الكثير من الدهون ولكنها دهون صحية من خلال أحماض أوميجا 3 الدهنية".

موضة

قوامك يحدد شكل فستان زفافك

❏ يعد فستان الزفاف حلم كل امرأة . وكي تتألق المرأة في ليلة عمرها ينبغي عليها اختيار شكل فستان الزفاف تبعا لقوامها.

قالت مستشارة المظهر الألمانية نانسي فايتسيل إن فستان عروس البحر يعد أكثر فساتين الزفاف شهرة ويحظى بطلب كبير من قبل العرائس، موضحة أنه يمتاز بقصة ضيقة بالجزء العلوي من الجسم والخصر والأرداف والأفخاذ، وبقصة واسعة بدءا من الركبتين.

وأضافت أنه يغازل في المقام الأول العروس، التي تتمتع بقامة طويلة وقوام ممشوق، نظرا إلى أنه يسلط الأضواء على محاسن قوامها، خاصة الأرداف، لذا ينبغي ألا تكون أرداف العروس مسطحة، بل ذات منحنيات.

وقالت خبيرة الموضة الألمانية تاتيانا شلوسل إن فستان الدوقة يعدواحدا من أشهر فساتين الزفاف، وهو يمنح العروس إطلالة الأميرات.

وأوضحت أن فستان الدوقة هو فستان على شكل حرف A، يتمتع بقصة ضيقة بالجزء العلوي من الجسم ويسلط الضوء على فتحة الصدر "الديكولتيه"، بينما يمتاز بقصة واسعة بدءا من الوسط، ما يعمل على إخفاء المناطق الممتلئة بالبطن والأرداف.

وأشارت خبيرة الموضة الألمانية أنجيلا شتوكل إلى أن فستان الإمبايير ستايل يغازل المرأة قصيرة القامة، حيث أنه يمتاز بقصة ذات وسط يبدأ من أسفل الصدر مباشرة، ما يجعل القوام يبدو أطول بصريا. وأضافت أنه يداعب في المقام الأول العروس التي تتمتع بسيقان ممشوقة وجميلة، مع مراعاة تنسيقه مع حذاء ذي كعب عال.

كيف نعلن صالون البيت «منطقة منزوعة الموبايل»

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

❏ "انقطعت خدمة الإنترنت عن بيتنا ليلة أمس، مما جعلني أضطر إلى تمضية الوقت عبر تجاذب أطراف الحديث مع أفراد أسرتي فاكتشفت، فعلا، كم هم ظرفاء ودودون". هذه العبارة القاتمة المفزعة، كتبها أحد المراهقين على صفحته في فيسبوك، وتبادلها كثيرون على سبيل السخرية السوداء، والضحك الأبله أحيانا، عمّا آلت إليه حال مؤسسة العائلة في ظل هذا "التواصل الاجتماعي" الذي جعل كل فرد يسكن جزيرة بحجم راحة اليد، اسمها الآيفون.

صار أفراد كل أسرة "يتبادلون عبارات الصمت" فلا تكاد تسمع إلا "همس الأصابع" على شاشات الأجهزة، تقطعها أحيانا ضحكة أو تنهيدة أو تكشيرة من أحدهم. يرن جرس باب المنزل فيتقاعس ويعوّل كل واحد على الآخر في الفتح. قد تحترق الطبخة في فرن الغاز دون الانتباه إليها أو تتمسح بك قطة البيت دون أن تعيرها أي اهتمام بل وقد يقتحم بيتك اللصوص في وضح النهار دون أن تكترث.. المهم أن لا يأخذوا الموبايل من بين يديك.

صرنا لا نعبأ بموعد أي مناسبة إن لم يذكّرنا بها الجهاز، وبات الزوج يتبادل عبارات التهنئة مع قرينته في ذكرى زواجهما عبر الإنترنت وهما على فراش واحد.

ما فائدة عبارات مثل شكرا أو عفوا أو مبروك أو أرجوك دون صوت أو ابتسامة أو عناق أو رائحة؟

لماذا لا تعلن كل أسرة صالون البيت "منطقة منزوعة الموبايل"، وبذلك يتمكن كل أفراد العائلة من التعرف إلى بعضهم بعضا، و"اكتشاف ميزات كل واحد فيها" كما كتب ذلك المراهق على صفحته في فيسبوك.

لماذا تُثار قضايا الاغتراب والتفكك الأسري بسبب طغيان الإنترنت في العالم العربي دون غيره من البلدان المتقدمة في ثورة الاتصالات الرقمية؟ هل أن الأمر يشبه وفرة سيارات المرسيدس لدى المسؤولين في العالم الثالث أكثر من ألمانيا، بلد المنشأ والتصنيع؟

هل تعلم الأسر العربية التي تتسابق لاقتناء أحدث الموبايلات لأطفالها أن رئيس شركة مايكروسوفت، بيل غيتس، والذي يعد أغنى رجل في العالم، قد اعترف بعدم سماحه لأبنائه بامتلاك هواتف محمولة قبل بلوغهم سن الرابعة عشرة.

وقال إمبراطور الإنترنت، خلال حوار له مع صحيفة بريطانية، إنه منع أطفاله من امتلاك الهواتف المحمولة قبل سن الـ14، وأنه مع امتلاكهم لها بعد هذا فرض عليهم مساحة محددة من الوقت يمكنهم خلالها فقط استخدام الهواتف الذكية، وغالبا ما تكون هذه المساحة من الوقت قبل ذهابهم للنوم. وذكر رئيس مايكروسوفت، أنه يمنع وجود أي من الأجهزة الذكية في عدد من الأماكن مثل مائدة الطعام وغرفة النوم.

نحن معشر العرب الذين غالبا ما يتباهون بدفء الروابط الأسرية لديهم، مقارنة بالمجتمعات الغربية المتفككة في نظرهم، لا ندرك أننا في وضع كارثي من جراء هذا "التسونامي الإلكتروني" الذي نواجهه ببنى اجتماعية هشة وغير محصنة.

علينا الاعتراف بأننا في مهب ثورة الاتصالات دون أن نعد لها شيئا على مستوى الفرد والأسرة، ووقعنا في محنة الإدمان على الإنترنت مثلما وقعت مجتمعاتنا في مشكلة الإدمان على التدخين الذي تأتي منتجاته من أكثر البلدان تشددا ومنعا واستهلاكا له وهو الولايات المتحدة الأميركية.

المشكلة أننا في العالم العربي، نتشبث بكل ما هو سلبي ومسيء ومدمر في أي منجز علمي وتكنولوجي، ونتعامل مع الأمر تحت يافطة الانفتاح ومواكبة العصر كما هو الحال بالنسبة للإنترنت. المشكلة إذن تكمن في شيء آخر وهو انعدام التواصل الأسري وغياب الحوار بين أفراد العائلة.

أثناء هذا الخواء النفسي، يأتي جهاز الآيفون لملء الفراغات، ذلك أن ثقافة التأمل والاختلاء مع الذات ليست من تقاليدنا ولا من عاداتنا فوجب البحث دائما عن مسامر ومسل ولو كان افتراضيا.

لو نتذكر الماضي القريب نسبيا، والذي كان الناس مع ضيوفهم يجتمعون فيه على جهاز التلفزيون هربا من لحظة صمت قد تداهمهم، أي أن التلفزيون يمثل منقذا لهم من حالة لا وجود فيها للكلام.. ونحن جماعة وجدت لتعشق الكلام.. أي كلام، وإن كان ثرثرة أو نميمة.

جاءت مواقع التواصل الاجتماعي لتعوض صمتا ما قد يحل بأفراد الأسرة وهم في صالون البيت، تماما كما كان يفعل جهاز التلفزيون في ثمانينات القرن الماضي.

انعدام الحوار بين أفراد الأسرة مشكلة كبيرة ونعترف بها جميعا، لكن انعدام الرغبة في الصمت والتأمل مشكلة أكبر.

من «مغضوب عليه» إلى رقم إنكليزي صعب على المستطيل الأخضر

رحيم سترلينغ يظل ركنا محوريا في مسعى مانشستر سيتي لرباعية تاريخية

خطف رحيم سترلينغ الأضواء مرة جديدة وبات مؤخرا حديث الصحف بسبب العديد من القضايا الإنسانية والمواقف الرياضية سواء داخل المستطيل الأخضر أو خارجه؛ أبرزها دوره في مواصلة مانشستر سيتي الكفاح من أجل جبهات عديدة، ومن ناحية أخرى إسهامه كذلك في مكافحة العنصرية مؤخرا حيث أشاد زملاؤه في المنتخب بمواقفه التحفيزية الرائعة خلال لقاء إنكلترا ومونتينيغرو الشهر الماضي بعد أن تعرض زميلاه روز وهودسون أودوي لهتافات عنصرية من الجمهور.

❑ لندن – تحول رحيم سترلينغ تدريجيا من لاعب يتعرض لانتقادات الصحافة الإنكليزية، إلى مهاجم يشكل ركنا محوريا في مسعى فريقه مانشستر سيتي لرباعية تاريخية هذا الموسم، في مسار نضوج للاعب توسع نشاطه إلى خارج حدود ملاعب كرة القدم.

ويدين سيتي الذي يقارع هذا الموسم على أربع جبهات، للاعبه السريع بإحراز أول ألقابه في فبراير الماضي، إذ سجل الركلة الترجيحية الحاسمة (4-3) أمام تشيلسي في نهائي كأس رابطة الأندية الإنكليزية بعد نهاية الوقتين الأصلي والإضافي بالتعادل السلبي. ويأمل المدرب الإسباني جوسيب غواردیولا في أن يكون لاعب الجناح البالغ 24 عاما، على الموعد مجددا، عندما يستقبل توتنهام في إياب الدور ربع النهائي لدوري أبطال أوروبا في كرة القدم.

وإضافة إلى لقب كأس الرابطة، ساهم سترلينغ هذا الموسم في بلوغ فريقه المباراة النهائية لمسابقة كأس إنكلترا، وصراعه المتواصل مع ليفربول للاحتفاظ بلقبه بطلا للدوري الإنكليزي الممتاز.

ومع 19 هدفا (منها 15 في الدوري الممتاز) و16 تمريرة حاسمة، يفرض سترلينغ نفسه هذا الموسم مرشحا قويا لاختياره أفضل لاعب في فريقه. وعكس اللاعب نجاحه مع ناديه بأداء مماثل مع منتخب بلاده، إذ سجل ستة أهداف في المباريات الأربع الأخيرة لـ"الأسود الثلاثة"، بعد صوم عن التسجيل على الصعيد الدولي استمر ثلاثة أعوام. ويقول عنه هاري كاين، قائد المنتخب الإنكليزي ومهاجم توتنهام الذي سيتواجه معه مرتين في الأسبوعين المقبلين (إيابا في دوري الأبطال، ومباراة ضمن الدوري الإنكليزي الممتاز)، إنه لاعب "مذهل". ويتابع "هو لاعب رائع ومتواضع جدا. يريد فقط أن يعمل بجهد وأن يتطور".

الإعلام والهتافات

فرض سترلينغ نفسه رقما صعبا على المستطيل الأخضر، لكن تطوره لم يقتصر على أدائه في الميدان، إذ يقود اللاعب الشاب صراعا على جبهة أخرى هي العنصرية في الملاعب، والأقلام اللاذعة للصحافة. فاللاعب المولود في جامايكا، ارتدى قميص المنتخب الإنكليزي للمرة الأولى في سن السابعة عشرة، لكنه غالبا ما يتعرض للانتقادات على خلفية أمور لا علاقة لها بأدائه الكروي لاسيما دوليا.

> إضافة إلى لقب كأس الرابطة، ساهم سترلينغ هذا الموسم في بلوغ فريقه المباراة النهائية لمسابقة كأس إنكلترا، وصراعه المتواصل مع ليفربول للاحتفاظ بلقبه بطلا للدوري الإنكليزي

ووجد سترلينغ نفسه مرارا تحت مقصلة الصحافة الإنكليزية التي لا ترحم، وذلك على خلفية نشاطات خاصة مثل شراء منزل لوالدته، أو السفر على متن الدرجة السياحية. وبعدما كان عرضة لهتافات عنصرية خلال مباراة أمام تشيلسي في ديسمبر، وجه سترلينغ انتقادات لاذعة إلى طريقة تعامل وسائل الإعلام الإنكليزية مع اللاعبين الشبان ذوي البشرة السوداء. وكتب على مواقع التواصل "اللاعب الأسود الشاب ينظر إليه بشكل سيء. هذا ما يغذي العنصرية والتصرف العدواني"، مضيفا "لكل الصحف التي لا تفهم لماذا يكون الناس عنصريين في هذا العصر، كل ما يمكنني أن أقوله: أعيدوا التفكير (...) وامنحوا كل اللاعبين فرصا متساوية". وبعدما كان لاعبو المنتخب الإنكليزي ضحايا هتافات عنصرية خلال الفوز على مونتينيغرو 5-1 ضمن تصفيات كأس أوروبا 2020 في مارس الماضي، تقدم سترلينغ على أرض الملعب بعد تسجيله الهدف الخامس لمنتخب بلاده، واتجه نحو مدرجات المشجعين المحليين واضعا يديه على أذنيه (في إشارة إلى سماع الهتافات). كما دعا بعد المباراة إلى إنزال أشد العقوبات بحق مطلقي الهتافات.

دعا رحيم سترلينغ المزيد من اللاعبين إلى الكشف عما يعانونه من عنصرية إذا كان الهدف هو استئصال المشكلة من ملاعب كرة القدم، لكن مهاجم مانشستر سيتي رفض اللجوء إلى أسلوب الخروج من الملعب ردا على العنصرية. وحصل سترلينغ على دعم واسع لموقفه في أعقاب إساءة عنصرية تعرض لها خلال مباراة في التصفيات المؤهلة لنهائيات بطولة أوروبا 2020 على ملعب الجبل الأسود.

وفي وقت سابق هذا الموسم اتهم سترلينغ وسائل إعلام بريطانية بإذكاء المشكلة من خلال نشر صورة سلبية للاعبين السود الشبان. وقال سترلينغ للصحافيين "لا أعتقد أنني أحدث تغييرًا أو أحاول إحداث تغيير. الأمر يتعلق بقدرتي على الحديث عن تجربة تعرضت لها ربما يخجل آخرون من الحديث عنها". وتابع "إذا تحدث المزيد من اللاعبين عن المسألة ستتحسن الأمور". لكن عندما سئل عما إذا كان سيؤيد الخروج من الملعب ردا على أي إساءة، وهو أسلوب أعرب عدد من مدربي الدوري الإنكليزي عن تأييده في الآونة الأخيرة، قال سترلينغ إنه يفضل الاعتماد على كرة القدم للرد على الإساءة بشكل مناسب.

وأضاف "لا أوافق على ذلك (مغادرة الملعب). أعتقد أن مواصلة اللعب والفوز في المباراة سيكونان أكثر تأثيرًا، إذا سجل اللاعب هدفًا أو فاز الفريق بالمباراة سيؤلمهم ذلك أكثر". وقال داني روز مدافع توتنهام، الذي تعرض أيضا لإساءة عنصرية على ملعب الجبل الأسود، الأسبوع الماضي إنه يتوق لاعتزال كرة القدم بعد أن شعر بإحباط من الطريقة التي تتعامل بها السلطات مع المشكلة.

وقال سترلينغ "أحترم تعليقه، ومن المحزن أن أسمع ذلك، من المؤسف فعلا أن نسمع ذلك". وحين سئل ماوريسيو بوكيتينو مدرب توتنهام هوتسبير عما إذا كان تحدث إلى روز بشأن تعليقه قال المدرب الأرجنتيني "الوضع حساس للغاية. المسألة ليست سهلة، التعبير عن المشاعر مسألة شخصية للغاية. نحاول مساعدة اللاعب ونساعد أي شخص يمكن أن تنتابه هذه المشاعر بسبب التعرض لإساءة، إنها مسألة نعمل جميعا بالطبع على استئصالها تماما".

وقال بوكيتينو إن المسألة ليست جديدة وإنها مشكلة تتخطى كرة القدم حتى لو كان لاعبون مثل روز وسترلينغ سببا في تسليط الضوء عليها. وأضاف "الأمر يتعلق بضرورة مواجهة أمر داخل مجتمعاتنا وأن نقف جميعًا للحيلولة دون حدوث هذا مرة أخرى". وتابع "المعاناة لا تتوقف عند داني فقط أو سترلينغ أو غيرهما، هذا يحدث مع أشخاص عاديين في الشارع، أنت وأنا لا نعرف تفاصيل ذلك، وربما يعاني هؤلاء أكثر من الأشخاص الذين نعرفهم".

وقال دي بروين "بالنسبة لداني وسترلينغ نشعر بالأسف الشديد لما حدث لهما، لكنهما يتمتعان بالقدرة والقوة لأنهما مشهوران ويستطيعان التنديد بما جرى، كم من شخص لا يستطيع التحدث عن أي شيء؟ كل ما يمكنهم فعله العودة إلى المنزل والبكاء". وتعرض سون هيونغ مين مهاجم توتنهام لإساءة هو الآخر وقال إنه يتعين على اللاعبين الكفاح سويا. وأضاف اللاعب الكوري الجنوبي "يجب علينا حماية أي لاعب يتعرض لإساءة عنصرية، علينا الكفاح معًا من أجل هذا الهدف".

ورأى مدرب منتخب إنكلترا غاريث ساوثغايت أن لاعبه الشاب "يمر بمرحلة من الثقة الكبيرة، ليس فقط على أرض الملعب، ولكن خارجه أيضا حيث يتمتع بنضج كبير ومرتاح مع نفسه". وتابع "لا يمكننا أن نخفي حقيقة أنه عانى من لحظات صعبة مع إنكلترا، ولكنه نجح في قلب الأمور رأسا على عقب". وكال ساوثغايت المديح لرحيم سترلينغ "المتألق". وتفوق الهجوم الشاب السلس لإنكلترا على منتخب تشيكي ضعيف، إذ قدّم الشاب "جيدون سانتشو" أداء مذهلا إلى جانب القائد هاري كين، لكن سترلينغ خطف الأضواء.

وقال ساوثغيت "أعتقد أن رحيم كان متألقا، وظهر بهذا الشكل في التدريب طيلة الأسبوع، وأنا سعيد لأجله، وكانت ليلة استثنائية له، وأعتقد أنه نضج كشخص وكلاعب كرة قدم، إنه متعطش إلى تسجيل الأهداف، وهز الشباك بغريزته ودون التفكير كثيرا". وسلك سترلينغ طريقا وعرا منذ مباراته الأولى مع إنكلترا في 2012 بعد شق طريقه إلى الفريق الأول بليفربول. وجاء هدفه الأول مع إنكلترا في مباراته الـ14 وعندما ودع المنتخب بطولة أوروبا 2016 بشكل مهين أمام إيسلندا تم إلقاء النصيب الأكبر من المسؤولية على سترلينغ.

إثارة الشكوك

حتى في كأس العالم في العام الماضي ثارت الشكوك بشأن مستوى سترلينغ الدولي بعد استبداله في الفوز الصعب على تونس في أول مباراة. وتألق سترلينغ، الذي تحدث عن الصورة السلبية للاعبين السود في وسائل الإعلام، تحت قيادة بيب غواردیولا منذ تولي المدرب الإسباني المسؤولية في مانشستر سيتي. ويجني ساوثغيت ثمار إيمانه بإمكانات لاعب يملك السرعة والمهارة.

وبعد 3 سنوات خاض خلالها 27 مباراة دون تسجيل هدف مع إنكلترا أحرز الآن 5 أهداف في آخر 3 مباريات، إذ هز الشباك مرتين في الفوز 3-2 على إسبانيا في دوري الأمم الأوروبية في أكتوبر.

> عكس اللاعب نجاحه مع ناديه بأداء مماثل مع منتخبه بلاده، إذ سجل ستة أهداف في المباريات الأربع الأخيرة لـ«الأسود الثلاثة»، بعد صوم عن التسجيل على الصعيد الدولي استمر ثلاثة أعوام

وأبلغ ساوثغيت الصحافيين "رحيم لم يفاجئني، إنه يمر بلحظات واثقة داخل وخارج الملعب، ويشعر براحة، وأنا سعيد لأجله بعد رد فعل الجماهير، ولا يمكن إخفاء أنه تعرض للحظات صعبة مع إنكلترا، لكنه قلب الأمور تماما".

دور مهم

لا يخفى أن غواردیولا أدى دورا مهما في تبدل أحوال سترلينغ، بعدما دفعت انتقادات الصحافة اللاعب إلى إطلاق صفة "المغضوب عليه" على نفسه خلال كأس أوروبا 2016 التي انتهت بخسارة إنكليزية مفاجئة أمام إيسلندا بنتيجة 2-1 في الدور ثمن النهائي. وتولى غواردیولا مهامه في سيتي في صيف العام نفسه، وكانت أولى الخطوات التي أقدم عليها، قوله لسترلينغ "سأقاتل من أجلك".

هذه الثقة منحت اللاعب جرعة دعم لإثبات نفسه. ورغم أن غواردیولا أحبط أحيانا من أداء لاعبه في الموسمين الأوليين بسبب الإخفاقات المستمرة أمام مرمى الخصوم، بقي على ثقته بمن قال عنه إنه "سيصبح أحد أبرز اللاعبين في العالم لأنه يمتلك كل شيء". وحاليا، بات في إمكان غواردیولا أن يعول على لاعب يصنع الفارق في كل مباراة ويسجل الأهداف ويمرر الكرات الحاسمة، بصرف النظر عن عدد الألقاب التي سينهي بها فريقه الموسم. وحسب غواردیولا "عندما يعبر أناس مثل رحيم عما يعبرون عنه، فإن ذلك جيد لمستقبل مجتمعنا"، مضيفا "أعتقد أنه شخص مهم في هذا البلد (إنكلترا)، وهذا النوع من التصريحات يساعدنا في بناء مجتمع مختلف".

قرعة متباينة للمنتخبات العربية تضاعف رهانها على لقب أمم أفريقيا

مجموعة صعبة للمغرب وسهلة لمصر وتونس ومتوازنة للجزائر

جاءت نتائج قرعة بطولة أمم أفريقيا 2019 محفزة للمنتخبات العربية المشاركة على فرض رهانها الجدي على هذا اللقب بعدما أوقعتها في مجموعات في المتناول "نسبيا"، عدا المغرب الذي وقع في مجموعة صعبة. وبعد التعرّف على منافسيها، فإن المجال متروك للفرق العربية للتحضير جيدا لهذا الموعد القاري إذا كانت حقيقة تطمع في حصد هذا اللقب.

حظوظ وافرة للعرب

❏ **الجيزة (مصر)** – أسفرت قرعة بطولة أمم أفريقيا 2019 التي أقيمت مساء الجمعة بمنطقة الأهرامات في مصر، عن وقوع منتخب المنتخب المصري، المستضيف، في مجموعة سهلة نسبيا مع الكونغو الديمقراطية وأوغندا وزيمبابوي.

ووقع المنتخب المغربي في مجموعة قوية نسبيا مع كوت ديفوار وجنوب أفريقيا وناميبيا، فيما جاء المنتخب الكاميروني، حامل اللقب، في مجموعة متوازنة مع غانا وبنين وغينيا بيساو. وحل المنتخب الجزائري في مجموعة متوازنة نسبيا مع السنغال وغينيا وتنزانيا، فيما جاء المنتخب التونسي مع مالي وموريتانيا وأنغولا.

ومن المقرر إقامة النسخة الـ23 من بطولة الأمم الأفريقية في مصر خلال الفترة من 21 يونيو إلى 19 يوليو المقبلين.

وتقام البطولة للمرة الأولى بمشاركة 24 منتخبا، كما تم نقلها إلى فصل الصيف، بدلا من إقامتها المعتادة سابقا في مطلع العام.

> المغرب جاء في المجموعة الرابعة مع كوت ديفوار وجنوب أفريقيا وناميبيا، ليواجه المنتخب الإيفواري للمرة الثانية توالیا في دور المجموعات

وشهد حفل القرعة حضور العديد من مسؤولي كرة القدم الأفريقية والعربية والعالمية، إضافة إلى كوكبة من النجوم التاريخيين في القارة السمراء وعلى رأسهم الإيفواري يايا توريه، والمغربي مصطفى حاجي، والسنغالي الحاج ضيوف، والمصري أحمد حسن الذين سحبوا القرعة.

وستكون الاستضافة، الخامسة لمصر في تاريخها (وكانت المرة الأولى عام 1959 تحت مسمى الجمهورية العربية المتحدة). ومن المقرر أن تقام البطولة على ستة ملاعب، ثلاثة منها في القاهرة (ملعب القاهرة الدولي وملعب الدفاع الجوي وملعب السلام)، وملاعب الإسكندرية والسويس والإسماعيلية.

واختار الاتحاد القاري مصر للاستضافة في يناير الماضي بدلا من الكاميرون بعد تأخر الأخيرة في إنجاز أعمال البنى التحتية والمنشآت المضيفة، إضافة إلى مخاوف من الوضع الأمني.

وجاء المغرب في المجموعة الرابعة مع كوت ديفوار وجنوب أفريقيا وناميبيا، ليواجه المنتخب العاجي للمرة الثانية توالیا في دور المجموعات، بعد حلولهما في المجموعة الثالثة في نسخة الغابون 2017. وانتهى لقاء المنتخبين في تلك البطولة بفوز المغرب 0-1 وعبوره إلى الدور ربع النهائي على حساب منافسه الذي اكتفى بالمركز الثالث في المجموعة.

ويبحث المغرب بقيادة مدربه الفرنسي هيرفيه رونار، عن لقبه الثاني في البطولة بعد نسخة 1976 التي أقيمت في إثيوبيا، علما وأن رونار يبحث عن لقبه الثالث الشخصي بعد زامبيا (2012) وكوت ديفوار (2015).

ورأى المدرب هشام الإدريسي الذي قاد عدة أندية في الدوري المغربي، أن مجموعة "أسود الأطلس" ليست سهلة، ويتطلب التعامل معها بحذر.

وقال الإدريسي "صحيح أن المنتخبات التي سنواجهها قوية، لكن هذا لا يعني أن التأهل مستحيل، لأن المنتخب المغربي له مكانته، ومن المؤكد أن المنتخبات الأخرى تحسب لنا ألف حساب". وأضاف "لا بد من تحقيق نتيجة إيجابية في المباراة الأولى، لأنها تساهم بنسبة كبيرة في التأهل".

وبدوره سيكون المنتخب الجزائري الباحث أيضا عن لقب ثان (بعد 1990) في مواجهة مشابهة لنسخة 2017، بحلوله في المجموعة ذاتها مع السنغال، وهي الثالثة التي ستضم أيضا كينيا وتنزانيا. وفشل "محاربو الصحراء" في عبور مجموعتهم الثانية خلال النسخة الماضية، والتي نال بطاقتيها المنتخبان السنغالي والتونسي.

ورشح جمال بلماضي المدير الفني للمنتخب الجزائري، منتخب السنغال للتتويج بلقب بطولة كأس أمم أفريقيا. وقال بلماضي في تصريحات تلفزيونية "القرعة ستكون جيدة لنا عندما نتأهل ونصل إلى الدور ثمن النهائي". وأضاف "هناك منتخب شارك في آخر مونديال وهو السنغال المرشح للتتويج باللقب، حيث يتواجد في ديناميكية جيدة منذ سنتين، فضلا عن كونه يضم لاعبين يملكون مهارات فردية رائعة ويلعبون في أكبر الأندية الأوروبية".

ومن جانبه قال خيرالدين زطشي، رئيس الاتحاد الجزائري، إن قرعة نهائيات كأس أمم أفريقيا، أوقعت منتخب بلاده بمجموعة في المتناول، مؤكدا أن الفوز على كينيا في المباراة الأولى هو مفتاح التأهل للدور ثمن النهائي.

وقال زطشي لتلفزيون "النهار" الجزائري "القرعة وضعتنا بمجموعة متوازنة. هناك منتخب كبير هو السنغال وحتى كينيا، وتنزانيا هما منتخبان محترمان. يمكنني القول إن المجموعة هي في متناول المنتخب الجزائري".

أما المنتخب المصري الذي يحمل الرقم القياسي في عدد الألقاب (7) وبلغ نهائي النسخة الأخيرة في الغابون، فسيكون متصدرا للمجموعة الأولى غير المعقدة نظريا، مع جمهورية الكونغو الديمقراطية وأوغندا وزيمبابوي.

وحل المنتخب التونسي في المجموعة الخامسة مع مالي وموريتانيا وأنغولا، ويأمل في هذه المواجهات في العبور إلى الأدوار المتقدمة وإحراز اللقب للمرة الثانية بعد 2004.

وقال المدرب التونسي الأسعد الشابي إن قرعة كأس أمم أفريقيا 2019، وضعت "نسور قرطاج" في مجموعة متوازنة، وليست سهلة كما يعتقد البعض.

وأوضح الشابي "على الورق، تونس ومالي مرشحتان للتأهل إلى الدور الثاني، لكن كرة القدم ليست علما صحيحا، وتبقى حقيقة الميدان هي الفيصل".

وواصل "منتخب أنغولا بإمكانه الفوز على أي منافس، إذا تم استسهاله وعدم الاستعداد له، خصوصا من الناحية الذهنية.. لأنغولا نفس قيمة مالي، وهو ما يفرض على منتخب تونس الحذر".

وحضر الحفل مسؤولون تقدمهم رئيس الوزراء المصري مصطفى مدبولي والأمينة العامة للاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) السنغالية فاطمة ساموورا، ورئيسا الاتحاد الأفريقي أحمد أحمد والاتحاد المصري هاني أبوريدا.

وأكد مدبولي في كلمته في حفل الافتتاح، عزم السلطات المصرية على "توفير كل الدعم وتوفير كل المتطلبات لنجاح البطولة"، متعهدا بتقديم بطولة تكون بمثابة "احتفالية رياضية عالمية بنكهة أفريقية لتتواكب مع التطور الملحوظ الذي شهدته كرة القدم الأفريقية في الآونة الأخيرة". أما رئيس الاتحاد المصري هاني أبوريدة فيأمل في أن ترسم البطولة الأولى التي تستضيفها مصر منذ 2006، الفرحة على وجوه أطفال القارة الأفريقية لأن "كرة القدم الحقيقية هي البسمة على الوجوه". وتشهد البطولة غياب أسماء قارية كبيرة أبرزها الغابون ونجمها هداف أرسنال الإنكليزي بيار-إيمريك أوباميانغ.

هازارد ليس في الأمر صدفة

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❏ إيدين هازارد، أو اللاعب الذي طوّع الأقدار فصنع لنفسه مجدا كرويا جعله يصنّف ضمن أفضل اللاعبين في العالم خلال الزمن الراهن.

هازارد نجم نادي تشيلسي وقائد المنتخب البلجيكي، هو اسم لا ينطبق على المسمى، لقد عكس الآية، فكتب فصولا من النجاح خالية من الصدفة رغم أن الاسم بالفرنسية يتطابق مع معنى الصدفة.

هازارد هذه المفردة الفرنسية تعني الصدفة أو الحظ، لكن مع إيدين فإن مسيرة خالية من الصدف، لم ترتكز على الحظ، كل ما في الأمر أنها ارتبطت أساسا بتخطيط محكم وموهبة فذة ثم عمل دؤوب.

عمل منظم قاد نجم تشيلسي إلى مصاف نخبة النجوم في العالم. مكنه من أن يكون ضمن قائمة عباقرة الجيل الحالي، حيث يأتي في مرتبة متقدمة لا تبتعد كثيرا عن مكانة ميسي ورونالدو.

نجاحه اللافت منذ سنوات مع تشيلسي، ومساهمته الفعالة في وضع منتخب بلاده في مكانة متقدمة بين صفوة المنتخبات الرائدة وبروزه الرائع في مونديالي البرازيل 2014 وروسيا 2018، كلها عوامل ومعطيات اجتمعت كي تبرز أن في مسيرة هازارد ليس هناك مجال للصدفة.

من المؤكد أن شاعرنا العربي المبدع محمود درويش لم يجانب الصواب عندما قال "أجمل ما في الصدفة أنها خالية من الانتظار"، لكن مع هازارد لم تكن هناك الصدفة بل ثمة الصبر والتريث والانتظار.

ففي سنوات طفولته أظهر إيدين ذلك الصبي ذو العشرة أعوام موهبة فذة في تطويع الكرة، انتبه أبوه وأمه إلى هذه المهارات العالية منذ الوهلة الأولى التي داعب فيها الكرة.

هذا الفتى هو ابن لاعب كرة قدم سابق في دوري الدرجة الثانية في بلجيكا. أمّه أيضا كانت كذلك. لقد لعبت لسنوات عديدة مع الفرق النسائية في بلجيكا، لكن بعد ثلاثة أشهر من حملها بإيدين قررت الاعتزال.

تم التخطيط لذلك حتى تعتني بالوليد، الذي كبر وأغرم بكرة القدم وبرع فيها، فقرر الأبوان إلحاقه بفريق محلي كي ينمّي طاقاته ويطوّر موهبته، ألم أقل لكم ليس في الأمر صدفة.

كل شيء وقع التخطيط له بإحكام، حتى انتقاله في سن مبكرة للغاية إلى نادي ليل الفرنسي كان مدروسا. فالأبوان وافقا على عرض هذا الفريق لأنه يستجيب لكل الشروط.

ومن أهم هذه الشروط التي استجاب لها العرض أن الفتى إيدين الذي يتكلم الفرنسية لن يجد صعوبة كي يتأقلم مع عالمه الجديد بعيدا عن بلجيكا.

بدأت رحلة الاحتراف بخطى ثابتة بمباركة الأم ومتابعة دائمة من الأب، انطلق هذا الفتى الوسيم هادئ الطبع الواثق من قدراته يبحث عن تثبيت أقدامه في تجربته الفرنسية مع ليل، وفعلا وصل إلى ما كان يصبو إليه.

حيث تم اختياره في مناسبتين كأفضل لاعب واعد في الدوري الفرنسي. لقد لفت كل الأنظار وتمكن من أن يصنع قدره بكل اقتدار.

لم يترك أي مجال للصدفة وكأنه اتبع نصيحة السياسي الأميركي وليام جينينغز بريان عندما قال "المصير ليس مسألة صدفة، إنه اختيار وليس شيئا يجب انتظاره، إنه شيء يجب صنعه".

لقد اختار أن يذهب في خطوة أولى صوب فرنسا وينتظر المصير، فجاءه العرض المناسب من نادي تشيلسي سنة 2012، درس الموقف جيدا قبل أن يذهب لتحقيق أحلامه وأهدافه.

لم ينتظر هازارد كثيرا كي يبرهن أنه لاعب ألمعي سليل عائلة رياضية بامتياز، حيث ساهم بقسط وافر في تتويجات فريقه. نجح في أن يرتقي السلم نحو القمة بكل سلاسة وترتيب وتخطيط.

قضى أكثر من سبع سنوات مع الفريق اللندني، لكنه ظل دوما في القمة، بقي دوما ضمن زمرة نجوم الصف الأول، فالموهبة الرائعة والقرارات التي لا دخل للصدفة فيها في حياة هازارد جعلتاه يحتل مكانة مرموقة.

هي مكانة راقية ستفتح أمامه آفاقا أرحب، فهذا اللاعب الذي تذوق طعم أغلب البطولات مع تشيلسي، وكان من أفضل نجوم المونديال الأخير عندما قاد منتخب بلجيكا لاحتلال المركز الثالث، ما زال إلى اليوم هدفا رئيسيا بالنسبة لريال مدريد.

أتدرون أن إيدين هازارد كان قريبا سنة 2010 من الانتقال إلى الريال وذلك بتوصية من زين الدين زيدان الذي عاينه عن كثب في الدوري الفرنسي، لكن في ذلك الوقت لم تنتبه إدارة الريال لنصيحة زيدان.

أتدرون أن هازارد الذي يبلغ حاليا سن الـ28 لم يستعجل كتابة فصل جديد من مسيرته ولم يسع للارتباط بالريال، بل إنه ترك الأمر برمته يأخذ مساره الطبيعي، كان يعلم جيدا أنه مهما تقدم به العمر ما زال يافعا وقادرا على إغراء الريال.

اليوم حانت ساعة الرحيل عن لندن وطرق أبواب مدريد، كل المؤشرات تؤكد أن الاتفاق المبدئي بين كل الأطراف سيجعل هازارد ينجح بلا شك مع الريال، وسينجح في الوصول إلى ما خطط له منذ البداية.

ألم أقل لكم ليس في الأمر صدفة، كل شيء مخطط ومبرمج في عائلة هازارد التي تضم لاعبا موهوبا آخر، إنه ثورغان نجم بوروسيا منشنغلادباخ، كل الأندية القوية في أوروبا تحلم بالتعاقد معه.

الدوسري والعوفي أملا السعودية ببطولة العالم لكرة القدم الإلكترونية

❏ **باريس** – يحمل مساعد الدوسري وخالد العوفي راية المنتخب السعودي والعرب في أول بطولة عالمية لمنتخبات كرة القدم الإلكترونية، ويطمح هذا الثنائي إلى الوصول إلى أدوار متقدمة، ولِمَ لا حصد اللقب العالمي الأول في تاريخ العرب؟

وينظم الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) للمرة الأولى بطولة العالم الإلكترونية للعبة الشعبية الأولى، والتي سيتنافس فيها لاعبون يمثلون دولا عدة من بينها السعودية، وستدور منافساتها من خلف الشاشة بدلا من المستطيل الأخضر.

وانطلقت البطولة السبت وتتواصل اليوم الأحد، وتشهد منافسة بين 40 لاعبا يشكلون 20 فريقا في لعبة "فيفا 19" التي تطورها شركة "أي.إي سبورتس" الأميركية، وتعد الأشهر عالميا في مجال الألعاب الإلكترونية الخاصة بكرة القدم.

وسيمنح الفريق الفائز بلاده لقب أول بطل عالم لكرة القدم الإلكترونية. وسبق للاتحاد الدولي أن نظم بطولات من هذا النوع على مستوى الأفراد أو الأندية، إلا أن البطولة التي ستستضيفها لندن، ستكون الأولى للدول.

وتتوزع "المنتخبات" المشاركة، ومنها فريق سعودي يتكون من مساعد الدوسري وخالد العوفي، على أربع مجموعات تضم كل منها خمسة فرق.

وتضم المنتخبات المشاركة دولا كبيرة على صعيد كرة القدم مثل فرنسا المتوجة بلقب مونديال روسيا 2018 وألمانيا والبرازيل والأرجنتين، ودولا أخرى تنتشر فيها الألعاب الإلكترونية بشكل كبير مثل الصين والولايات المتحدة.

وأوقعت القرعة الفريق السعودي في المجموعة الأولى، وهي "مجموعة الموت" بحسب ما جاء في الحساب الرسمي لهذه البطولة على تويتر، وتضم إنكلترا وفرنسا وجنوب أفريقيا وفنلندا.

ويعوّل الفريق السعودي بشكل كبير على الدوسري الذي يحمل لقب بطولة العالم على المستوى الفردي، وهي مسابقة ينظمها الـ"فيفا" أيضا.

انتظارات معلقة على هذا الثنائي

التغيير المناخي يقود البعوض والقراد إلى أوروبا

يتوقع باحثون اتساع منطقة انتشار نواقل الأمراض مثل البعض من أنواع الحمىٰ لتكون وجهتها القادمة أوروبا، وهنا نتحدث عن البعوض والقراد التي يقول العلمان إنها ستبحث عن أماكن توطن جديدة وعلىٰ الأرجح ستكون أوروبا خلال ستينات القرن الحادي والعشرين بسبب التغير المناخي.

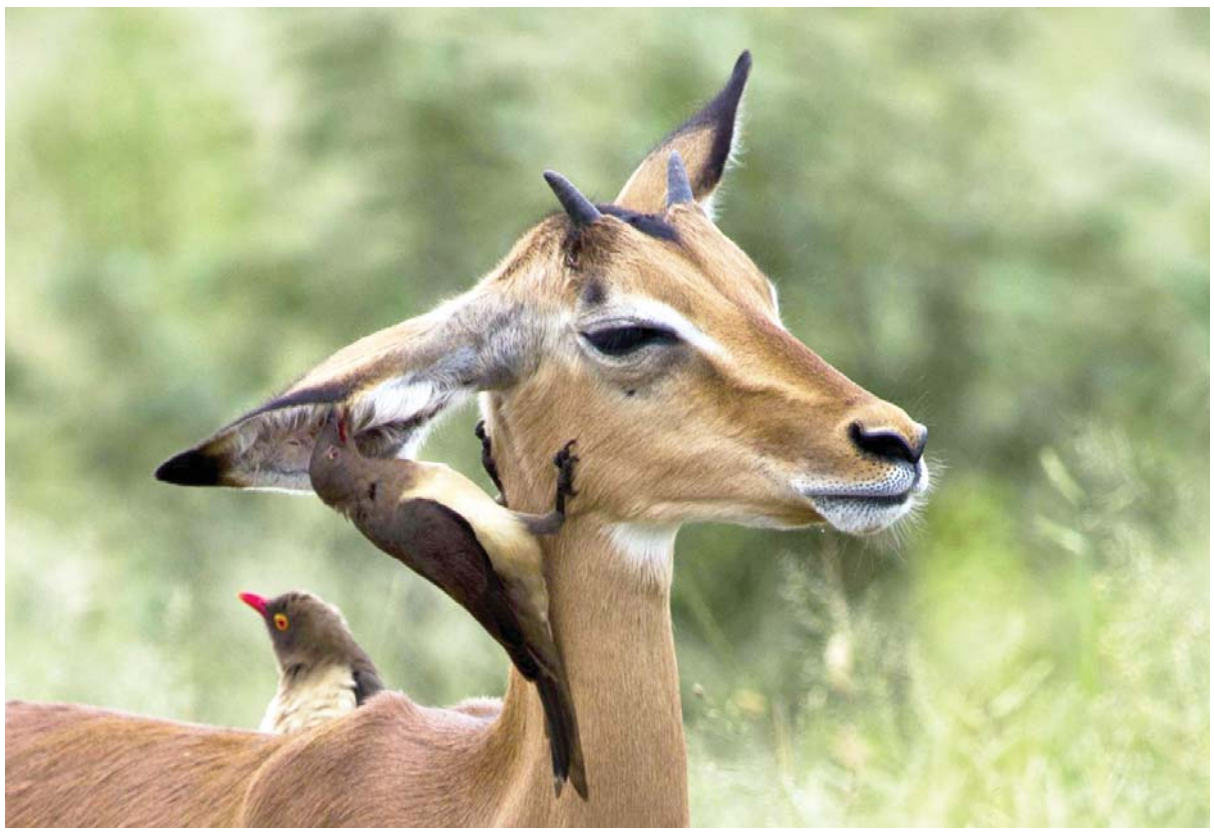

هل سمعت آخر الأخبار: القراد سيهجرنا

❏ **أمستردام** – تظهر الأبحاث العلمية المتواصلة أن التداعيات السلبية للتغير المناخي لن تقتصر فقط علىٰ مجرّد ارتباك أحوال الطقس وتداخل فصول السنة أو مجرد التأثير علىٰ المحاصيل الزراعية بل ستكون سببا في تفشي أمراض اعتقد العالم أنه حسم أمرها أو بقيت حكرا علىٰ الحيوانات أو منحصرة في أماكن جغرافية معينة. لكنّ الباحثين تنبؤوا في آخر إصداراتهم بتزايد ظهور الأمراض التي ينقلها البعوض والقراد في أوروبا خلال العقود المقبلة.

وأعلن الباحثون خلال المؤتمر الأوروبي لعلم الأحياء الدقيقة السريرية والأمراض المعدية الذي عقد السبت ويستمر حتىٰ الثلاثاء المقبل، في مدينة أمستردام، عاصمة هولندا، أن منطقة انتشار نواقل الأمراض مثل حمىٰ الضنك وداء الليشمانيات (مجموعة من الأمراض الطفيلية) وحمىٰ شيكونجونيا تتسع علىٰ نحو سريع.

وفي بيان للمؤتمر، عزا الباحثون ذلك إلىٰ تغير المناخ وزيادة العولمة. وأوضح الباحثون في البيان أن هذه التغيرات تساعد البعوض والقراد علىٰ التوطّن في مناطق جديدة في أوروبا.

وبحسب البيانات، ظهرت إصابات حمىٰ الضنك في فرنسا وكرواتيا، علىٰ سبيل المثال خلال الأعوام العشرة الأخيرة، في حين ظهرت الملاريا في اليونان، وشيكونجونيا في إيطاليا وفرنسا، وحمىٰ غرب النيل في أجزاء واسعة من جنوب ووسط أوروبا. وتم تسجيل أكثر من 1500 حالة إصابة بحمىٰ غرب النيل في دول الاتحاد الأوروبي علىٰ مدار عام 2018.

وقال الباحث جيوفاني ريزا من المعهد الوطني للصحة في العاصمة الإيطالية روما إن فترات الحرّ الطويلة أطالت الإطار الزمني لانتشار هذه الأمراض وساعدت علىٰ انتشارها علىٰ نطاق متوسط، مضيفا "يتعين علينا الاستعداد لمواجهة مثل هذه العدوى الاستوائية".

وذكر الخبراء أنه من الممكن، علىٰ سبيل المثال، أن يتسع نطاق انتشار البعوض الرملي بحلول نهاية ستينات القرن الحادي والعشرين ليصل إلىٰ فرنسا وألمانيا.

وبحسب البيانات، من الممكن أن يحمل هذا البعوض داء الليشمانيات، وقد تم العثور علىٰ البعض منه في ألمانيا.

وقال الباحث جان سيمينزا، من المركز الأوروبي للوقاية من الأمراض والسيطرة عليها في ستوكهولم، "في ظل الانتشار المستمر للبعوض الغازي وناقلات أخرى للأمراض في كافة أنحاء أوروبا، يتعين علينا توقع تفشي أمراض والتدخل لمقاومتها علىٰ نحو مبكر"، مؤكدا ضرورة أن تحسن السلطات الصحية نظم الرقابة علىٰ هذه الأمراض وإنشاء نظم إنذار مبكر.

سيارة مذهبة توقع صاحبها في مشكلة مع الشرطة

❏ **برلين**– قالت صحيفة ألمانية إن السلطات منعت سائقا في مدينة هامبورغ الواقعة شمال البلاد من قيادة سيارته واحتجزتها مع تغريمه بمبلغ مالي والسبب في ذلك يعود لكون سيارته "لامعة أكثر من اللازم" ومن الممكن أن تعيق بقية السائقين عن النظر وتتسبب في وقوع حوادث.

وكانت السلطات قد أمرت السائق البالغ من العمر 31 عاما، بعدم قيادة سيارته من نوع بورش باناميرا المطلية بلون ذهبي وإزالة الورق اللامع الذي يغطيها مع إعادة تسجيلها.

لكن السائق لم يمتثل للتعليمات مما دفع الشرطة إلىٰ إيقافه وحجز مفاتيح سيارته وأوراقه ورفع لوحات أرقام السيارة ونقلها إلىٰ مرأب. واشترطت الشرطة علىٰ السائق أن يزيل اللون الذهبي المتوهج ليتمكن من قيادة سيارته بشكل قانوني.

ووفق الصحيفة، فقد منعت الشرطة الألمانية سائقا آخر من قيادة سيارته لامبورغيني بسبب لون سيارته الذهبي.

الذكاء الصناعي يتنبأ بالمستقبل

❏ **لندن** – قام باحثون بتطوير جهاز يمكّن من التنبؤ بالوقائع البديلة والأحداث المستقبلية المحتملة، وذلك بإنشاء كمبيوتر كمي يمكنه إنشاء احتمالات مختلفة للمستقبل، وفق ما ذكرت صحيفة ديلي ميل.

ويستطيع الجهاز المطوّر حديثا أن ينتج مجموعة كبيرة من الأحداث المستقبلية المحتمل وقوعها بالارتباط بقرار ما ومن ثم يعرضها للشخص، إذ يعتمد الجهاز علىٰ محاكاة 16 جدولا زمنيا لـ"الحزم الضوئية" في مواقع مختلفة.

وقال فرزاد غفاري، الباحث في جامعة غريفيث في أستراليا، "تتعلم العديد من خوارزميات الذكاء الصناعي حاليا، من خلال معرفة كيف يمكن للتغييرات الصغيرة في سلوكها أن تؤدي إلىٰ نتائج مستقبلية مختلفة، لذلك قد تمكن تقنيات الذكاء الصناعي المحسن، الجهاز الكمي من معرفة تأثير أفعاله بشكل أكثر فعالية بكثير".

وأكد العلماء أنهم استوحوا فكرة بحثهم من الفيزيائي النظري ريتشارد فاينمان الحائز علىٰ جائزة نوبل. وكان فاينمان أول من أدرك أنه عندما ينتقل جسيم من النقطة (أ) إلىٰ النقطة (ب) ليس بالضرورة أن يختار مسارا واحدا، بل يتبع في الوقت نفسه جميع المسارات الممكنة التي تربط النقطتين بعضهما البعض. وأكد العلماء أنه علىٰ الرغم من أن جهاز النموذج الأولي يحاكي ما لا يزيد عن 16 من الأحداث الآجلة، فإن خوارزمية الكمّ الأساسية يمكنها، من حيث المبدأ، التنبؤ بأحداث مستقبلية "بحجم لا محدود".

واعتبروا أن هذا الإنجاز يعدّ دليلا عمليا علىٰ غرابة ميكانيكا الكمّ التي تشكل مجموعة القواعد التي تحكم العالم دون الذري.

وأوضح الباحثون أن الكمبيوتر يقدم مجموعة احتمالات قد تحدث، ولكن لا يعني أن الأحداث ذاتها ثابتة أو غير قابلة للتغيير، فهي مجرد احتمالات ممكنة الحدوث.

روما ترمم قصر نيرون

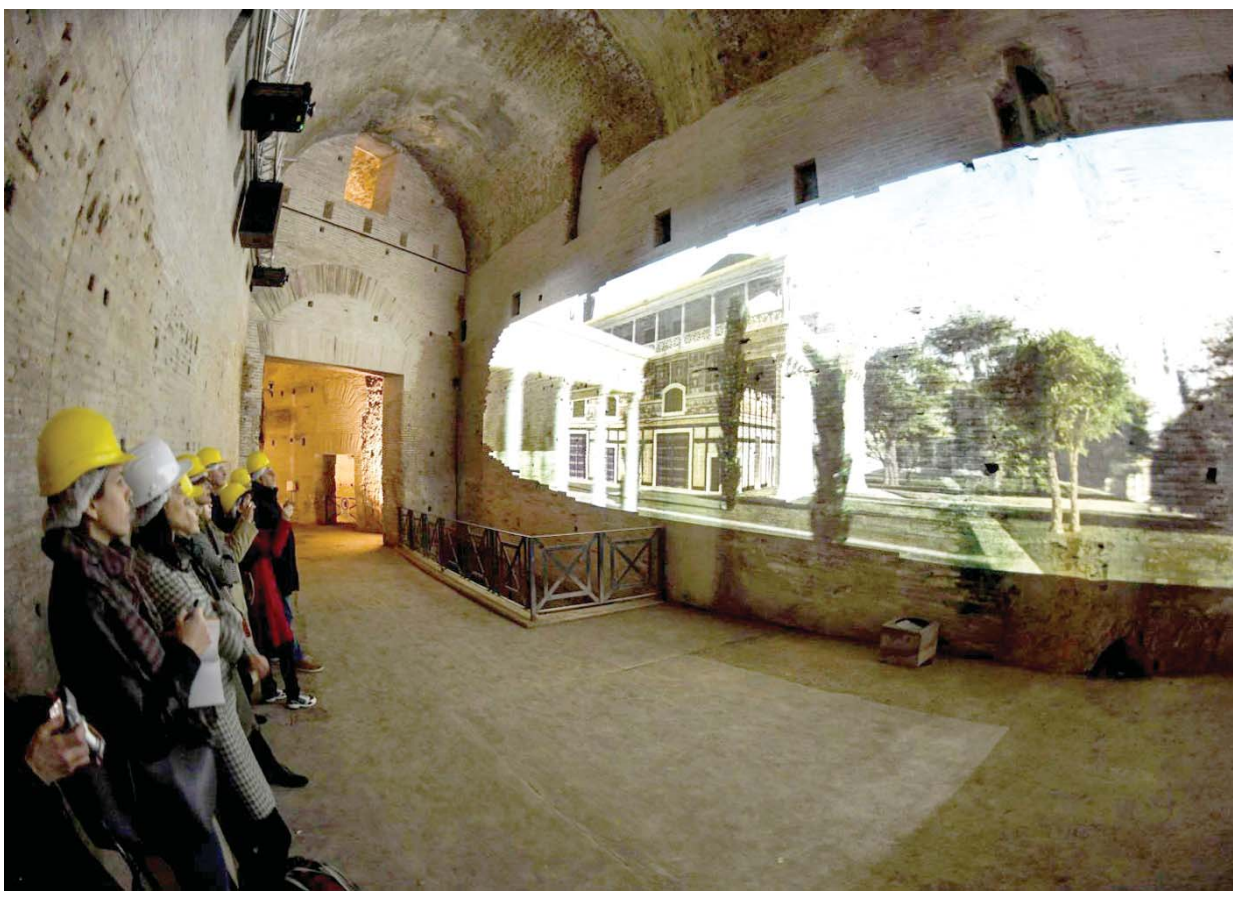

❏ **روما** – استعاد "دوموس ترانزيتوريا" وهو أول قصر للإمبراطور نيرون (37–68م) ودمّر خلال حريق روما الكبير، مجده وألوانه بفضل منشأتين بصريتين ومسار بالواقع الافتراضي، حيث افتتح، الجمعة، أمام الجمهور للمرة الأولىٰ بعد أعمال ترميم استمرت 10 سنوات.

وقالت ألفونسينا روسو، مديرة هذا الموقع، "سيختبر الزائر شخصيا من خلال الواقع الافتراضي عبقرية الإمبراطور المعمارية وتجاربه في ما يخص الرخام والزخرفة".

وبات القصر الذي كان في الماضي مزخرفا بأوراق الذهب والأحجار الكريمة واللآلئ مجرد أطلال، لكن يمكن للزوار الاستمتاع برؤية مراحيضه المحفوظة جيدا.

وقد صمم القصر للتخفيف من وطأة الحرارة المرتفعة في الصيف علىٰ الإمبراطور. ويفيد علماء الآثار أن نيرون كان يجلس علىٰ عرش من رخام قبالة مجموعة من النوافير وتحت مظلة من حرير. وتنسب اللوحات الجدارية إلىٰ فابولوس الذي كان لأعماله في قصر "دوموس أوريا" لاحقا، تأثير عميق علىٰ فنانين من عصر النهضة مثل رافاييلو.

وفي ليلة 18 يوليو من العام 64، اندلع حريق في روما وبقيت النيران مشتعلة لأكثر من أسبوع وأتىٰ علىٰ المدينة بكاملها تقريبا بما في ذلك القصر الذي لا يزال يحتفظ بآثار الحريق الكبير.

قالت الممثلة الأميركية درو باريمور البالغة 44 عاما «أعتقد أن الابتسامة أفضل من أي أحمر شفاه» متحدثة بصراحة عن قوة المكياج والشعور بالثقة الذي يمنحه للمرأة، خلال إطلاق علامتها التجارية لمواد التجميل «فلاور بيوتي» في مركز تسوّق بسيدني في أستراليا.

صباح العرب

عدلي صادق

مغبة السّهو عن الطريق

❏ سهوت ولم أهبط من المخرج المناسب، نزولا من "كوبري 6 أكتوبر" إلىٰ وسط القاهرة، لكي أصل إلىٰ نقابة الصحافيين حيث يكون موعدي. معنىٰ ذلك أنني سأظل علىٰ الجسر، حتىٰ أصل إلىٰ المخرج التالي، علىٰ بُعد نحو ثلاثة كيلومترات من الحركة شديدة البطء. هناك، سأكون قبالة محطة قطارات "رمسيس"؛ وبعد مسافة أخرى، سيصبح أمرنا بين يدي العليم الخبير. فمن يُضيّع فرصته عليه أن يتحمّل شقاء الوصول إلىٰ بدائلها.

ارتجلنا طريقا بديلا، بالانعطاف يمينا إلىٰ حي "الفجالة" القديم، لعلنا نهتدي إلىٰ مسالك وجهتنا، عبر ما يمكن أن يتيسّر اجتيازه من شبكة الشوارع الضيقة الزاخرة بالحياة الشعبية، وبضجيج الورش ومطارق الحرفيين، التي لا تغلبها سوى مكبرات صوت المآذن، وأجراس الكنائس الصغيرة.

في محاولة استعادة الطريق الصحيحة، وجدنا أنفسنا في حي باب الشعرية، عند تمثال الفنان محمد عبدالوهاب ابن ذلك الحي.

كان التوقف في نقطة رأس المثلث الذي يتبدى فيها التمثال المُغَبَّر، فتأكدنا أنه لم يُسرق مثلما أشاع المرجفون. كنا في شارع الجيش الذي يقع شمال ميدان العتبة. هنا، يتدفق المواطنون إلىٰ المكان بكثافة قلّ نظيرها، فينشأ زحام استثنائي، استباقا لزحام رمضاني مُجرّب. فالناس يتعجلون التهيؤ للشهر الكريم بشراء حاجياته.

توقفنا تماما في طريق لا زالت فيه المركبات من كل الأحجام، تنتظر بدء الحركة، ومعها وبينها عربات صغار الفتية العتّالين، مجللة بالبضائع.

هو اختلاط مثير، لن يضجر العالق من تأمل تفاصيله، لاسيما إن كان قادما من أوروبا أو من أحد الأحياء الجديدة الباذخة. تمنيت أن يكون معي كتاب "مساجد مصر وأولياؤها الصالحون" للباحثة سعاد ماهر محمد، لكي أطالعه كاملا أثناء الانتظار. أو ربما ستكون هناك فرصة مغايرة بدل الضائعة، لو كان في حوزتي قرص مدمج فيه كل ما غناه عبدالوهاب في زمن الطرب الأليم. وفي الحقيقة لم تتحرك المركبات لخمس ساعات، سنحت خلالها بعض أشباه الفرص الأخرى، كتناول طبق كُشري علىٰ أحد جانبي الطريق، وإجراء اتصالات مؤجلة، وإسماع الشابين بعض قصص التاريخ ومفارقاته، ومن أطرفها ما يتصل بأسماء الشوارع في وسط القاهرة، إذ يختص التخليد، ذكرى أصدقاء الإنجليز وأحبابهم، فلا مكان هناك لسعد زغلول وأحمد عرابي وجمال عبدالناصر.

الوافد الجديد من الأخيار، علىٰ قائمة الأسماء، هو طلعت حرب، لأن اسم الشارع كان يتعلق بسليمان باشا، الضابط الفرنسي المتأسلم، وأول بناة جيش محمد علي!

كانت مغبّة السهو عن الطريق، أن ضاع موعدي ضياعا لا أسف عليه، قياسا علىٰ مرارة ساعات الاسترداك المضنية بحثا عن مخارج أخرى.